المقدمة

يــدعي نقــاد المســيحية، من غــير المســيحيين ومن الملحــدين والليبراليين، بدون سند أو دليـل، وبنـاء على مجـرد افتراضـات مسـبقة مبنية على فكرهم الخاص وعقائدهم الدينية التي لا تتفق مع المسـيحية في عقائــدها الجوهريـــة، أن الكنيسة الأولى كـــانت تمتلك عشـــرات الأناجيل والأسفار المقدسة، وقد رفضـتها جميعـاً، ولم تبق منها إلا على أسفار العهد الجديد الـ 27، التي، يزعمون، أنها كانت تتلاءم مع أفكارها وعقائدها التي تقررت في مجمع نيقية!!

فيقول أحدهم بدون سـند أو دليـل: " أن معظم الدراسـين يؤكـدون وجـود عـدد كبـير من الأناجيل كتبها أتبـاع أو حواريـون المسـيح، ورغم وجود هذا العدد الكبير من النصـوص، ذات الأهمية التاريخية والقداسـة، فــان الكنيسة اعتمــدت أربعة فقط من هــذه الأناجيل 000 تمثل فيما بينها ما اصـــطلح على تســـميته " العهد الجديد "، والأعجب أن الإنجيل كما نعرفه اليـــوم تم جمعه على يد الإمـــبراطور الرومـــاني الوثـــني قسطنطين ".

ويقـول دان بـراون في روايته الملفقة شـفرة دافنشـي: " الكتـاب المقـدس كما نعرفه اليـوم، كـان قد جمع على يد الإمـبراطور الوثـني قسطنطين العظيم 000 فقد فـوض قسـطنطين بكتـاب مقـدس جديد وقام بتمويله. وحذف الأناجيل التي تحـدثت عن المسـيح كإنسـان وزين تلك التي أظهرت المسيح بصـفات إلهيـة. وحـرمت الأناجيل الأولي وتم جمعها وحرقها "!!

وقال ناشر الترجمة العربية لإنجيل برنابا المزيف، في مقدمته لطبعة 1908م: " أننا نـري مـؤرخي النصـرانية قد اجمعـوا علي انه كـان في القرون الأولى للمسيح عليه السـلام أناجيل كثـيرة وأن رجـال الكنيسة قد اختاروا منها أربعة أناجيل ورفضوا الباقي "!!

هكذا يتكلمون فيما لا يعرفـون ويفتـون فيما ليس لهم به من علم!! فينسـبون للملك قسـطنطين ما لم يحـدث منـه!! ولمجمع نيقية ما لم يحدث فيه، وما لا صلة له به!! ويدعون على آباء الكنيسة، الذين تكلموا كلمة الحق بـالروح القـدس، ما لا يمكن أن يكـون منهم. ومن الواضح من كتاباتهم جميعاً أنهم لم يروا هذه الكتب ولم يعرفوا عنها أي شيء، بل فقط سمعوا عنها من خلال ما ذكـره عنها آبـاء الكنيسـة، أو ما كتبه عنها نقاد المسيحية!!

ولم يقل لنا واحد منهم على أي أساس بـنى مزاعمه وإدعاءاتـه!!؟؟ بل وحاولوا أن

يصوروا، زوراً وبهتانا وبـدون علم أو دليـل، أن رجـال الكنيسة قبلـوا ما قبلوا ورفضوا ما رفضوا بغـير علم ولا بحث ولا دليل إلا مراضـاة للملك قسـطنطين!! وزعم أحـدهم أن المسـيحيين في جميع العصـور وعلى مختلف مستوياتهم الفكرية والحضارية والعلمية قبلوا هذا الاختيـار دون بحث أو دليل وكـأنهم، جميعـاً، مجـرد مجموعة من الأمـيين السـذج!! فقال ناشر إنجيل برنابا المزيف: " فالمقلدون لهم من أهل ملتهم قبلوا اختيارهم بغير بحث وسيكون ذلك شأن أمثالهم إلى ما شاء الله "!!؟

أما أغرب ما في الأمر بل وأعجبه هو قولـه: " لو بقيت تلك الأناجيل كلها لكانت أغزر ينابيع التـاريخ في بابها ما قبل منها أصلا للـدين وما لم يقبل ولرأيت لعلماء هذا العصر من الحكم عليها والاستنباط منها بطرق العلم الحديثة المصونة بسياج الحرية والاسـتقلال في الإرادة مـالا يـأتي مثله من رجال الكنيسة الذين اختـاروا تلك الأناجيل الأربعة ورفضـوا ما سواها "!! هكذا يتصور ويتـوهم ويخمن ويحكم على ما لا يعـرف بـدون سند أو دليل!!

ونقـول لهـؤلاء جميعـاً أن الأوهـام لا تصـنع الحقـائق!! فلا الكنيسة اختارت الأناجيل الأربعة وبقية أسفار العهد الجديد دون سـند، ولا رفض رجالها الكتب الأخـرى دون دليـل!! وكل ما زعمتم يـدل علي عـدم معرفـة. فقد كتب جميع الكتب الأبوكريفية المرفوضة أنـاس من الهراطقة ومن خارج دائرة الكنيسة وحظيرتهـا، ولـذا فقد رفضـتها لأنها جاءت من خارج التسليم الرسولي، ولأنها تمتلئ بالخرافات والأسـاطير والأفكار الوثنية والأخطـاء الدينية والتاريخيـة!! ونـرى أن أحسن طريقة لكشف حقيتها هو نشرها مع تقـديم دراسة وافية لهـا، في سلسـلة من الكتب ليقرأها كل واحد بنفسه ليرى الفارق بين الحقيقة والإدعاء.

وأرجوا أن يأتي هذه العمل بالفائدة المرجوة بنعمة رب المجد يسوع المسـيح وبركة العـذراء القديسة مـريم وصـلوات قداسة البابا المعظم البابا شنودة الثالث، بابا الإسكندرية وسـائر الكـرازة المرقسـية، ونيافة الحبر الجليل الأنبا مرقس، أبي الروحي، أسـقف شـبرا الخيمة وتوابعها والنائب البابوي لكنيسة السيدة العذراء الأثرية بمسطرد.

عيد الظهور الإلهي (الغطاس)

19 / 1 / 2007م (11 طوبة 1723ش)

الفصل الأول

البدع والهرطقات

لماذا وكيف ظهرت في فجر المسيحية؟

1 – ما معنى الهرطقات والبدع؟

كلمة هرطقة هي كلمة يونانية "αἵρεσις - Hairesis " من الفعل " haireomai- αἱρέομαι "، ويعني " يختار – choose "، ومعناها اختيار، وقد استخدمت للتعبير عن المدارس الفكرية الهيلينية، اليونانية، كما استخدمت في العهد الجديد بمعنى " شيعه، مذهب، بدعة " وذلك للتعبير عن الجماعات اليهودية مثل "**شيعة** (αἵρεσις) الصدوقيين " (أع17:5) و " **مذهب** (αἱρέσεως) الفريسيين " (أع5:15؛ أنظر أع5:26). وقد استخدمها المؤرخ والكاهن اليهودي يوسيفوس المعاصر لتلاميذ المسيح (35-100م) بهذا المعنى والوصف وطبقها على المذاهب اليهودية التي كانت سائدة في عصره وهي الفريسيين والصدوقيين والآثينيين[1]. كما استخدمت من وجهة نظر اليهود لوصف الجماعة المسيحية في أيامها الأولى والتي نُظروا إليها كجماعة خارجة من اليهودية ومن ثم دُعيت بـ " الطريق الذي يقال له **شيعة** (αἵρεσιν) " (أع14:24) و " **مذهب** (αἱρέσεως) يقاوم في كل مكان " (أع22:28)، كما وُصف القديس بولس بـ " مقدام **شيعة** (αἱρέσεως) الناصريين " (أع5:24).

واستخدمت في الكنيسة الأولى بمعنى " **بدعة** (بدع αἱρέσεις) " (غل20:5)، لوصف الجماعات التي خرجت عن التسليم الرسولي وتعاليم الكنيسة " **الإيمان المسلّم مرة للقديسين** " (يه3)، والذين وُصفوا بأصحاب " **البدع** (αἱρέσεις) " (1كو19:11)، والذين يقول عنهم القديس بطرس أنهم معلمون كذبة " الذين يدسّون **بدع** (αἱρέσεις) هلاك وإذ هم ينكرون الرب الذي اشتراهم يجلبون على أنفسهم هلاكا سريعا " (2بط1:2).

وشاع بعد ذلك تعبير هراطقة للتعبير عن أصحاب البدع والهرطقات التي خرجت عن المسيحية وصار لهم فكرهم الخاص. وقد استخدم القديس إيريناؤس هذه التعبير بكثرة عن أصحاب البدع والهرطقات الذين خرجوا عن التعليم المسيحي المسلم مرة من الرب يسوع المسيح نفسه للرسل وخلفائهم في تسلسل رسولي كان معروفا للجميع، وأدعى هؤلاء الهراطقة لأنفسهم كتباً سرية نسبوها للرسل وزعموا أن المسيح أعطاها لكل واحد منهم، ممن نسبوا لهم أناجيل أو

---

[1] Bil. Jud. II ,Viii,I, Ant. XIII,V,9.

رؤى أو أعمال، سـراً!!! ورد عليهم في كتابه ضد الهرطقـات (Contra Haereses - Against Heresies). ويقول العلامة ترتليـان (155-220م) " **لأنهم هراطقة فلا يمكن أن يكونـــوا مســـيحيين حقيقيين لأنهم حصلوا على ما أتبعـوه ليس من المسـيح بل باختيـارهم الخـاص، ومن هـذا السـعي جلبـوا على أنفسـهم وقبلـوا اسم هراطقـة. وهكـذا فلكـونهم غـير مسـيحيين لم ينالوا أي حق في الأسفار المسيحية المقدسة؟ ومن العـدل أن نقـــول لهم " من أنتم؟ من أين ومـــتى جئتم؟ ولأنكم لستم منا ماذا تفعلون بما هو لنا؟ حقاً، بـأي حق يا مركيـون تقطع خشبي؟ ومن الذي سـمح لك يا فـالنتينوس أن تحـول مجاري نبعي؟ "[(2)].**

2 – أصل الهرطقات والبدع وكيفية انتشارها:

لماذا نشأت الهرطقات والبدع في المسيحية أصلا؟

1 - بسـبب الخلط بين الإيمـان المسـيحي والفكر اليهـودي الغـير مهيأ لقبـول المسـيح كفـادي البشـرية ومخلصـها وملك ملكـوت السـموات والذي توقع مسيح يملك ويسود على العالم سياسـيا ويجعل من اليهـود سادته، وبالتـالي رأى في المسـيح يسـوع مجـرد نـبي مثل سـائر أنبيـاء العهد القديم، وأن كانوا قد رفعوه إلى درجة الألوهية المكتسـبة وقـالوا أنه رئيس الملائكـة، ولكنه ليس هو المسـيح الـذي يحقق الطموحـات والأحلام اليهودية السياسية!! وهذا تبلور في الهرطقة الأبيونية.

2 - الخلط بين الإيمــان المســيحي والفكر الغنوسي (المحب للمعرفــة) الوثـني والـذي نـادى بـأن المـادة شر وبالتـالي لا يمكن للمسـيح الإله أن يتجسد ويتخذ من هذه المادة، الشر، جسـداً، أو يتحد بهـا! ومن ثم قـالوا أن المسـيح ظهر في شـبه الجسد وهيئة الإنسـان دون أن يكـون إنسـاناً حقيقيـاً ودون أن يكــون له جســداً حقيقيــاً! وهــذا ظهر في الغنوســية المسيحية.

3 - الخلط بين الإيمان المسيحي والفكر الفلسـفي اليونـاني، خاصة الأفلاطـوني، والذي لم يتصور أن الله يمكن أن يخلق المادة أو يتخذ منها جسداً ومن ثم قـالوا أن الله خلق الكلمة اللوجــوس، المســيح، قبل خلقة الكــون، من جــوهر شــبيه بجوهر الله الآب، وأعطاه سلطاناً أن يخلق الكون ويدبره، ولما أخطأت البشـرية صار الكلمة نفسه جسـداً بمعـنى تحـول إلى الإنسـانية، دون أن يتخذ جسـداً من هذه الإنسانية، وفداها على الصليب ثم عاد لملكوته من جديد!

4 - قوة شخصية قادة الهراطقة الذين لم يكونوا، جميعهم، بالضرورة من الأذكياء والمتعلمين بدرجة كبيرة، بل كـانوا يتمـيزون بقـوة الإرادة والجـراءة الكبـيرة في

(2) Tertullian, The Prescription Against Heretics .

إعلان أفكارهم، كما كانوا يتمـيزون بالمقـدرة الجدلية الكبـيرة للإقنـاع بأفكـارهم وجمع الناس حولهم، حتى نسبت أفكارهم الهرطوقية بأسمائهم.

5 - ملائمة الفكر الهرطوقي وتكيفه مع الأحـوال الاجتماعية والسياسـية وملاءمته للعقليات المعاصرة له.

ولم يكن لهرطقات القرون الثلاثة الأولى مـوطئ قـدم في الكنيسة المسـيحية الأولى فقد ولــدت ونمت، في معظمهــا، خــارج الكنيسة وانحصــرت في دوائر صغيرة وقليلة جداً، خارج الكنيسة أيضا، وانتهت قبل نهاية القـرن الرابـع. وكـانت الهرطقة الأولى التي كان لها موطئ قدم داخل الكنيسة هي الهرطقة الأريوسية. التي استخدمت الأفكار الفلسفية لتوفق بين كون المسيح كلمة الله (اللوجــوس) وبين الآب.

والسؤال الآن هو؛ **كيف نشأت البدع الهرطقـات في المسـيحية خاصة في القـــرنين الأول والثـــاني؟ وكيف تعامل معها تلاميذ المســـيح ورسله وتلاميذهم من الآباء الرسوليين ومدافعوا الكنيسة الأولى؟**

2 – انتشار المسيحية في العالمين اليهودي والوثني:

بعد صعود الرب يسوع المسيح إلى السماء وحلول الروح القدس على التلاميذ بدءوا الكرازة في العالم أجمع كما أوصاهم الرب نفسه قائلا " **اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمـــدوهم باسم الآب والابن والـــروح القـــدس** " (مت 19:28). وكان عليهم أن يواجهـوا العـالمين، اليهـودي الـذي يـؤمن بإله واحد ولا يعــرف شيئاً عن التعــدد في الــذات الإلهية لله الواحــد، وذلك على الــرغم من الإشارات الكثيرة الموجودة في أسفار العهد القديم والتي

تتكلم عن روح الله القـدوس وعن كلمة الله الخالقة. لكنهم لم يفهمـوا ذلك، وأنقسم اليهــود، في نظــرتهم للــرب يســوع المســيح إلى ثلاث فئات؟

(1) الأولى رفضت الإيمان نهائيا وقـاومت المسـيحية في كل مكـان مقاومة حتى الدم.

(2) والثانية هي التي تتلمذت على يدي الرب يسوع المسيح نفسه وآمنت به كالإله المتجسد وصارت مسـيحية بمعـنى الكلمـة، وكما تسـلمت التعليم من الرب نفسه " **لأنني تسلمت من الـرب ما سـلمتكم** " (1كو23:11)._ ومن هـذه الفئة خـرج المسـيحيون الأول الـذين حملـوا البشـارة بالإنجيل للعـالم أجمع.

(3) والثالثة، آمنت بالمسيحية واليهودية في آن واحـد! بمعـنى أنها احتفظت بكل عوائد وتقاليد ونواميس اليهودية والتي كانت رموزا وظلالاً للعهد الجديد كما يقــول الكتــاب " **فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شـرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت، التي هي ظل الأمور العتيــدة** " (كو16:2، 17)، وحفظوا السبت واحتفلوا مع المسيحيين بالأحد!! ونظر بعضهم للمسيح

كابن الله (الناصريين)، ونظر البعض الأخر للمسيح كنبي مثل موسى ولكنهم آمنــوا بأنه مخلــوق أعظم من جميع الأنبيــاء وأعظم من الملائكة ورؤســاء الملائكة (الأبيونيين).

كما واجهت المســيحية الفلســفات اليونانية والــديانات الوثنية بفئاتها المختلفة والتي تؤمن بمجموعات عديدة من الآلهة. فآمن عدد كبير من هـذه الفئة بالمسيحية ببشارة الرسل كما جاء في الكتـاب المقـدس، ولكن فئـات قليلة منهـا، خاصة من أصـحاب الفكر الغنوسي السـابق للمسـيحية، خلطت بين أفكارها السابقة وبين المسيحية واعتـبرت الـرب يسـوع المسـيح كواحد من آلهتهم العديـدة، وقـالوا أنه جـاء للعـالم في شـبه جسد ولم يتخذ جسـداً حقيقيـاً إنما مجـرد مظهر الجســد!! وفي الــوقت نفسه واجهت المسـيحية القوة العاتية للإمبراطورية الرومانية، والتي اتهمتها بمعـاداة الدولة الرومانية وعـدم الــولاء للأبــاطرة الرومــان لإيمــان المسـيحيين بملك آخر هو يســوع المسيح!!

وقد أستخدم هؤلاء الهراطقة كل أسفار العهد الجديد أو بعض منها ولكنهم كتبـوا الكثـير من الكتب الأخـرى على غـرار أسـفار العهد الجديد وأسـموها أناجيل أو أعمال للرسل أو رسـائل أو رؤى مثل رؤيا القـديس يوحنا ونسـبوا بعضها للرسل كما نسب البعض الآخر لكتابها الذين كتبوها!!

ولـذا فقد كـان على الرسل وخلفـائهم من بعـدهم مواجهة كل هـؤلاء؟ اليهودية والوثنية والإمبراطور الروماني من جهة، والهراطقة، أصـحاب البـدع الـذين خلطـوا بين المســيحية واليهودية أو بين المســيحية والوثنية وتفنيد كتبهم الــتي أســموها بأسماء أسفار العهد الجديد وكشف زيفها وتحريمها من جهة أخـرى. وكـان أول من بــدأ في مقاومة هــذه الهرطقــات والبــدع هو القــديس يوحنا الرســول ثم تلاه أغنــاطيوس الإنطــاكي تلميذ بطــرس الرســول فيوســتينوس الشـهيد وإيرينــاؤس 00الخ.

وسنناقش المسـيحية اليهودية والهرطقة الأبيونية في الفصل التـالي وسـنناقش الدوسيتية والغنوسية في الجزأين الثـاني والثـالث. ولكن سـنقدم هنا نبـذة سـريعة عن الدوسيتية والغنوسية حتى يكون حديثنا في الفصول التالية واضحاً.

(1) الدوسيتية - Docetism:

الدوسـيتية كما جـاءت في اليونانية " δοκεται - Doketai "، من التعبـير " δοκεσις - dokesis " والفعل " δοκέω - dokeō " والذي يعني " يبدو - to seem "، " يظهر "، " يُـرى "، وتعـني الخيالية Phantomism ، وهي هرطقة ظهرت في القرن الأول، في عصر رسل المسـيح وتلاميـذه، وقد جـاءت من خـارج المســيحية، وبعيــداً عن الإعلان الإلهي، وخلطت بين الفكر الفلســفي اليونــاني، الوثـني، والمسـيحية وقد بنت أفكارها على أسـاس أن المـادة شـر، وعلى أسـاس التضاد بين الروح وبين المادة الـتي هي شـر، في نظرهـا، ونـادت بـأن الخلاص يتم بـالتحرر من عبودية وقيـود المـادة والعـودة إلى الـروح الخـالص للـروح السـامي،

وقالت أن الله، غير مرئي وغير معروف وسـامي وبعيد جـدا عن العـالم، ولما جـاء المسيح الإله إلى العالم من عند هذا الإله السامي ومنه، وباعتباره إله تـام لم يأخذ جسدا حقيقيا من المادة الـتي هي شر لكي لا يفسد كمـال لاهوتـه، ولكنه جـاء في شبه جسد، كان جسده مجرد شبح أو خيال أو مجـرد مظهر للجسـد، بـدا في شـبه جسد، ظهر في شبه جسد،، ظهر كإنسان، بدا كإنسان، وبالتالي ظهر للنـاس وكأنه يأكل ويشرب ويتعب ويتـألم ويمـوت، لأن الطبيعة الإلهية بعيـدة عن هـذه الصـفات البشرية. بدا جسده وآلامه كأنهما حقيقيان ولكنهما في الواقع كانا مجرد شبه[3].

ولم يكونوا مجرد جماعة واحدة بل عدة جماعات، فقال بعضهم:

1 - أن الأيونAeon ، إي الإله، المسيح، جاء في شبه جسد حقيقي.

2 - وأنكر بعضهم اتخاذ أي جسد أو نوع من البشـرية على الإطلاق. أي كـان روحـاً إلهياً وليس إنساناً فيزيقياً[4].

3 - وقال غيرهم أنه اتخذ جسدا نفسيا Psychic، عقليا، وليس ماديا.

4 - وقال البعض أنه اتخذ جسداً نجمياً Sidereal.

5 - وقال آخرون أنه اتخذ جسدا ولكنه لم يولد حقيقة من امرأة[5].

وجميعهم لم يقبلوا فكرة أنه تـألم ومـات حقيقـة، بل قـالوا أنه بـدا وكأنه يتـألم وظهر في الجلجثة كمجرد رؤيا.

وكان أول من استخدم تعبير الدوسيتية " Doketai - δοκεται " هو سيرابيون أسقف إنطاكية (190 - ـ 203م) في معرض حديثه عن إنجيل بطرس الأبـوكريفي[6]، المنحـول والمـزور، ويقـول عنه وعنهم " لأننا حصـلنا على هـذا الإنجيل من أشـخاص درسـوه دراسة وافيه قبلنـا، أي من خلفـاء أول من اسـتعملوه الـذين نسميهم دوكاتي " Doketai - δοκεται "، (لأن معظم آرائهم تتصل بتعليم هذه العقيـدة، فقد اسـتطعنا قراءته ووجـدنا فيه أشـياء كثـيرة تتفق مع تعـاليم المخلص الصحيحة، غير أنه أضيف إلى تلك التعاليم إضافات أشرنا إليها عندكم "[7].

كما أشار إليهم القديس أغناطيوس الإنطاكي (35 ـ 107)، وحذر المؤمنين من أفكارهم الوثنية قائلا: " **إذا كان يسوع المسيح - كما زعم الملحدون الذين بلا إله - لم يتألم إلا في الظاهر، وهم أنفسـهم ليسوا سـوى خيـالات (بلا وجود حقيقي) فلمـاذا أنا مكبل بالحديد** "[8]، "ـ وهو إنما أحتمل الآلام لأجلنا لكي ننـال الخلاص، **تألم حقا وقـام حقـا، وآلامه لم تكن خيـالا، كما**

(3) Alan Richardson , Creeds in the Making p. 33.

(4) Robert Jonse Heresies & Schisms In Early Church .
(5) Catholic Enc. Docetism.
(6) يرجع هذا الكتاب إلى القرن الثاني وقد جدت منه نسخة في أخميم سنة 1886م، وهي في متحف القاهرة الآن . أنظر ترجمته الكاملة في كتابنا " هل صلب المسيح حقا وقام " ص 92 ـ 96 .
(7) يوسابيوس ك 6 : 12 .
(8) رسالته إلى ترالس 10 : 1.

أدعى بعض غير المؤمنين، الذين ليسوا سوى خيالات "[9]، " لو أن ربنا صنع

ما صنعه في الخيال لا غير لكانت قيودي أيضا خيالا "[10].

كما ذكـرهم أيضا القـديس أكليمنـدس الإسـكندري مـدير مدرسة الإسـكندرية اللاهوتية سـنة 216م وذكر مؤسسـهم، كجماعـة، في القـرن الثـاني بـالقول أن شخصاً معيناً هو جولياس كاسـيانوس (Julias Cassianus) مؤسس الخيالية[11]. ويصفهم العلامة هيبوليتـوس (استشـهد سـنة 235م) باعتبـارهم فرقة غنوسـية[12]. وقـال القـديس جـيروم (متـوفى سـنة 420م) عن بداية ظهـور فكـرهم بأسـلوب مجازي أنه " بينما كان الرسل أحياء وكان دم المسيح لا يزال ساخناً (Fresh) في اليهودية، **قيل أن جسده مجرد خيال** "[13].

(2) الغنوسية Gnosticism:

وفي نفس الوقت كان هناك جماعة أخرى هي جماعة الغنوسية وهي حركة وثنية مسيحية ترجع جذورها إلى ما قبل المسـيحية بعـدة قـرون. وكـان أتباعها يخلطـون بين الفكر الإغـريقي - الهيلينتسي – والفكر المصـري القـديم مع التقاليد الكلدانية والبابلية والفارسـية (خاصة الزردشـتية الـتي أسسـها الحكيم الفارسي ذردشت (630-553 ق م)، والـتي تعتمد على ثنائية الخـير والشـر، النـور والظلمـة، وكـذلك اليهودية، خاصة فكر جماعة الأثينـيين (الأتقيـاء) وما جـاء في كتـابهم " الحـرب بين أبناء النور وأبناء الظلام "، والفلسفات والأسرار والـديانات الثيوصـوفية[14]. وفـوق ذلك الفلسـفة الأفلاطونيـة، فلسـفة وفكر أفلاطـون (427 – 347 ق م)، الذي تأثرت به كثيراً وأخذت عنه أفكارها الجوهرية عن الإله غير المدرك والكون، والتي كانت منتشرة في دول حوض البحر المتوسط في القرن الأول. وكـان الفيلسوف اليهودي فيلو من أكـثر مناصـريها، فقد أعتقـد، أفلاطـون، أن الله غير مدرك ولا يتصل بالمادة، وأن هناك قوة سـامية " اللوغـوس - - λόγος logos " الـتي خلقت العـالم المـادي، وهو كلمة الله أو عقل الله ". وأن البشر يصـارعون من أجل التحـرر من سـجن الجسـد، وانه يمكن إعـادة التجسد (التناسخ - أي تعـود الـروح في أجسـاد أخـرى أكـثر من مـرة - Reincarnation) لأولئك الذين لم يتحرروا بالموت. بل ويرى بعض العلماء

(9) رسالته إلى أزمير (سميرنا) 2.

(10) السابق 4 : 2.

(11) Storm. 3:13; 7:17 .

(12) Refutation of All Heresies 8:1-4 .

(13) Adv. Lucif. 23. See also The Creeds p. 34 .

(14) See Pre-Christian Gnosticism Edwin M. Yamac chi pp. 21-27 & The Secret Books of the Egy. Gmo. Jeam Doresse .

" **أنا أسف من كل قلبي لأن أفلاطون صار منطلق كل الهراطقة** "[1][6].

ومعنى الغنوسية " حب المعرفة " ومنها " Gnostic - غنوسي - محب المعرفة " من كلمة " gnosis - ςισωνγ " التي تعني " معرفة ". وهي عبارة عن مدارس وشيع عديدة تؤمن بمجموعات عديدة من الآلهة. وكانت أفكارهم ثيوصوفية سرية. ولما ظهرت المسيحية خلط قادة هذه الجماعات بين أفكارهم، وبين بعض الأفكار المسيحية التي تتفق معهم!! وتتلخص أفكارهم في الآتي:

(1) الإيمان بإله واحد مطلق غير مدرك ولا معروف وأسمى من أن يعرفه مخلوق ما، فهو روح محض ومطلق، هذا الكائن عرفوه بأسماء كثيرة أهمها " البليروما – πληρωμα " والذي يعني الملء ويشير إلى قدرات هذا الإله الكلية. وقد ترجمت كلمة بليروما في الرسالة إلى كلوسي بـ " ملء اللاهوت "؛ " الذي فيه (المسيح) يحل كل ملء اللاهوت جسديا " (2 :9)، كما أسموه أيضاً " بيثوس - Βυθος- Bythos "، العمق.

(2) هذا الإله، يقولون، أنه انبثق منه، بثق من ذاته، أخرج من ذاته، خرج منه بالانبثاق عدد لا يحصى من الكائنات الإلهية، أو القوات الروحية ذات الأنظمة المختلفة التي أسموها بالأيونات (αιωνος- Aeons) والتي توالت في الانبثاق من ذاتها إلى ما لا نهاية. أو كما قالت الكثير من فرقهم أن هذا الإله بثق من ذاته 365 ايون وكل أيون بثق من ذاته 365 وهكذا كل واحد بثق من ذاته 365 على ما لا نهاية!!! هذه القوات المنبثقة من الإله السامي، والتي انبثقت من الأيونات نفسها، كان لها أنظمة مختلفة وأسماء مختلفة وتصنيفات وأوصاف مختلفة[17]. ومن ثم فقد آمنوا بمجموعة كبيرة من الآلهة.

(3) وقالوا بالوجود السابق للمادة، وأن هذا الإله السامي والصالح لم يخلق المادة التي كانت موجودة، بحسب الفكر الأفلاطوني سابقا، بل أخرج، انبثق من ذاته، العالم الروحي المكون من هذه الأيونات، وتكون هذه الأيونات مع الإله السامي البليروما (Pleroma)، أو الملء الكامل، دائرة الملء الإلهي. وأن هذا الإله السامي الذي أخرج العالم الروحي من ذاته لم يخلق شيئاً. فهم يؤمنون بأزلية المادة.

---

(15) A Comprehensive Study of Heretical Beliefs Spaning 2000 Years History (From 33-200AD) .

(16) Tertullian A Treatise On The Soul .

(17) A Comprehensive Study of Heretical Beliefs Spaning 2000 Years History (From 33-200AD) .

(4) ومن هذه الأيونات قـامت الحكمـة، صـوفيا (Σοφία - Sophia)، الــتي بثقت، أخــرجت، من ذاتها كائنــاً واعيــاً، هو الــذي خلق المــادة والعوالم الفيزيقية، وخلق كل شيء على صورته، هذا الكائن لم يعـرف شـيئاً عن أصـوله فتصـور أنه الإله الوحيد والمطلـق، ثم أتخذ الجـوهر الإلهي الموجود وشكله في أشكال عديدة، لذا يدعى أيضا بالديميورج (Demiurge)، أي نصف الخــالق. فالخليقة مكونة من نصف روحي لا يعرفه هذا الديميورج، نصف الخالق ولا حكامه[18].

ومن هنا فقد آمنــوا أن الإنســان مكــون من عنصــرين عنصر إلهي المنبثق من الجوهر الإلهي للإله السامي ويشيرون إليه رمزيا بالشرارة الإلهية، وعنصر مادي طبيعي فـاني. ويقولـون أن البشـرية بصـفة عامة تجهل الشــرارة الإلهية الــتي بــداخلها بســبب الإله الخــالق الشــرير وارخوناته (حكامــه). وعند المــوت تتحــرر الشــرارة الإلهية بالمعرفــة، ولكن أن لم يكن هناك عمل جوهري من المعرفة تندفع الروح، أو هــذه الشرارة الإلهية، عائدة في أجساد أخــرى داخل الآلام وعبودية العــالم[19].

وأعتقد بعضــــــهم بالثنائية (Dualism) الإلهية أي بوجــــــود إلهين متسـاويين في القـوة في الكـون؟ إله الخـير، الـذي خلق كل الكائنـات الروحية السمائية، وإله الشر الذي خلق العـالم وكل الأشـياء الماديـة!! وربطوا بين إله الشر وإله العهد القديم!! وقالوا أن المعركة بين الخـير والشر هي معركة بين مملكة النور ضد مملكة الظلمة!!

وأعتقد بعضهم أن إله الخير خلق الروح وقد وضعها إله الشر في مستوى أدني في سـجن الجسد المـادي الشـرير. وهكـذا فـأن هـدف البشـرية هو الهروب من سجن الجسد المادي الشرير والعـودة إلى اللاهـوت أو التوحد مع إله الخير!! وقد فهموا خطأ قول القـديس بـولس بـالروح " إذا أن كنتم قد متم مع المسيح عن أركـان العـالم فلمـاذا كـأنكم عائشـون في العـالم تفرض عليكم فرائض لا تمسّ ولا تـذق ولا تجس. الـتي هي جميعها للفنـاء في الاستعمال حسب وصايا وتعـاليم النـاس. الـتي لها حكاية حكمة بعبـادة نافلة وتواضع وقهر الجسد ليس بقيمة ما من جهة إشــباع البشــرية " (كو 2:20-23).

وآمن بعضهم بوجود مستويات روحية مختلفة للكائنات البشرية، وقـالوا بالاختيار السابق وزعمـوا أن أصـحاب المسـتوى الـروحي الأعلى ضـامنون الخلاص مسـتخدمين قـول القـديس بـولس بـالروح " **لان الـذين سـبق فعرفهم سبق فعيّنهم ليكونوا مشابهين صـورة ابنه ليكـون هو بكرا بين اخـوة كثـيرين. والـذين سـبق فعيّنهم فهـؤلاء دعـاهم**

(18) The Gnostic World View , A Brief Summary of Gnosticism.
(19) Ibid.

أيضا. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا. والذين بررهم فهؤلاء مجـدهم أيضا " (رو8:29-30). وأن أصـحاب المسـتوى الـروحي المنخفض ليس لهم خلاص، أما الذين في المنتصف فعليهم أن يجاهدوا للخلاص!!

وآمنوا أنه يوجد حق مُعلن في جميع الأديان. والخلاص بالنسبة لهم ليس من الخطية بل من جهل الحقـــائق الروحية الـــتي يمكن الوصـــول إليها بالمعرفة التي جاءت عن طريق رسـل، خاصة المسـيح كلمة (اللوجـوس - λογος - Logos) الإله الحق. وليس بآلامه وتقديم ذاته للموت بل بتعليمه وكشفه للأسرار ومفهوم الخلاص. فـالخلاص، من وجهة نظـرهم، يتم فقط من خلال المعرفة (gnosis)، ومن ثم خلطـــوا بين أفكـــارهم القديمة وفهمهم الخاطئ لقول القديس يوحنا بـــالروح " **وتعرفون الحق والحق يحرركم** " (يو8:32) وأيضا " كان إنسان مرسل من الله اسـمه يوحنـا. هـذا جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسـطته. لم يكن هو النـور بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العـالم. كـان في العالم وكوّن العالم به ولم يعرفه العالم. إلى خاصـته جـاء وخاصـته لم تقبلـه. وأما كل الـذين قبلـوه فأعطـاهم سـلطانا أن يصـيروا أولاد الله أي المؤمنون باسـمه. **الذين ولـدوا ليس من دم ولا من مشـيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله** " (يو1:6-13).

وقالوا أن المسيح قد كشف المعرفة الضرورية للخلاص. ولذا فقد نادوا بوجود مجموعة من التعاليم السرية الخاصة جداً والتي زعموا أن المسـيح قد كشـفها وعلمها لتلاميـذه ربما لسـوء فهمهم لآيـات مثل " **وبأمثـال كثـيرة مثل هـذه كـان يكلمهم حسـبما كـانوا يسـتطيعون أن يسمعوا. وبـدون مثل لم يكن يكلمهم. وأما على انفـراد فكـان يفسر لتلاميـذه كل شـيء** " (مر4:33-34) و" **لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من**

عظماء هذا الدهر الـذين يبطلـون. بل نتكلم بحكمة الله في سـرّ. الحكمة المكتومة الـتي سـبق الله فعينها قبل الـدهور لمجدنا " (1كو6:6-8)[19].

ومن ثم زعموا وجود مجموعة من التعاليم السـرية الـتي كتبوها في كتب ونسـبوها لرسل المسـيح وتلاميـذه وبعضـهم نسب لقـادتهم وذلك اعتمادا على ما جاء في الإنجيل للقديس يوحنا " وآيات أخر كثيرة صـنع يسـوع قـدام تلاميـذه لم تكتب في هـذا الكتـاب. أما هـذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسـيح ابن الله ولكي تكـون لكم إذا آمنتم حيـاة باسـمه " (يو20:30و31)، و" وأشـياء أخر كثـيرة صـنعها يسـوع أن كتبت واحـدة واحـدة فلست أظن أن العـالم نفسه يسع الكتب المكتوبة " (يو

(19) Robert Jonse Heresies & Schisms In Early Church .

25:21)[20]. يقول القديس إيريناؤس أسقف ليون بالغال (فرنسا حاليـا) " أولئك الـذين يتبعـون فـالنتينوس (ق2م) يسـتخدمون الإنجيل للقـديس يوحنا بوفرة لشـرح أفكـارهم الـتي سـنبرهن أنها خاطئة كلية بواسـطة نفس الإنجيل "[21].

واعتقدوا في المسيح اعتقادات كثيرة، أهمها:

1 – اعتقاد الدوسـتية (Docetism) القائل أن المسـيح أحد الآلهة العلوية وقد نـــزل على الأرض في جسد خيـــالي لا حقيقي، أنه روح إلهي ليس له لحم ولا دم ولا عظـــام، لأنه لم يكن من الممكن، من وجهة نظـــرهم، أن يتخذ جسدا من المادة التي هي شر في نظرهم! **لذا قالوا أنه نزل في صورة وشبه إنسـان وهيئة بشر دون أن يكـون كـذلك، جـاء في شكل إنسـان دون أن يكـون له مكونـات الإنسـان من لحم ودم وعظام، جاء في " شبه جسد " و" هيئة الإنسان "**، وقـالوا أنه لم يكن يجوع أو يعطش أو ينـام، ولم يكن في حاجة للأكل أو الشـرب 00 الخ وأنه كان يأكل ويشرب وينام متظاهرا بذلك تحت هيئة بشرية غير حقيقيـة. وشبهوا جسده بالنور أو شعاع الشمس، فأن النور وشـعاع الشـمس يمكن لهما أن يخترقا لوحا من الزجاج دون أن يكسـرا هـذا اللـوح ". كـان مجـرد خيال[22]. جاء في " أعمـال يوحنا "[23] أحد كتبهم، أن المسـيح عنـدما كـان يسـير على الأرض لم يكن يـترك أثـرا لأقدامه، وعنـدما كـان يوحنا يحـاول الإمسـاك به كـانت يـده تخـترق جسـده بلا أي مقاومة حيث لم يكن له جسد حقيقي. وكانت طبيعة جسده متغـيرة عند اللمس، فتـارة يكـون ليناً وأخـرى جامداً ومـرة يكـون خاليـاً تمامـاً. كـان بالنسـبة لهم مجـرد شـبح وحياته على الأرض خيال. وكان يظهر بأشكال متعددة ويغير شكله كما يشاء وقتما يشاء!! ويبدو أنهم فهموا خطأ قول القديس بولس الرسول بـالروح " الله أرسل أبنه **في شـبه جسد** الخطية " (رو3:8)، " ولكنه أخلى نفسه أخـذاً صـورة عبد **صائراً في شبه الناس وأذ وجد في الهيئة كإنسان** " (في 2:7-8).

أي أنهم ركزوا على لاهوته فقط وتجاهلوا ناسوته تماما!!

2 – كما كان لهذه الجماعات، أيضا، اعتقادات أخرى في المسيح، فقـالوا أن المسـيح الإله نـزل على يسـوع الإنسـان وقت العمـاد وفارقه على الصـليب، وقـالوا أيضا أن المسـيح الإله والحكمة الإلهية نـزلا على يسـوع واتحـدا به وفارقـاه أيضا عند الصـليب! وفيما يلي أهم أفكـار قـادتهم كما نقلها القـديس إيريناؤس أسقف ليون:

(1) عقيدة ساتورنينوس (Saturninus) في خلق الكون:

---

(20) Ibid.

(21) Irenaeus Against Heresies b 3. 11.

(22) Irenaeus Ag. Her. 1:24,2. : وتاريخ الفكر المسيحي د القس حنا الخضري ج 1 206

(23) See NT Apoc. Vol. 2

كما شرحها القديس إيريناؤس. ونلخصها كالآتي:
(1) الآب (غير المدرك وغير المرئي).
(2) الممسوح (أو المسيح).
(3) القوات الفائقة.
(4) سبعة ملائكة خلقوا العالم، من بينهم إله اليهود (صباؤوت).
(5) ملائكة أخرى ورؤساء ملائكة وسلطات وقوات.
(6) الشيطان.
(7) أرواح شريرة.
(8) أول كائن بشري (آدم - آداماس).
(9) سلالة بشرية شريرة.
(11) سلالة بشرية خيرة تملك شرارة الحياة بداخلها.

يقول القديس إيريناؤس " ومن هـؤلاء جـاء سـاتورنينوس 000 وأشـار إلى آب واحد (مفـــرد) غـــير مـــدرك من الكل خلق الملائكة ورؤســـاء الملائكـــة والقـــوات والســـلاطين. **أما العـــالم وكل ما فيه فقد خلقته جماعة معينة من سبعة ملائكة. وعلاوة على ذلك فقد خُلق**

الكائن البشري (الإنسان) بواسطة الملائكة استجابة لظهور صـورة مضـيئة انبثقت من حضـرة القـوة الفائقة (المطلقـة). وعنـدما لم يسـتطع (هـؤلاء الملائكـة)، كما يقـول، كبح ذلك حيث تراجعـوا في الحـال فحـذروا أحدهم الآخر قائلين " لنصنع الإنسان على صورتنا كشـبهنا ". وعنـدما أتخذ شكلا لم يكن قادرا على أن يقف منتصباً لعدم مقدرة الملائكة أن يعطـوه القـــوة ولكنه انطـــوى على الأرض مثل الـــدودة. ثم أشـــفقت عليه القـــوة الفائقة لأنه جاء إلى الوجود على شبهها، وأرسلت له (هذه القـوة) شـرارة الحياة، التي أنهضت الكائن البشري وجعلته حياً.

ثم يقـول، وبعد نهاية (حيـاة الإنسـان)، ترجع شـرارة الحيـاة هـذه إلى العناصر المثيلة لها (مجال الخلود) وتنحل العناصر الأخرى التي جاءت منها إلى الوجود.

ثم أدعى أن المخلص الـذي لا جنس له (بلا ميلاد) غـير مـادي (بلا جسـد) ولا شكل له ظهر (افتراضا) ككـائن بشـري في المظهر فقـط. **وقـال أن إله اليهـود هو أحد الملائكـة. وبسـبب أن كل القـوات أرادت أن تبيد أبيه (الآب)، فقد جـاء المسـيح ليـدمر إله اليهـود وليخلص الـــذين يؤمنـــون بـــه، أي الـــذين فيهم شـــرارة الحيـــاة. هـــذا الهرطوقي كان أول من قـال أن الملائكة خلقـوا سـلالتين من البشر، واحدة شريرة والأخرى صـالحة (ربما يقصد ذرية قـايين وذرية شيث). ولأن الأرواح الشريرة كانت تساعد الأشـرار فقد جاء المخلص ليدمر البشر الأشـرار والأرواح الشـريرة وليخلص الصالحين.**

(2) عقيدة باسيليدس (Basilides) في خلق الكون:

يقول القديس إيريناؤس أن باسيليدس طور عقيدة خلق الكون كـالآتي: فقال " أن العقل (ناوس - Nous) كان هو بكر الآب غير المولود (الذي لم يولـد). والـذي منه ولد اللوجـوس (Logos)، ومن اللوجـوس (Logos) فرونيســيس (Phronesis)، ومن فرونيســيس (Phronesis) صــوفيا (الحكمة Sophia) وديناميس (القوة - Dynamis)، ومن صـوفيا (الحكمة – Sophia) وديـنـاميس (القـوة - Dynamis) خُلقت القـوات والسـلاطين والملائكـة. الـذين يـدعونهم الأول، وبواسـطتهم خُلقت السـماء الأولى. ثم تشكلت قوات أخرى منبثقة من هذه وخلقت سماء أخرى شـبيهة بـالأولى؛ وبنفس الطريقة، عندما تشكلت قوات أخرى بالانبثـاق عنهم ومتمـاثلين مع الذين فوقهم تماماً، شـكلوا هم أيضـاً سـماء ثالثـة، ثم من هـذه المجموعة الثالثة، في ترتيب أدنى، كان هناك تتابع رابع لهذه القوات

وهكذا، على نفس المثال أعلنوا أن هناك الكثير والكثير من القوات والملائكة، وثلاثمائة وخمس وستين سماءً، تشـكلت !! أي أن عـدد السـموات على عـدد أيام السنة !!

وقد شكل (خلق) هؤلاء الملائكة الذين يحتلون السماء السـفلى، أي المرئية لنا كل شيء في هذا العالم. وجعلوا لكل منهم حصة على الأرض وعلى الأمم الـتي عليهـا. **وكـان رئيس هـؤلاء (الملائكـة)، كما زعمـوا، هو إله اليهـود، ولأنه أراد أن يخضع كل الأمم لشـعبه، أي اليهـود، فقد قاومه كل الرؤساء الآخـرين وواجهـوه. وكـانت كل الأمم الأخـرى في عداوة مع أمته. ولكن الآب غـير المولـود (الـذي لم يولـد) ولا اسم له أدرك أنهم يجب أن يــدمروا، أرسل مولــوده الأول العقل (ناوس - Nous)، الذي يسمى المسيح، ليخلص الذين يؤمنـون به من قوة أولئك الذين خلقوا العالم ".**

ويقول عن المسيح: " **وظهر على الأرض كإنسان**، لأمم هـذه القـوات وصنع معجزات 000 **كان قوة غـير ماديـة، وعقل Nous الآب غـير المولود (الذي لم يولد). وكان يغير مظهره كما يشاء ".**

(3) عقيدة كاربوكريتس (Carpocrates) في خلق الكون:

ويقـول القـديس إيرينـاؤس " يقـول كـاربوكريتس **وأتباعه أن العـالم والأشياء الـتي فيه خلقتها الملائكة الأقل بدرجة عظيمة من الآب غير المولود (الذي لم يولد).** وقالوا أيضا أن يسوع هو ابن يوسف، وكـان مثل البشر الآخـرين باسـتثناء أنه يختلف عنهم في الاعتبـارات التاليـة، **فقد كـانت نفسه نقية وراسـخة، وقد تـذكر بدقة تلك الأشـياء الـتي شاهدها داخل مجال الآب غير المولود (الذي لم يولد). وعلى هـذا الاعتبار فقد نزلت عليه قـوة من الآب الـتي بواسـطتها يمكن أن يهـرب من خـالقي العـالم. ويقولـون أنه بعـدما مر من خلالهم**

جميعاً وبقي في نقطة حـراً، صـعد ثانية إليه وإلى القـوات الـتي بنفس الطريقة احتضنت مثل هذه الأمور لنفسها ".

(4) عقيدة ماركيون (Marcion):

والذي نادى بأن إله الناموس والأنبياء هو خالق الشرور الذي يبتهج بالحرب 00 **ولكن يسوع أشتق من الآب** الذي هو فـوق الإله الـذي خلق العـالم، وجـــاء إلى اليهودية في زمن بيلاطس البنطي الحـــاكم الـــذي كـــان وكيلاً لطيباريوس قيصر **وظهر في شكل إنسان** لأولئك الذين في اليهودية لاغياً الناموس والأنبياء وكل أعمال ذلك الإله الذي خلق العالم، والذي

يدعوه أيضا بخالق الكون. وبتر الإنجيل الذي بحسب لوقا، وأزال كل ما كتب فيما يختص بسلسلة نسب الرب، ووضع جانباً كماً كبيراً من تعليم الرب الذي فيه يسجل أن الرب يعـترف بـأن خـالق الكـون هو أبـوه. " وأزال من رسـائل بـولس الرسـول كل ما يختص بكـون الله هو خـالق العـالم وأنه أبو الـرب يسـوع المسـيح. كما أزال الكتابـات النبوية الـتي اقتبسها للإعلان عن مجيء الرب مقدماً.

وعلم أن الخلاص يمكن أن تحصل عليه تلك النفـــوس الـــتي تعلمت هذه العقيدة فقط 000 **وقال أن قـايين ومن هم على شـاكلته والسـدوميين والمصـريين وآخـرين غـيرهم، بل وكل الأمم الـتي سـلكت كل أنـواع البغض، خلصت بواسـطة الـرب في نزوله إلى الهاوية وفي جـــــريهم إليه ورحبـــــوا به في مملكتهم. ولكن الحية الـتي كـانت في مـاركيون أعلنت أن هابيل وأخنوخ ونوح والرجال الأبـرار الآخـرين الـذين جـاءوا من البطريرك إبراهيم، مع كل الأنبياء وأولئك الـذين أرضـوا الله لم يشاركوا في الخلاص، حيث يقول لأن هـؤلاء النـاس علموا أن إلههم كان يجربهم بثبات**، لذا فالآن شكوا في لأنه كان يجربهم، ولم يسرعوا إلى يسوع، ولم يؤمنوا بإعلانه، ولذا فقد أعلن أن نفوسهم ستبقى في الهاوية ".



الفصل الثاني

الأسفار القانونية والكتب الأبوكريفية

1 – معنى القانونية:

كلمة **قانون** (Canon – kanon - κανώνʹ) هي كلمة يونانية وتعنى " قصبة القيـاس "، " عصا مسـتقيمة "، " قاعـدة للقيـاس أو للحكم "، ويقابلها في العبرية " كانيه - kaneh – קָנֶה ". وقد اســتخدمتها الكنيسة في القـرون الأولى وبصـفة خاصة منذ أن أستخدمها القـديس اثناسيوس الرسـولي في رسـالته الفصـحية سـنة 367م للتعبـير عن " **الأسفار المقدسة " الموحى بها من الله؛ التي نطق بها الله** "، " **كل الكتـاب هو ما تنفس به الله** " (2تي3:16)، سـواء أسـفار العهد القديم أو أسفار العهد الجديد، وتمييزهـا، كأسـفار مكتوبة بـالروح القدس وكلمة الله، عن غيرها من الكتب الدينية الأخـرى غـير المـوحى بها، مثل التلمود وكتب آباء الكنيسة الأولى.

والسؤال الآن هو: ما الفرق بين أن نقـول أن هـذا السـفر كلمة الله المكتوبة بالروح القدس وأن هذا السفر قانوني؟ والإجابة هي:

(1) " **موحى به – مكتوب بالروح القدس** "؛ يعنى أن السفر وما جـاء به أعلنه الله بروحه وأوحى به لأنبيائه ورسـله، بـالروح القـدس، شـفاهه كما أوحى لهم بكتابته في كتب مسـوقين بـالروح القـدس، أي كلام الله الـذي كلمنا به من خلال الأنبيـاء شـفاهه وكتابة 000 الـوحي 000 كلمة الله.

(2) أما تعبـير " **سـفر قـانوني** " فيعـنى معرفة وتحقق شـعب الله المعاصر للنـــبي أو الرسل في العهد القـــديم، ومعرفة الكنيسة الأولى التي عاصرت الرسـل، تلاميذ المسـيح، أن هـذا السـفر هو نفسـه كلمة الله التي سبق أن أعطيت لهم بواسطة هؤلاء الأنبياء والرسل أنفسـهم سواء شفاهه أو مكتوبة وكانوا يحفظونها 000 أي قبـول السـفر ككلمة الله وحييه الإلهي، المكتـــوب بـــالروح القـــدس 000 تحقق الشـــعب المعاصر للأنبياء والرسل من حقيقة كون

السفر إلهياً وقبولهم له ككلمة الله.

2 - قانونية العهد الجديد وتأكيد وحيه:

قبل أن نبدأ دراستنا في هذا الموضوع يجب أن نـذكر بعض الأسـئلة التي لابد منها وهى؛

(1) من الذي قرر صحة ووحي وقانونية كل من أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد وكونها كلمة الله الموحى بها والمكتوبة بالروح القدس، الكنيسة أم تلاميذ المسيح ورسله؟

(2) ولماذا رفضت الكنيسة الكتب الأخرى التي انتشرت في أوساط الهراطقة، والتي لم يُقبل، آباء الكنيسة، أي كتاب منها في يوم من الأيام كسفر قانوني؟

(3) وهل الكنيسة هي التي قدمت للمؤمنين هذه الأسفار بعينها دون غيرها، أو بمعنى آخر؛ هل الكنيسة هي أم القانونية وحاكمتها وقاضيتها ومنظمتها وسيدتها، كما يتصور البعض من النقاد، أم أنها تسلمتها من رسل المسيح وتلاميذه؟

(4) هل حافظت الكنيسة على ما تسلمته من الرسل، أم زودت عليه أو نقّصت منه؟

(5) ولماذا رفضت الكتب الأبوكريفية ولم تقبل أي منها ككتاب قانوني في أي وقت من الأوقات؟ ما هي الأسباب والدوافع التي أدت إلى رفضها؟

(6) هل اختارت الكنيسة أسفارا ورفضت أخرى بصورة عشوائية، أو بحسب ما يتناسب معها ويرضي قادتها، كما يزعم البعض، أم أنها قبلت فقط ما تسلمته من الرسل؟

(7) هل اختارت عدداً محدداً من كم كبير من الكتب والأسفار التي كانت موجودة أمامها، أم تسلمت من رسل المسيح ورسله أسفاراً محددة ورفضت ما جاء من خارج دائرة الرسل والكنيسة الجامعة الرسولية الأرثوذكسية؟

والإجابة التي يؤكدها التاريخ والتقليد والأسفار المقدسة نفسها هي؛ أن الكنيسة كانت مبنية على أساس كلمة الله في هذه الأسفار المقدسة التي تسلمتها من الرسل وليست مقررة للقانونية، كما يقول الكتاب نفسه " **مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية** " (أف20:2). فقد أقرت الكنيسة الأولى بصحة ووحي هذه الأسفار، التي

تسلمتها من الرسل، وأنها مكتوبة بالروح القدس، وأدركتها وشهدت لها وبشرت بها وحفظتها بالروح القدس وسلمتها للأجيال التالية كما تسلمتها هي من الرب يسوع المسيح ورسله ولم تقررها.

كما أن كلمة قانون أو قانونية لم تستخدم للتعبير عن وحي وتدوين أسفار العهد الجديد بالروح القدس، الأناجيل الأربعة، الإنجيل بأوجهه

الأربعة، وسفر أعمال الرسل ورسائل الرسل، بولس ويعقوب وبطرس ويوحنا ويهــوذا أخو يعقــوب، وســفر الرؤيــا، وقبولها ككلمة الله ذات السلطان الإلهي حتى القرن الرابع الميلادي، وإنما قبلت هـذه الأسـفار حتى قبل أن تكتب باعتبارها كلمة الله ووحيه الإلهي. وكان لهذا القبول الذي سمي بعد ذلك بالقانونية، أسبابه ومبرراته:

(1) رسـوليه الرسـل، شـهود العيـان، وعمل الله معهم: فقد كُتب هذه الأسفار ودونها بالروح القدس تلاميذ المسيح ورسله وشهوده الـذين سـلموا للكنيسة نفس ما بشـروا به من قبل شـفاهه مؤيـدين بالعجائب والمعجزات التي تدل على عمل الـروح القـدس فيهم وكلامه على لسـانهم وبـأفواههم أو كما يقـول الكتـاب " **شـاهدا الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الـروح القـدس** " (عب 4:2). "ـ **وكانت عجائب وآيات كثيرة تجرى على أيدي الرسل** " (أع43:2). "ـ **وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب** " (أع12:5؛ 8:6؛3:14؛12:15). والتي تؤكد رسوليتهم كرسل الرب يســوع المســيح وأن كل ما ينــادون به ويعلمونه هو كلام الله بــالروح القدس. يقول القديس بولس بالروح " **بقوة آيـات وعجـائب بقـوة روح الله حـتى أنى من أورشـليم وما حولها إلى اللـيريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح** " (رو19:15)، "ـ **أن علامـات الرسول صنعت بينكم في كل صبر بآيات وعجائب وقوات** " (2كو12:12)، "ـ **انتم شهود والله كيف بطهارة وببر وبلا لوم كنا بينكم انتم المؤمـــنين كما تعلمـــون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشـجعكم ونشـهدكم لكي تسـلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجــده. من اجل ذلك نحن أيضا نشـكر الله بلا انقطـاع لأنكم إذ تسـلمتم منا كلمة خـبر من الله قبلتموها لا ككلمة أنــــــاس بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله الـتي تعمل أيضا فيكم انتم المؤمـنين** " (1تس10:2-13).

(2) التقليد الرسـولي المسـلم من رسل المسـيح: فقد كـان الذين قبلوا هذه الأسفار في البداية هم أنفسهم الـذين تسـلموا ما جـاء فيها من قبل شفوياً وكانوا يحفظون كل ما كتب فيها ككلمة الله ووحيه الإلهي بل وأكـثر مما كتب فيهـا، حيث كـرز رسل المسـيح ونـادوا لهم بالإنجيل وحفظـوه لهم بأسـلوب التعليم والتسـليم الشـفوي كما يقـول الكتـاب " **أمـدحكم أيها الأخـوة على إنكم تـذكرونني في كل شـيء وتحفظـون التعـاليم كما سـلمتها إليكم** " (1كو2:11)، " **لأنــني تسـلمت من الـرب ما سـلمتكم أيضا** " **(1كو23:11)**، " **فإنني سـلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضا** " (1كو3:15)، "

وما تعلمتموه وتسـلمتموه وسـمعتموه ورأيتمـوه في فهـذا افعلـوا " (فى4:9)، **"ـ لأنكم إذ تسـلمتم منا كلمة خـبر من الله قبلتموها لا ككلمة أنـــاس بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله التي تعمل أيضا فيكم انتم المؤمنين** " (1تس2: 13).

يقول القديس أكليمندس الإسكندري (150 ـ 215) المعروف بخليفة خلفـاء الرسل والـذي حفظ عنهم التقليـد، والـذي يقـول عنه المـؤرخ الكنسي يوسـابيوس القيصـري أنه كـان " **متمرسـاً في الأسـفار المقدسة** "[1]:ـ "ـ **وقد حافظ هـؤلاء الأشـخاص على التقليد الحقيقي للتعليم المبـارك، المسـلم مباشـرة من الرسل القديسـين بطـرس ويعقـوب ويوحنا وبـولس، إذ كـان الابن يتسـلمه عن أبيه 000 حـتى وصل إلينا بـإرادة الله لنحافظ على هذه البذار الرسولية** "[2].

هذا التعليم أو التسليم كان يسلم من الرسل إلى تلاميذهم وتلاميذهم يسلمونه لآخرين وهكذا " **وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه أناسا أمناء يكونـون أكفـاء أن يعلمـوا آخـرين أيضا** " (2تى2:2). فلما دونت الأناجيل كان هؤلاء يحفظـون كل ما دون فيها بل وأكـثر مما دون فيها.

(3) تسليم الأسفار للكنيسة الأولى: كما أن الذين استلموا هـذه الأسفار وقبلوها هم الذين طلبوا من الرسل أن يدونوا لهم ما سـبق أن تسـلموه شـفوياً، ومن ثم فقد دونت بـالروح القـدس لهم وأمـامهم وبمعـرفتهم ومن ثم قبلوها بكل قداسة ووقـار ككلمة الله المـوحى بها من الروح القدس.

يقول أكليمندس الإسكندري: " لما كـرز بطـرس بالكلمة جهـاراً في رومـا. وأعلن الإنجيل بـالروح **طلب كثـيرون من الحاضـرين إلى مـرقس أن يـدون أقواله لأنه لازمه وقتـاً طـويلاً وكـان يتذكرها. وبعد أن دون الإنجيل سلمه لمن طلبوه** ".

وتقـول الوثيقة الموراتورية " الإنجيل الرابع هو بواسـطة يوحنا أحد التلاميذ, إذ عنـدما **توسل إليه زملاؤه** (التلاميـذ) والأسـاقفة في ذلك قال: صوموا معي ثلاثة أيام ونحن نتفاوض مع بعضنا بكل ما يوحي الله به إلينـا. ففي هـذه الليلة عينها أعلن لأنـدراوس أحد الرسل أن يوحنا عليه أن يكتب كل شيء تحت اسمه والكل يصدق على ذلك ".

---

(1) يوسابيوس ك 5 ف1 (1.
(2) يوسا ك 5 ف5:11.

وهنا يتــبين لنا أن الأناجيل كتبت بنــاء على طلب المؤمــنين الــذين تسلموها من الرسل، الـذين سـبق أن سـلموها لهم شـفوياً، كتبت بنـاء على طلبهم وتحت سمعهم وبصرهم وكانوا من قبل يحفظونها شفوياً.

3 - الرسل وقانونية العهد الجديد:

كان للكنيسة في عصرها الأول قانونها ذو المصداقية الإلهية المتمثل في تلاميذ المسيح ورسله الذين سبق أن أختـارهم من بين جمهـور من المؤمــنين به وسـماهم رسـلاً وتلمـذهم على يديه ليكونـوا شـهودا له ولأعماله وأقواله وليحملــوا رسـالته (الإنجيــل) لجميع الأمم. اختــارهم ودعـــاهم هو نفسه بحسب إرادته ومشــورته الإلهية وعلمه الســابق، وتلمـــذهم على يديه حــوالي ثلاث ســنوات ونصف عاشـــوا فيها معه وتعايشوا معه بصورة كاملـة، فقد تركـوا كل شـيء وتبعـوه " **<u>ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك</u>** " (مت19: 27؛مر10:28؛لو18: 28)، أكلوا معه وشربوا، دخلوا معه وخرجوا ورأوا كل أعماله بعيونهم وسـمعوا كل ما قال وعلم ولمسوه بأيديهم. وكشف لهم أسرار ملكوت السـموات " **وقــال لهم لأنه قد أعطي لكم أن تعرفــوا أســرار ملكــوت السموات** " (11:13)، وزودهم بالسـلطان الرسـولي وفسر لهم كل ما تنبأ به عنه جميع أنبيــاء العهد القــديم ووعــدهم بــالروح القــدس ليحل عليهم ويســكن فيهم فيقــودهم ويــذكرهم بكل ما عمله وعلمه الــرب ويعلمهم أمورا جديدة، ويرشدهم للحق. فقد

كان الرسل هم شهود العيان الذين سمعوه ورأوه ولمسوه وكان معهم شاهدان آخران هما نبـوات العهد القـديم والـروح القـدس الـذي يشـهد فيهم وبهم ومن خلالهم:

(1) فقد ظل يظهر لهم بعد قيامته مـدة أربعين يومــاً كشف لهم فيها الأمور المختصة بملكوت السموات (أع1:3)، وشرح لهم كل ما سبق أن تنبأ به الأنبياء وكُتب عنه في جميع أسفار العهد القديم " **ثم ابتــدأ من موسى ومن جميع الأنبيـــاء يفسر لهما الأمــور المختصة به في جميع الكتب 000 وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم انه لابد أن يتم جميع ما هو مكتــوب عــني في نــاموس موسى والأنبيــاء والمزامــير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهمـوا الكتب. وقـال لهم هكـذا هو مكتـوب وهكـذا كـان ينبغي أن المســيح يتــألم ويقــوم من الأمــوات في اليــوم الثــالث. وان يكــرز باســمه بالتوبة ومغفــرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم. وانتم شهود لذلك** " (لو24 :26و44-48).

(2) وأعطاهم سلطاناً ليصنعوا الآيات والقوات والعجائب، وقبل صعوده مباشـرة أرسـلهم ليشـهدوا له في العـالم أجمع وليكـرزوا بالإنجيل في المسكونة كلها " **وقـال لهم اذهبـوا إلى العـالم اجمع واكـرزوا بالإنجيل للخليقة كلها** " (مر15:16)، " **فـاذهبوا وتلمـذوا جميع الأمم وعمـــدوهم باسم الآب والابن والـــروح القـــدس. وعلمـوهم أن يحفظـوا جميع ما أوصـيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر** " (مت19:28و20).

(3) وكان قد وعدهم، في الليلة الأخـيرة قبل الصـليب، بـأن يرسل لهم الـــروح القـــدس ليمكث فيهم ومعهم إلى الأبد ويعلمهم كل شـــيء ويذكرهم بكل ما عمله وعلمه الـرب يسـوع المسـيح ويخـبرهم بـالأمور الآتية ويرشدهم إلى جميع الحق:

+ " وأنا اطلب من الآب فيعطيكم **معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما انتم فتعرفونه لأنه مـــاكث معكم ويكـــون فيكم** " (يو16:14و17).

+ " وأما المعـزي الـروح القـدس الـذي سيرسـله الآب باسـمي فهو **يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم** " (يو26:14).

+ " ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو **يشهد لي**. وتشـهدون انتم أيضا لأنكم معي من الابتداء " (يو26:15).

+ " وأما مـتى جـاء ذاك روح الحق فهو **يرشـدكم إلى جميع الحق 000 ويخبركم بأمور آتية** " (يو13:16).

+ كما يتكلم على لســانهم " فمــتى أسـلموكم فلا تهتمـوا كيف أو بما تتكلمـون. **لأنكم تعطـون في تلك السـاعة ما تتكلمـون به. لأن لســتم انتم المتكلمين بل روح أبيكم الــذي يتكلم فيكم** " (مت19:10و20).

+ " بل مهما أعطيتم في تلك الساعة فبـذلك تكلمـوا **لان لستم انتم المتكلمين بل الروح القدس** " (مر11:13).

+ " **لان الـروح القـدس يعلمكم في تلك السـاعة ما يجب أن تقولوه** " (لو12:12).

+ " لأني **أنا أعطيكم فمــاً وحكمـــةً** لا يقـــدر جميع معانـــديكم أن يقاوموها أو يناقضوها " (لو15:21).

ثم أكد عليهم بعد قيامته أن يبدءوا البشارة بالإنجيل بعد أن يحل الروح القـــــــدس عليهم وليس قبل ذلك " وها أنا **أرسل إليكم موعد أبي. فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قـوة من الأعـالي** " (لو49:24)، وقبل صـعوده مباشـرة قـال لهم " لكنكم **ستنالون قـوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودا** في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة والى أقصى الأرض " (أع8:1).

وبعد حلول الروح القدس عليهم حمل تلاميذ المسيح ورسله الإنجيـل، البشارة السارة والخـبر المفـرح للعـالم كله وكـان الـروح القـدس يعمل فيهم وبهم ويـوجههم ويقـودهم ويرشـدهم ويتكلم على لسـانهم وبفمهم. وهكذا كـرزوا وبشـروا بالإنجيل للمسـكونة كلها يقـودهم الـروح القـدس، وكـانوا خـير شـهود له " فيسـوع هـذا أقامه الله **ونحن جميعا شـهود لذلك** " (أع32:2)، "ـ ورئيس الحياة قتلتموه الـذي أقامه الله من الأمـوات **ونحن شـهود لـذلك** " (أع15:3)، " **ونحن شـهود له بهـذه الأمـور والروح القدس أيضا** الذي أعطاه الله للذين يطيعونه " (أع32:5)،

" **ونحن شــــهود بكل ما فعل في كـــــورة اليهودية وفي أورشـليم. الـذي أيضا قتلـوه معلقين إيـاه على خشـبة** " (أع 39:10).

وكان جوهر رسالتهم وشهادتهم، كما يقول القديس يوحنا، هو " **الذي كـان من البـدء الـذي سـمعناه الـذي رأينـاه بعيوننا الـذي شاهدناه ولمسـته أيـدينا من جهة كلمة الحيـاة. فـان الحيـاة أظهـرت وقد رأينا ونشـهد ونخـبركم بالحيـاة الأبدية الـتي كانت عند الآب وأظهرت لنا. الذي رأينـاه وسـمعناه نخـبركم به لكي يكون لكم أيضا شـركة معنا. وأما شـركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح 000 ونكتب إليكم هذا لكي يكون فرحكم كاملا** " (1يو1:1-4)، وكما يشهد القديس بطرس قائلاً " لأننا لم نتبع خرافــات مصــنعة **إذ عرّفنــاكم بقــوة ربنا يســوع المســيح ومجيئه بل قد كنا معــاينين عظمته**. لأنه اخذ من الله الآب كرامة ومجدا إذ اقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسـنى هـذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به. **ونحن سمعنا هـذا الصـوت مقبلا من السماء إذ كنا معه في الجبل المقدس** " (2بط1:16-18).

كان تلاميذ المسيح ورسله، كشهود عيـان، هم المسـتودع الأمين لما عمله وعلم به الرب يسوع المسيح لذا فقد تساوت وصاياهم وتعاليمهم مع تعاليم أنبياء العهد القديم ومع وصـايا الـرب نفسه لأن وصـيتهم هي وصــيته وتعــاليمهم هي تعاليمه ؛ يقــول القــديس بطــرس بــالروح " **لتـذكروا الأقـوال الـتي قالها سـابقا الأنبيـاء والقديسـون**

ووصيتنا نحن الرسل وصية الرب والمخلص " (2بط2:3)، ويقـول القديس يهوذا الرسول " أخو يعقوب " (أع1: 17)، " وأما أنتم أيها الأحباء **فاذكروا الأقوال التي قالها سابقاً رسل ربنا يسوع المسـيح** " (يه17).

وهـذا ما تعلمه وعلمه أيضا الإبـاء الرسـوليون تلاميـذ الرسل الـذين تتلمذوا على أيديهم واستلموا منهم الأخبار السارة:

+ يقول القديس أغناطيوس الأنطاكي تلميذ بطرس الرسول " **أثبتـوا إذاً على تعـاليم الـرب والرسل** "[3]. " ثـابروا على الاتحـاد بإلهنا يسوع المسيح وبالأسقف **وبوصايا الرسل** " [4].

+ ويقول أكليمندس الروماني تلميذ بولس الرسـول والـذي يقـول عنه القـديس إيرينـاؤس أنه " **رأى الرسل القديسين وتشـاور معهم** "[5] ؛ " **من أجلنا اسـتلم الرسل الإنجيل من الـرب يسـوع المسيح ويسوع المسيح أرسل من الله (الآب)** "[6].

+ ويقول بوليكاربوس الذي رافق الرسل خاصة القديس يوحنا الحبيب " فلنخدمه (المسيح) بخوف وتقــوى **كما يأمرنا هو والرسل الذين بشرونا بالإنجيل والأنبياء** الذين أعلنوا لنا عن مجيء الرب "[7].

+ ويقـول القـديس إيرينـاؤس أسـقف ليـون (120-202م) " **إذ أن الرسل وضـعوا في أيـدي الكنيسة كل الأمـور الـتي تخص الحق بغزارة وفيرة، مثل رجل غـنى (أكتـنز مالـه) في بنك، لـذلك فكل إنسـان أيا كـان يسـتطيع أن يسـحب منها مـاء الحياة** "[8].

سـلم الرسل الكنيسة ما تسـلموه هم من الـرب " **أنـني سـلمت إليكم ما تسـلمته من الـرب** " (1كو23:11)، وعلمـوا المؤمـنين أن يحفظوا جميع وصايا وأعمال الـرب بكل دقة وحـرص أن يتمسـكوا بكل حرف وكلمة وجملة وفقرة " **تمسك بصورة الكلام الصحيح الـذي سـمعته مـنى 00 أحفظ الوديعة الصـالحة بـالروح القـدس الساكن فينا** " (2تي13:1و14). وكان الروح القدس يحفظ الكلمة سـواء بالنسبة للرسل أو لمن سلموهم الأخبار السارة والـذين كـانوا بـدورهم

(3) 1:13 رسالته إلى ماجنسيا.
(4) 1:7 إلى تراليس.

(5) 16 الأباء الرسوليين للبطريرك إلياس الرابع معوض ص.
(6) 1:42 رسالته الأولى.
(7) 3:6 رسالته إلى فيلبى.
(8) 17:22رؤ N. T. Apoc.

يسلمونها لآخرين أكفاء " **وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونـون أكفـاء أن يعلمـوا آخـرين أيضا** " (2تي2:2).
وكان الرسول بولس يمتدح أهل كورنثوس لحفظهم وحفـاظهم على ما تسلموه " **فأمدحكم أيها الأخـوة على أنكم تـذكرونني في كل شئ وتحفظون التعاليم كما سلمتها إليكم** " (1كو2:11)، ويشـكر الله من أجل أهل روما لإطــاعتهم التســليم الرســولي من القلب " فشــكراً لله أنكم كنتم عبيـــداً للخطية **ولكنكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها** " (رو17:6)، ويقول لأهل تسالونيكي " فـأثبتوا إذاً أيها الأخـوة **وتمسـكوا بالتعـاليم الـتي تعلمتموهـا سواء كان بالكلام أم برسالتنا** " (2تس15:2)، ويقـول القـديس لوقا الإنجيلي بـالروح أن ما سـلمه الرسل للكنيسة كـان مؤكـداً عنـدهم " **الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كـانوا من البـدء معــاينين** (شــهود عيــان) **وخــداماً للكلمة** " (لو1:1و2). فقد كــان المسيحيون الأولـون يحفظـون كل حـرف وكل كلمة سـلمت إليهم عن ظهر قلب، وكانوا كيهود سابقين مـدربين على الحفظ، حفظ كلمة الله والتمسك بكل حرف فيها حتى الموت[9]، وكان الروح القدس السـاكن فيهم يحفظ الكلمة فيهم ويـــــــذكرهم بها في كل وقت، كما أنهم لم يكونـوا في الأيـام الأولى للكـرازة في حاجة لإنجيل مكتـوب لأن وجـود الرسل شــهود المســيح على رأس الكنيسة، على قيد الحيـــاة - فهم الوثيقة الحية والصـوت الحي للشــهادة عن المســيح عن كل ما عمله وعلمه - وحـــتى بعد انتشـــار رســـائل الرسل وتــــدوين الإنجيل ظل المؤمنـون يلجئـون للرسل لمعرفة المزيد عن المسـيح. يقـول بابيـاس أسـقف هـيرابوليس (70-155م) والـذي أسـتمع للقـديس يوحنا وكـان زميلاً لبوليكاريوس، كما يقول إيريناؤس[10]: " **وكلما أتى أحد ممن كان يتبع المشايخ سألته عن أقوالهم، عما قاله أندراوس أو بطرس، عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو متى أو أي أحد آخر من تلاميذ الـرب 000 لأنــني لا أعتقد أن ما تحصل عليه من الكتب يفيـــدني بقــــدر ما يصل إلى من الصوت الحي، الصوت الحي الدائم** "[11].

كان الرسل يعينون قادة الكنائس ويسلمونهم التقليد، التعليم، الأخبار السارة، الإنجيل ليسلموه بـدورهم لآخـرين: " **وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صـليا بأصـوام واسـتودعاهم للـرب الـذي كانوا قد آمنوا به** " (أع23:14)، " وإذ كانوا (بولس وسيلا وتيموثاوس) يجتـازون في المـدن **كـانوا يسـلمونهم القضـايا الـتي حكم بها**

(9) وقد حفظ اليهود التلمود شفوياً لمئات السنين ولم يدون إلا حوالي 200 م.
(10) يوسابيوس ك3 ف 1:39.
(11) يوسابيوس ك 3 ف 4:39.

الرسل والمشايخ الذين في أورشـليم ليحفظوها " (أع4:16).ــ " **فقد أرسـلنا يهـوذا (برسـابا) وسـيلا وهما يخـبرانكم بنفس الأمور شفاهاً** " (أع27:15).

هؤلاء المسيحيون الأولون حفظـوا ما سـمعوه بـآذانهم وما شـاهدوه بأعينهم وما سلمه لهم الرسل، فقد صاروا لهم تلاميـذاً، وحـافظوا عليه حتى الموت وكان الروح القـدس يعمل فيهم وأيضا بهم. وكـانوا كيهـود سـابقين مـدربين على حفظ كلمة الله وحفظ تقليد آبـائهم حيث أنهم اعتادوا على ذلك جيداً.

ثم دعت الحاجة لتـدوين الإنجيل وكتب الرسل معظم أسـفار العهد الجديد قبل سـنة 70 ميلادية عنـدما كـان معظمهم أحيـاء حيث دون الإنجيل للقديس مـرقس فيما بين سـنة 45 وسـنة 50م، ودون الإنجيل للقديس متى قبل 62م، ودون الإنجيل للقديس لوقا فيما بين سـنة 60 و62م وسـفر أعمـال الرسل قبل سـنة 67م وكتب القـديس بـولس رسائله الأربع عشره فيما بين سـنة 50 وسـنة 67م والقـديس يعقـوب الرسـول فيما بين سـنة 49 و 62م حيث يـرى البعض أنها كتبت قبل مجمع أورشـليم سـنة 50م ويـرى البعض الآخر أنها كتبت في أواخر حياته فيما بين سـنة 60 وسـنة 62م وكتب القـديس بطـرس رسـالتيه قبل استشهاده سـنة67م، وكتب القـديس يهـوذا أخو القـديس يعقـوب رسالته بعد رسالة بطرس الثانية وقبل سنة 70م، ودون القديس يوحنا الإنجيل الرابع وسـفر الرؤيا وكتب رسـائله الثلاث فيما بين سـنة 80 وسنة 96م حيث ترك العالم حوالي 100م.

وقد قبلت الكنيسة هذه الأسفار فور تدوينها واسـتخدمها الرسل في كـرازتهم كالإنجيل المكتـوب، وكـانت تقـرأ في الكنـائس واجتماعـات العبادة، في الكنائس التي كتبت فيها ولها أولاً، مع أسـفار العهد القـديم بالتسـاوي، " **مبنـيين على أسـاس الرسل والأنبيـاء ويسـوع المسيح نفسه حجر الزاوية** " (أف20:2)، "**لتذكروا الأقوال التي قالها سابقا الأنبياء القديسون ووصـيتنا نحن الرسل وصـية الرب والمخلص** " (2بط2:3)، خاصة في أيام الأحد، يقـول يوسـتينوس الشـهيد (حـوالي 150م): " **وفى يـوم الأحد يجتمع كل الـذين يعيشون في المدن أو في الريف معاً في مكان واحد وتقرأ مـذكرات الرسل (الأناجيـل) أو كتابـات الأنبيـاء بحسب ما يسمح الوقت**"[12].

---

[12] Abology:47.

ويقول القديس بولس بالروح لأهل تسالونيكي " **أناشدكم بـالرب أن تقـرا هـذه الرسـالة على جميع الإخـوة القديسـين** " (1تس 27:5).

ويؤكد سفر الرؤيا على ترتيب الكنيسة وطقسها في قراءة الأسفار المقدسة في الاجتماعـات والقداسـات، وعلى حقيقة كـون السـفر هو كلمة الله، فيقول " **طوبى للذي يقرا وللـذين يسـمعون أقـوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لان الـوقت قـريب** " (رؤ 3:1) وتتكــرر في الســفر عبــارة " **من له أذن فليســمع ما يقوله الروح للكنائس** " سبع مرات (رؤ2 :7و11و17و29؛ 6 :،13و22). كما يؤكد على حقيقة قـراءة السـفر عمومـاً ككتـاب مقـدس لا يجـوز تحريفه أو زيادة حرف عليه أو نقص حرف منه عنـدما يختم السـفر بقوله " **لأني اشهد لكل من يسمع أقـوال نبـوة هـذا الكتـاب أن كـان أحد يزيد على هــذا يزيد الله عليه الضــربات المكتوبة في هــذا الكتاب** " (رؤ18:22).

وكـانت تنسخ نسـخاً من هـذه الأسـفار وترسل للكنـائس القريبة والمجاورة، وكانت كل كنيسة تحتفظ بالسفر الذي كتب لها أصلاً، سواء كان هذا السفر إنجيلاً من الأناجيل الأربعة أو رسالة من رسائل الرسل أو سفر الأعمال أو سفر الرؤيا، وتحتفظ بنسخ من الأسـفار الـتي كتبت أو أرسـلت للكنـائس الأخـرى. يقـول القـديس بـولس في رسـالته إلى كولوسي " **ومتى قرئت عندكم هـذه الرسـالة فاجعلوها تقـرا أيضا في كنيسة اللاودكيين والتي من لاودكية تقرأونها انتم أيضا** " (كو16:4).

وهكذا بدأت تتجمع أسفار العهد الجديد معاً بالتدريج حسب المناطق والكنـائس الـتي أرسـلت إليها أولاً حيث بـدأت تتجمع رسـائل القـديس بولس معـاً ثم الأناجيـل. ويجب أن نضع في الاعتبـار أن الأناجيل الثلاثة الأولى، ثم إنجيل يوحنا بعد ذلــك، كــانت الأســرع في الانتشــار يليها رسائل بقية الرسل الـتي كتب بعضـها قبل الأناجيل وسـفر الرؤيـا. كما كنت الرسائل تنتشر في المناطق المجاورة للأماكن التي أرسـلت إليها أولاً، أما الأناجيل فقد كان انتشارها مرتبطـاً بكـرازة الكثـير من الرسل الــتي حملوها معهم إلى أمــاكن متفرقة من العــالم. ومن هنا تــأخر الاعتراف ببعض هـذه الرسـائل وسـفر الرؤيا في البلاد الـتي لم ترسل إليها أولاً، وذلك على الـرغم من القبـول الفـوري لها في الأمـاكن الـتي أرسلت إليها أصلاً.

4 - الآباء الرسوليون وأسفار العهد الجديد:

الآبـاء الرسـوليون هم تلاميذ الرسل وخلفاؤهم الـذين تتلمـذوا على أيديهم وخدموا معهم

وكـانوا معـاونين لهم وصـاروا خلفـاء لهم واسـتلموا مسـئولية الكـرازة والخدمة من بعدهم، وحملوا الإنجيل، سواء الشفوي أو المكتوب، وكان مصـــدر عقيـــدتهم ومصـــدر تعليمهم، ومن ثم فقد استشـــهدوا بآياته ونصوصه في كرازتهم وعظاتهم وتعليمهم، وكتاباتهم الـتي بقى لنا منها عدد كاف ليكشف لنا عما تسلموه من الرسل وما تعلموه وعلمـوه من عقائد. وكان على رأس هؤلاء الشخصيات التالية التي تركت لنا أعمـالاً مكتوبة ظلت ومازالت تشهد للأجيال لصحة كل نقطة وكل حـرف وكل كلمة وكل آية وكل فقـــرة وكل إصـــحاح وكل ســـفر في العهد الجديد والكتاب المقدس كله.

(1) القديس أكليمندس الروماني (30 -110م)، كما يقـول عنه يوسابيوس القيصري في تاريخه، أسقفا لروما ومسـاعداً للقـديس بـــولس[13]، وقـال عنه القـديس جـيروم سـكرتير بابا روما (343 – 420م) ؛ " هـذا هو الـذي كتب عنه الرسـول بـولس في الرسـالة إلى فيلبي "[14]، وقال عنه القديس بولس الرسـول انه جاهد معه في نشر الإنجيل (في3:4)، والـذي تعـرف على الكثـيرين من الرسل وتعلم منهم، يقـول عنه القـديس إيرينـاؤس أسـقف ليـون (120 -202م) " أسس الرسل الطوبـاويون الكنيسة (كنيسة رومـا) وبنوها وسـلموا الأسـقفية للينـوس 000 ثم خلفه انـاكليتوس، وبعـده الثـالث من الرسل صـارت الأسقفية لأكليمندس. هذا الرجل **<u>رأى الرسل الطوباويين وتحدث معهم وكانت كـرازتهم لا تـزال تـدوي في أذنيه وتقاليـدهم ماثلة أمـــام عينيه</u>**. ولم يكن هو وحـــده في هـــذا لأنه كـــان يوجد الكثيرون الباقون من الذين تسـلموا التعليم من الرسل "[15]. كما قـال عنه العلامة أوريجـانوس (185 -230 -254) " أكليمنـدس الـذي رأى

(2) والقديس أغنـاطيوس (30 -ـ 107م) الـذي كـان أسـقفاً لإنطاكية بسوريا وتلميذاً للقديس بطـرس الرسـول وقـال عنه المـؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصـري (340م) " **أغنـاطيوس الـذي اختـير أسقفاً لإنطاكية خلفاً لبطرس والذي لا تـزال شـهرته ذائعة**

---

(13) " وفي السنة الثالثة عشرة من حكم نفس الإمبراطور (فاسبسيان الذي حكم من أول يولية سنة 69م إلى 24 يونية سنة 79م) تولى أكليمندس أسقف كنيسة روما خلفاً لأنتيلكتس الذي ظل فيها اثنتي عشرة سنة . ويخبرنا الرسول بولس في رسالته إلى أهل فيلبي أن أكليمندس هذا كان عاملاً معه (في3:4) " . يوسابيوس ك 3ف15.

(14) " أكليمندس هذا هو الذي كتب عنه الرسول بولس في الرسالة إلى فيلبي قائلاً 000 وهو رابع أسقف لروما " (مشاهير الرجال ف 15).

(15) Adv. Haer.b.3:3.

(16) Origen De Principiis iii .6.

بين الكثيرين "[17]. وقد كتب هـذا الرجل سـبع رسـائل أكد فيها على المساواة بين ما كتبه الرسل وبين أسـفار العهد القـديم فجميعها كلمة الله المـوحى بها وأسـفار مقدسة وأستشـهد فيها بما جـاء في الإنجيل للقديس متى والإنجيل للقديس يوحنا وسفر أعمال الرسل وما جاء في الرســـائل إلى رومية وكورنثـــوس الأولى وأفسس وكولولســـي وتسالونيكي الأولى وكانت آيات الإنجيل للقديس يوحنا مؤثرة جداً على عقله وفكره وقلبه ويبدو أنه كان السفر المفضل لديه.

(3) والقديس بوليكاربوس (65 - 155م) أسقف سميرنا بآسيا الصغرى (حاليا أزمير بتركيا) والذي قال عنه كل من القديس إيريناؤس والمؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصـري أنه كـان تلميـذاً للقـديس يوحنا وبعض الرسل الذين أقاموه أسقفاً على سميرنا بآسيا الصـغرى والـذي استلم منهم التقليد الرسـولي، يقـول عنه القـديس إيرينـاؤس " **ولكن بوليكاربوس لم يكن متعلمـاً من الرسل فحسب بل وتحـدث مع الكثـيرين من الـذين رأوا المسـيح وتعين من الرسل في أسيا أسـقفاً لكنيسة سـميرنا، الـذي رأيته في شـبابي 000 كان رجلاً أكثر عظمة وأكثر رسوخاً في الشهادة للحق** "[18].

" **إنه لا يزال ثابتاً في مخيلتي ما كان يتصف به القـديس بوليكـاربوس من احتشـام ورصـانة مع احـترام هيئته ووقـار طلعته وقداسة سـيرته، وتلك الإرشـادات الإلهية الـتي كـان يعلم بها رعيته ويأبلغ من ذلك كأني أسمع ألفاظه التي كان ينطق بها عن الأحاديث الـتي تمت بينه وبين القـديس يوحنا الإنجيلي وغيره من القديسين الذين شاهدوا يسوع المسيح على الأرض وتـــرددوا معه وعن الحقـــائق الـــتي تعلمها وتسلمها منهم** "[19].

وكان التـاريخ الحاسم لقـانون العهد الجديد هو الفـترة من 140 إلى 200م، وخاصة بعدما ظهر مركيـون ووضع لنفسه قانونا للعهد الجديـد، خاص به وحدة وبشيعته، هذا القانون يتكون من إنجيل الرب الذي أخذه عن الإنجيل للقـديس لوقا فقط وعشر رسـائل من رسـائل القـديس بـولس، وأسـمى قانونه هـذا بـ " **الإنجيل والرسـول** " ورفض بقية العهد الجديد وكل العهد القـــديم!! وكـــذلك لما ظهر قـــادة الهرطقة الغنوسية الدوسيتية، الآخرين، وبـدأوا يكتبـون الكتب الخاصة بأفكـارهم وعقائـدهم وينسـبونها لتلاميذ المسـيح بصـورة مكشـوفة لا تتفق وفكر الكنيسة، بل وراح كل كاتب من كُتاب هذه الكتب ينسب لنفسه أو لأحد

---

(17) يوسابيوس ك3ف2:36.

(17) Ag.Hear. iii.2,4.

(19) الآباء الرسوليين للقمص تادرس يعقوب ص 126.

التلاميـذ، بل ويـزعم أن هـذا التلميذ المزعـوم قد خصه المسـيح وحـده بأسـرار لم يخص بها غـيره من التلاميذ وطلب منه أن يـدونها بعد ذلك في كتاب!!

ومن هنا اضطرت الكنيسة أن تضع قانونها الموثوق به وهو ما تسلمته من الرسل، الإنجيل بأوجهه الأربعة وسفر أعمال الرسل للقديس لوقا والرسائل الجامعة وسفر الرؤيا، الأسفار السبعة والعشـرون. وأن تعلن أنه لا يوجد أي إنجيل صـــحيح، تم تســـليمه لآبـــاء الكنيسة من رسل المســيح مباشــرة، ســوى الإنجيل بأوجهه الأربعة الــتي جمعها ودونها بالروح القدس الإنجيليون الأربعة متى ومرقس ولوقا ويوحنـا، كما قـال القديس إيريناؤس وأكد على وجود الإنجيل بأوجهه الأربعة وانتشاره في كل مكـــان حـــتى الهراطقة: " **الأرض الــتي تقف عليها هـــذه الأناجيل أرض صـلبة حـتى أن الهراطقة أنفسـهم يشـهدون لها ويبـــدأون من هـــذه الوثـــائق وكل منهم يســـعى لتأييد عقيدته الخاصة منها** "[20].

وبرغم أن آباء نهاية القرن الأول وبداية الثاني اقتبسوا، معاً، من كل أسفار العهد الجديد، إلا أن كل واحد منهم أقتبس مجموعة منها بحسب الموضوع الذي كتب فيه، ولم يكن قصدهم أظهار قانون للعهد الجديـد، لأنه لم تكن الحاجة قد دعت لـذلك، أنما عـبروا من خلال ما اقتبســوه عن إيمانهم به ككلمة الله الموحى بها والمكتوبة بالروح القـدس. إلا أن آباء منتصف القرن الثاني وبداية القرن الثالث كـانت كتـابتهم أكـبر في الكم والكيــف، وكـانت أكثرها دفاعيــة، مثل دفـاع يوســتينوس الموجه للإمــبراطور الرومــاني وحــواره مع تريفو اليهــودي، وكتابــات كل من إيريناؤس وترتليانوس وهيبوليتوس ضد الهراطقة، فقد أوضحت صــورة قانون العهد الجديد كما كـانت معروفة في الكنيسة وكما تسـلموها من الرسل، لـذا شـهدوا لكل أسـفار العهد الجديد ودافعـوا عنها ككلمة الله الوحيـدة المـوحى بها بـالروح القـدس والمسـلم مـرة للقديسـين من المسيح ثم رسله وتلاميذه.

5- أهم وثائق قانونية العهد الجديد:

وفيما يلي أهم وثائق قانونية العهد الجديد في الكنيسة الأولى:

(1) يوستينوس الشهيد (100 - 165م):

من نابلس بفلسطين وقد كرس حياته للدفاع عن المسيحية وكان من أول المدافعين عنها وقد بقى لنا مما كتبه دفاعـان عن المسـيحية كـان قد وجههما إلى الإمبراطور الروماني أنطونيوس بيوس (138 ـ 161م)

(20) Ag. Haer. 3:11,8.

والسانتوس الروماني[21]، وحوار مع شخص يدعى تريفو اليهـودي. وقد شـهد فيهمـا للأناجيل الأربعة وأشـار إليهـا أكـثر من سـبع عشـرة مـره بعبـارات مثـل: " لأن الرسل سـلموا لنا في المـذكرات الـتي دونوها **والتي تسمى أناجيل** "[22]. ثم يقـول معـبرا عن فكر معاصـريه في وحي العهد الجديد " **وكما علمنا الـذين سـجلوا كل ما يختص بمخلصنا يسوع المسيح الذين صدقناهم** (آمنا بهم) "[15]. و" لأنه كما آمن إبراهيم بصوت الله وحسب له ذلك بـراً ونحن بنفس الطريقة آمنا بصـوت الله الـذي تحـدث لنا بواسـطة رسل المسـيح **وأعلن لنا بواسطة الأنبياء** حتى الموت أن إيماننا تبرأ بكل ما في العـالم "[16]. كما تحدث عن انتشار الأسـفار المقدسـة، العهد الجديد والعهد القـديم، في كل مكـان في العـالم كـان يوجد به مسـيحيون، وعن قراءتها في اجتماعـات العبـادة في الكنـائس في كل مكـان " **وفي اليوم الـذي يدعى الأحد يجتمع معاً كل الذين يعيشون في المدن أو في الريف في مكان واحد وتقرأ مـذكرات الرسل (الأناجيـل) أو كتابـات الأنبيـاء بحسب ما يسـمح الـوقت، وعنـدما يتوقف القارئ يعلم الرئيس وينصح بالعمل بهذه الأمور السارة**

"[17]. كما اقتبس واستشهد بكثير من آياتها؛

+ فقد استشـهد بما جـاء في الإنجيل للقـديس مـتى عن ظهـور النجم للمجـوس وقت ميلاد السـيد المسـيح، في قوله " **عنـدما ظهر نجم في السماء وقت ميلاده كما هو مسجل في مـذكرات رسـله** (أي الأناجيل) **أدرك المجوس، من العربية، العلامة بهـذه فـأتوا وسجدوا له** " (Dial.106.4 مع متى 1:2).

+ واستشـهد بما جـاء في الإنجيل للقـديس لوقا عن سـقوط عـرق كقطرات دم من

السـيد وهو في البسـتان " **مكتـوب في المـذكرات الـتي دونها الرسل** وأتبـاعهم (أي الأناجيـل)، كما قلت، أن عرقه سـقط مثل قطـرات دم عنـدما كـان يصـلى ويقـول " أن أمكن فلتعـبر عـنى هـذه الكأس " (Dial,103.8 مع لوقا 42:22،44).

(212) يوسابيوس ك4ف18 ؛ وجيروم " مشاهير الرجال ف 23.
(22) 1Apol 97-Dial.103.
(23) 1Apol. 33.
(24) Dial.19.

(25) 1Apol.67.

+ واستشـهد بـالكثير مما جـاء في الإنجيل للقـديس يوحنا مثل قوله " **قال المسيح أيضاً**: أن لم تولدوا ثانية فلن تدخلوا ملكوت السـموات " (Apol.61.4؛ مع يو5:3). مشيراً إلى حوار الرب مع نيقوديموس (يو3:3-5).

+ وقـال عن سـفر الرؤيا " وعلاوة على ذلك لـدينا أيضـاً رجل يـدعى **يوحنا وهو أحد رسل المسـيح تنبأ في رؤيا صـارت له** " (Dial.81.4 مع رؤ1).

(2) تاتيان السوري (110 - 172م):

هذا الرجل كان تلميذا ليوستينوس الشـهيد، ثم أنحـرف عن الإيمـان السليم، وقد جمع فيما بين (166 ـ 170م) الأناجيل الأربعة في كتـاب واحد أسماه " دياتسرون "، أي الرباعي، وقد أنتشر هذا الكتاب بغزارة في سـوريا حـتى جمع منه ثيـودوريت، أسـقفCyrus بسـوريا، سـنة 420م أكـثر من 200 نسـخه في كنائسه وأسـتبدلها بالأناجيل الأربعـة. ويبـدأ هـذا الكتـاب بمقدمة الإنجيل للقـديس يوحنا " **في البـدء كـان الكلمة** 00 "ـ وينتهي أيضا بخاتمة الإنجيل للقـديس يوحنا " **وأشـياء أخر كثـيرة صـنعها يسـوع** 00 " وهو يشـهد للإنجيل بأوجهه الأربعة باعتباره الإنجيل الواحد.

(3) الوثيقة الموراتورية (170م):

وجـــدت هـــذه الوثيقة الموراتورية أو المخطوطة الموراتورية في المكتبة الامبروسية Ambrosian - بميلان سنة 1740م ونشرها العالم الإيطـــالي موراتـــوري Muratori فـــدعيت باســـمه. وكـــانت مكتوبة باللاتينية. وترجع نصوص هذه المخطوطة، الـتي كتبت أصـلاً باليونانيـة، كما تؤكد هي نفسـها، في النصف الثـاني من القـرن الثـاني الميلادي حيث تقول الوثيقة " كتب هرماس (كتابه) الراعي حديثاً جداً في زماننا في مدينة روما عندما كـان يجلس شـقيقه الأسـقف بيـوس Pius على كرسي الكنيسة في روما "[26]. وكانت سـطورها الأولى مفقـودة وتبـدأ بعبارة عن الإنجيل الثاني الـذي للقـديس مـرقس وتقـول " **الذي فيه كـان حاضـراً وقد دونه** "، ثم تتحـدث عن الإنجيل الثـالث الـذي للقديس لوقا مما يؤكد أنها تحدثت في السـطور المفقـودة عن الإنجيل للقديس متى ثم الإنجيل للقديس مرقس والذي تبقى منه هـذا السـطر المذكور أعلاه.

" **كتاب الإنجيل الثالث، الذي بحسب لوقـا، هـذا الطـبيب لوقا بعد صعود المسيح (قيامتـه)؟ أخـذه بـولس معه كخبـير في الطريق (التعليم)، دونه باسـمه حسب فكـره، مع أنه لم**

(26) James R. Adair , Jr. M.Frag.

ير الرب في الجسد، ولأنه كان قادراً على التحقق منه، فقد بدأ يروى القصة من ميلاد يوحنا.

رابع الأناجيل هو الذي ليوحنا (أحد) الرسل. الـذي عنـدما حثه تلاميذه وأساقفته قال: صـوموا معي من اليـوم ولمـدة ثلاثة أيـــام وما يعلن لكل واحد فلنقله بعضـــنا لبعض. وفي نفس الــوقت كُشف لأنـــدراوس، أحد الرســل، أن ما ينجح (يفحص) الكل فيه يجب أن يــدون يوحنا كل شــيء باســمه. ولذا فعلى الرغم من وجود أفكــار متنوعة تعلم في الإنجيل ككل (أي الأناجيل الأربعــة) إلا أن هــذه الأمــور لا تســبب اختلافــاً لإيمــان المؤمــنين، لأن كل ما فيها أُعلن بــالروح الواحد.

فكل شيء معلن في الكـل: ما يختص بـالميلاد وما يختص بالآلام وما يختص بالقيامة وما يختص بالأحاديث مع التلاميذ، ما يختص بمجيئه الأول محتقر في تواضـــع، والثــاني ممجد في قوة ملوكية. فما العجيب إذا في أن يــورد يوحنا نقاطــاً خاصة في رســائله أيضــاً، فهو دائمــاً صــادق مع نفســه، إذ يقـــول هو نفسه " الـــذي رأينـــاه بعيوننا وســـمعناه بآذاننا ولمسته أيدينا نكتبه لكم ". فهو يعترف هكذا أنه ليس شاهد عيان فقط بل كاتب أيضاً لكل عجائب الرب بالترتيب.

ولكن أعمـال الرسل مكتوبة في كتـاب واحـد. فقد لخص لوقا للعزيز ثـــاوفيلس الأمـــور العديـــدة الـــتي حـــدثت في حضوره 00 ".

وتتحــدث الوثيقة أو المخطوطة بعد ذلك عن كل رســائل القــديس بولس عدا الرسالة إلى العبرانيين، وتتكلم عن رؤيا يوحنا ورسالة يهوذا ورسالتين للقديس يوحنــا. ثم تتحــدث عن بعض الكتب الأبوكريفيــة، أي المزيفة، كــالآتي: " ويوجد أيضــاً رســالة إلى الاوديكــيين وأخــرى إلى السكندريين، زيفتا باسم بولس لهرطقة مركيــون، وكتب أخــرى عديــدة **لا يمكن أن تكـون قد سُـلمت في الكنيسة الجامعـة. لأنه لن يخلط العسل مع الخل.** وفي أخر الوثيقة تقول: " ونحن لا نقبل أي شيء من أرسينوس أو فالنتينوس وميليتادس الـذي ألف مزمـور جـدي لمركيون مع باسيليدس في آسيا الصغرى "[27].

وتؤكد لنا هذه الوثيقة ثلاث حقائق جوهرية هي:

---

(27) N.T Aopc.Vol.1.4,45.

(1) إيمان الكنيسة في القرن الثاني للميلاد بوحي أسفار العهد الجديد، السبعة والعشرين، وكتابتها وتدوينها بالروح القدس.

(2) وأنها، وحدها، أسفار مقدسة وذات سلطان إلهي.

(3) كما تميز تماماً بين هذه الأسفار المقدسة وبين الكتب المزيفة التي قالت عنها أنه " **لا يمكن أن تقبل** (الكتب الأبوكريفية، المزيفة) **في الكنيسة الجامعة، لأنه لن يخلط الخل مع العسل** ".

وعلى الرغم من أن هذه الوثيقة لا تذكر الرسالة إلى العبرانيين وكذلك الرسالة الثالثة للقديس يوحنا ورسالة يعقوب ورسالتي بطرس فهذا لا يدل على عدم الإيمان بوحيها وقداستها أو إنكارها لأن هذه المخطوطة لم تذكر هذه الرسائل لا بين الأسفار المقدسة الموحى بها ولا بين الأسفار المزيفة فقد ذكرت هذه الرسائل في كثير من كتابات الكثير من آباء القرن الثاني الميلادي الذين استشهدوا بآياتها واقتبسوا نصوصها وشهدوا لها. يقول العلامة الإنجليزي وستكوت أن عدم ذكر هذه الرسائل قد يرجع لوجود فجوة أو شق في المخطوطة نفسها. وعلى أية حال فهذه الرسائل مستشهد بها جيداً وبدرجة كافية في مصادر أخرى[28].

(4) إيريناؤس أسقف ليون (120 - 202م):

كان إيريناؤس أسقف ليون بفرنسا حاليا أحد الذين تتلمذوا على أيدي تلاميذ الرسل، خاصة القديس بوليكاربوس، كما أكد هو نفسه، كما بينا أعلاه، وخلفائهم، ويضيف القديس جيروم " **من المؤكد أنه كان تلميذا لبوليكاربوس** "[29]. وكان حلقة وصل بين الآباء الرسوليين تلاميذ الرسل ومن جاءوا بعده. وقد كتب مجموعة من الكتب بعنوان " ضد الهراطقة " دافع فيها عن المسيحية وأسفارها المقدسة وأقتبس منها حوالي 1064 اقتباسا منها 626 من الأناجيل الأربعة وحدها و325 من رسائل القديس بولس الرسول الأربع عشرة و112 من بقية أسفار العهد الجديد، منها 29 من سفر الرؤيا. وأكد على حقيقة انتشار الأناجيل الأربعة في كل مكان بقوله " **لقد تعلمنا خطة خلاصنا من أولئك الذين سلموا لنا الإنجيل الذي سبق أن نادوا به للبشرية عامة، ثم سلموه لنا بعد ذلك، حسب إرادة الله، في أسفار مقدسة ليكون أساس وعامود إيماننا 000 فقد كانوا يمتلكون إنجيل الله، كل بمفرده، فقد نشر متى إنجيلاً مكتوباً بين العبرانيين بلهجتهم عندما كان بطرس وبولس يكرزان ويؤسسان الكنائس في روما. وبعد رحيلهما سلم**

---

(28) Insp. and Can. 205.

(29) مشاهير الرجال ف 35.

لنا مرقس تلميذ بطرس ومترجمه، كتابة ما بشر به بطرس. ودون لوقـا، رفيق بـولس في سـفر الإنجيل الـذي بشر به (بولس)، وبعد ذلك نشر يوحنا نفسه، تلميذ الرب والذي اتكأ على صدره إنجيلا أثناء أقامته في أفسس في آسيا الصغرى "[30].

وقال عن وحـدة الإنجيل " **لا يمكن أن تكون الأناجيل أكـثر أو أقل مما هي عليه الآن حيث يوجد أربعة أركـان في العـالم الذي نعيش فيه أو أربعة رياح جامعة حيث انتشـرت الكنيسة في كل أنحـاء العـالم وأن "عـامود الحق وقاعـدة " الكنيسة هو الإنجيل روح الحيـاة، فمن اللائق أن يكـون لها أربعة أعمدة تنفس الخلود وتحي البشر من جديـد، وذلك يوضح أن الكلمة صانع الكل، الجـالس على الشـاروبيم والـذي يحتـوى كل شيء والذي ظهر للبشر أعطانا الإنجيل في أربعة أوجه ولكن مرتبطـة بـروح واحد 000 ولأن الإنجيل بحسب يوحنا يقـدم ميلاده الأزلي القـدير والمجيد من الآب، يقـول " في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكـان الكلمة الله " و " كل شـيء به كـان وبغـيره لم يكن شـيء مما كـان 000 ولكن الـذي بحسب لوقا يركز على شخصـيته (المسـيح) الكهنوتية فقد بدأ بزكريا الكاهن وهو يقدم البخور للـه. لأن العجل المسمن** (أنظر لوقا 23:15)، **الذي كـان سـيقدم ذبيحة بسبب الابن الأصـغر الـذي وُجـد، كـان يعُد حـالاً 000 ويركز متى على ميلاده الإنساني قائلاً " كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم " و " وكان ميلاد يسوع المسـيح هكـذا ". فهو إذا إنجيل الإنسانية، ولذا يظهر [المسيح] خلال كل الإنجيل كإنسـان وديع ومتواضـع. ويبـدأ مـرقس من جهة أخرى بروح النبوة الآتي على الناس من الأعالي قائلاً " بـدء إنجيل يسـوع المسـيح، كما هو مكتـوب في اشـعياء النـبي " مشيراً إلى المدخل المجنح للإنجيـل. لـذلك صـارت رسـالته وجيزة ومختصره لمثل هذه الشخصية النبوية "[31].**

(5) القديس أكليمندس الإسكندري (150 - 215م):

كـان القـديس أكليمنـدس الإسـكندري مـديراً لمدرسة الإسـكندرية اللاهوتية وتلميذاً للعلامة بنتينوس ومُعلمـاً لكل من العلامة أوريجـانوس وهيبوليتوس وكان كما يصـفه المـؤرخ الكنسي يوسـابيوس القيصـري "

(30) Ag.Haer.3:1.

(31) Ibid. 3:11,8.

متمرساً في الأسفار المقدسة "[32]، وينقل يوسابيوس عن كتابه وصف المناظر أنه أستلم التقليد بكل دقة من الذين تسلموه من الرسل، فقد كـــان هو نفسه خليفة تلاميذ الرسل أو كما يقـــول هو عن نفسه إنه " التـالي لخلفـاء الرسل "[33]، " ويعـترف بـأن أصـدقاءه قد طلبـوا منه بإلحـاح أن يكتب من أجل الأجيـال المتعاقبة التقاليد الـتي سـمعها من الشيوخ الأقدمين "[34]، وذلك باعتباره أحد خلفائهم. ومن ثم فقد سجل التقليد الشـــفوي الـــذي ســـمعه ورآه وتعلمه وعاشه وحوله إلى تقليد مكتوب، كما شرحه ودافع عنـه. وينقل عنه يوسـابيوس، أيضـا، قوله عن معلميه الـــــذين اســـــتلم منهم التقليد " **وقد حافظ هـــــؤلاء الأشـخاص على التقليد الحقيقي للتعليم المبـارك، المسـلم مباشـــرة من الرسل القديســـين بطـــرس ويعقـــوب ويوحنا وبولس، إذ كان الابن يتسـلمه عن أبيه (وقليلـون هم الـذين شـابهوا آبـاءهم) حـتى وصل إلينا بـإرادة الله لنحافظ على هذه البذار الرسولية** "[35].

ويقول عن تدوين الأناجيل الأربعة كما ينقل عن يوسابيوس القيصري: " وفى نفس الكتاب (وصف المناظر) أيضاً يقدم أكليمندس تقليد الآباء الأولين عن تـــرتيب الأناجيل على الوجه التـــالي: فيقـــول أن الإنجيلين المتضمنين نسب المسيح كتبا أولاً. وكانت مناسبة كتابة الإنجيل بحسب مرقس هكذا : لما كرز بطرس بالكلمة جهاراً في رومـا. وأعلن الإنجيل بـالروح، **طلب كثـيرون من الحاضـرين إلى مـرقس أن يـدون أقٌواله لأنه لازمه وقتاً طـويلاً وكـان يتـذكرها، وبعد أن دون الإنجيل سـلمه لمن طلبـوه.** ولما علم بطـرس بهـذا لم يمنعه من الكتابة ولا شجعه عليها. وأخر الكل لما رأى يوحنا أن الحقائق الخارجية قد دونت بوضوح في الكتب كتب إنجيلاً روحياً بعد إلحـاح من أصـدقائه وإرشاد من الروح القدس "[36].

وقد أقتبس من أســـفار العهد الجديد 1433 مـــرة، منها 591 من الأناجيل الأربعة و731 اقتباسا من رسائل القـديس بـولس الرسـول و 111 من بقية العهد الجديد.

(32) يوسابيوس ك 5 ف1.

(33) يوسابيوس . ك6ف13.
(34) يوسابيوس ك6ف8:13.
(35) يوسابيوس ك 5 ف5:11.
(36) يوسابيوس 6 ف 7-5:14.

(6) العلامة ترتليان (145 -220م):

وقال العلامة ترتليان، من قرطاجنة بشمال أفريقيا والـذي قـال عنه القديس جيروم أنه:

" يعتبر رائداً للكتبة اللاتين "[37]، عن صحة ووحي الأناجيل الأربعة " **أن كُتـاب العهد الإنجيلي هم الرسل الـذين عينهم الـرب نفسه لنشر الإنجيل إلى جانب الرجـال الرسـوليين الـذين ظهـروا مع الرسل وبعد الرسل 000 يوحنا ومـــتى اللـــذان غرسا الإيمان داخلنا، ومن الرسوليين لوقا ومرقس اللذان جـددا لنا بعد ذلك** "[38].

كما اقتبس من كل أسفار العهد الجديد واستشـهد بـأكثر من 7000 (سبعة آلاف) اقتباس.

(7) هيبوليتوس (170-235م):

كـان هيبوليتـوس كاهنـاً بروما وقد اقتبس واستشـهد بأسـفار العهد الجديد أكثر من 1300 مرة وأشار إلى قراءتها في الاجتماعات العبادية العامة[39] كما أشار إلى قداستها ووحيها وكونها كلمة الله[40].

(8) العلامة أوريجانوس (185-245م):

تلميذ وخليفة أكليمنـدس الإسـكندري، وقد فسر جميع أسـفار العهد القديم والعهد الجديد وقابل الأسفار الإلهية لكل من العهدين[41]، وقـال أن كل ما تكلم به الأنبياء في أسـفار العهد القـديم قد تكلم به المسـيح بواسطتهم قبل التجسد، وأن ما تكلم به رسل المسيح هو كلام المسيح الذي تكلم به من خلالهم بعد صعوده إلى السماء " وبكلمات المسيح لا نعـنى تلك الـتي تكلم بها عنـدما صـار إنسـاناً وحل بالجسد، فقد كـان المسـيح قبل ذلك الـوقت كلمة الله الـذي تكلم في موسى والأنبيـاء **000 وبعد صـعوده إلى السـماء تكلم في تلاميـذه كما تكلم بواسطة بولس** الذي قال: أنتم تطلبون برهـان المسـيح الـذي يتكلم في "[42].

ويقـول عن وحي وقانونية الإنجيل بأوجهه الأربعـة: " بين **الأناجيل الأربعة، وهى الوحيدة الـتي لا نـزاع بشـأنها في كنيسة الله تحت السـماء، عـرفت من التقليد أن أولها كتبه مـتى،** الـذي كـان عشـاراً، ولكنه فيمـا بعد صـار رسـولاً ليسـوع المسـيح، وقد أعد

(37) مشاهير الرجال ف 53.
(38) Ag.Marcion4:2 .
(39) ANF Vol. 5:251.
(40) Ag. One Noe. 9-14.
(41) De Princ. 4:1 .
(42) Ibid preface and ANF Vol. 4:239 مع 2كو 13:3

للمتنصـرين من اليهـود ونُشر باللغة العبرية. **والثـاني كتبه مـرقس** وفقاً لتعاليم بطرس، الـذي في رسـالته الجامعة يعـترف به أبنـاً قـائلاً: تسـلم عليكم الـتي في بابل المختـارة معكم، وكـذا مـرقس أبـني (1بط 13:5). **والثالث كتبه لوقا،** وهو الإنجيل الـذي أقـره (أشـرف عليـه) بـــولس، وكتب من أجل المتنصـــرين من الأمم. **وأخر الكل الإنجيل الذي كتبه يوحنا** "[43].

(9) المــؤرخ الكنسي يوســابيوس القيصــري (264-340م):

أسـقف قيصـرية وأحد أعضـاء مجمع نيقية الـذي انعقد سـنة 325م. وترجع أهمية كتاباته لكونه أقدم المؤرخين المسيحيين، وهو نفسه يعتبر حجة في تــاريخ الكنيسة في عصــورها الأولى وكــان واسع الإطلاع في كتب الآباء والتي كان لديه منها الكثير جداً واستقى معلوماته منها، ولذا فقد جمع في كُتبه أهم ما كتبه آبـاء الكنيسة من نهاية القـرن الأول إلى بداية القـرن الثـالث. وقد نقل لنا الكثـير من أقـوال الآبـاء في الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد. ويكتب لنا عن وحي وقانونية الأناجيل الأربعة كما يلي:

" أولئك الرجــال العظـام، اللاهوتيـون حقـاً، أقصد رسل المسـيح، تطهـرت حيـاتهم وتزينـوا بكل فضـيلة في نفوسـهم، ولكنهم لم يكونـوا فصحاء اللسان. **وكانوا واثقين كل الثقة في السلطان الإلهي الـــذي منحه لهم المخلص،** ولكنهم لم يعرفـــوا – ولم يحـــاولوا أن يعرفــــوا – كيف يـــــذيعون تعـــــاليم معلمهم بلغة فنية فصـــــحى، بل **اسـتخدموا فقط إعلانــات روح الله العامل معهم وسـلطان المسيح الصانع العجائب الذي كان يظهر فيهم،** وبـذلك أذاعـوا معرفة ملكوت السموات في كل العالم، غير مفكرين كثيراً في تــدوين الكتب.

وهذا ما فعلـوه لأنهم وجـدوا معونة في خـدمتهم ممن هو أعظم من الإنسـان. فبـولس مثلاً الـذي فـاقهم جميعـاً في قـوة التعبـير وغـزارة التفكير، لم يكتب إلا أقصر الرسائل رغم انه كـانت لديه أسـرار غامضة لا تحصى يريد نقلها للكنيسة، لأنه قد وصل إلى منـاظر السـماء الثالثة، ونقل إلى فــردوس الله وحسب مسـتحقاً أن يســمع هنــاك كلمــات لا ينطق بها 000 **لأن متى الذي كرز أولاً للعبرانيين كتب إنجيله بلغته الوطنية،** إذ كان على وشك الذهاب إلى شعوب أخـرى وبـذلك

---

[43] يوسابيوس 6 ف 25.

عوض من كان مضطراً لمغادرتهم عن الخسارة الـتي كـانت مزمعة أن تحل بهم بسبب مغادرته إياهم "[44].

" أضاء جلال التقوى عقول سامعي بطرس لدرجة أنهم لم يكتفوا بأن يسمعوا مـرة واحـدة فقط ولم يكونـوا قـانعين بـالتعليم غـير المكتـوب للإنجيل الإلهي، بل توسـلوا بكل أنـواع التوسـلات **إلى مـرقس أحد تابعي بطرس، والذي لا يـزال إنجيله بين أيـدينا، لكي يـترك لهم أثراً مكتوباً عن التعاليم التي سبق أن وصلتهم شـفوياً**. ولم يتوقفوا حتى تغلبوا على الرجل، وهكذا سـنحت له الفرصة **لكتابة الإنجيل الذي يحمل اسم مرقس** "[45].

" أما لوقا فهو نفسه في بداية إنجيله يبين السـبب الـذي دعـاه إلى كتابته 000 ودون في إنجيله وصفاً دقيقاً لتلك الأحداث التي تلقى عنها المعلومات الكاملة، يسـاعد على هـذا صـداقته الوثيقة لبـولس وإقامته معه، ومعرفته لسائر الرسل "[46].

" وبعـدما نشر مـرقس ولوقا إنجيليهمـا يقولـون **أن يوحنا الـذي صـرف كل وقته في نشر الإنجيل شـفوياً، بـدأ أخـيراً يكتب** للسبب التـالي: أن الأناجيل الثلاثة السـابق ذكرها إذ وصـلت إلى أيـدي الجميع، وإلى يديه أيضـاً، يقولـون أنه قبلها وشـهد لصـحتها، ولكن كـان ينقصها وصف أعمال المسيح في بداية خدمته "[47].

(10) القديس أثناسيوس الرسولي (296-373م):

بابا الإسكندرية العشرون والمسمى الرسـولي لدفاعه البطـولي عن جوهر الإيمـان المسـيحي ومواجهته لكل خصـوم عقيـدة مسـاواة الابن للآب في الجـوهر. وترجع أهمية قانونه للأسـفار المقدسة المـوحى بها لأنه يمثل جميع كنائس العـالم في ذلك الـوقت، إذ كـان معترفـاً به من جميع الكنـائس الـتي كـانت قد وصـلت إلى مرحلة من اليقين الكامل والمطلق بقانونية كل أسـفار العهد الجديد كما هي بين أيـدينا. وهى كالآتي:

" **الأناجيل الأربعة الـتي بحسب مـتى ومـرقس ولوقا ويوحنا. بعد ذلك أعمال الرسل والرسـائل (المسـماة بالجامعـة)، وهى سـبع، واحـدة ليعقـوب واثنتـان لبطـرس، وثلاث ليوحنا، وواحدة ليهوذا. وإلى جـانب هـؤلاء يوجد أربع عشرة رسالة لبـولس كتبت بـالترتيب التـالي ؛ الأولى لروما**

---

(44) يوسابيوس 3 ف 24.
(45) يوسابيوس 2 ف 15.
(46) يوسابيوس 3 ف 24.
(47) يوسابيوس 3 ف 24.

واثنتــان لكورنثــوس وواحــدة لغلاطية وأخــرى لأفسس، ثم واحــدة لفيلبي، وواحــدة لكولوسى، واثنتــان لتســالونيكى والتي للعبرانيين، واثنتان أيضا لتيموثاوس، وواحدة لتيطس وأخيراً التي لفليمون، وإلى جانب هؤلاء رؤيا يوحنا "[48].

(11) القانون المدعو الجلاسياني[49]:

وجاء في القانون المدعو بالجلاسـياني والمنسـوب للبابا جلاسـيوس الخـــامس (496م) قائمة بأســفار العهد الجديد القانونية الســبعة والعشـرين القانونية كما تسـلمتها الكنيسة من الرسـل. وجـاء به أيضا قائمة بالكتب الأبوكريفية المحرمة، وأمـام كل منها عبـارة " أبـوكريفي ". ويفصل القــانون بشــدة بين الكتب المحرمة والمرفوضة والأســفار القانونية. وأهم ما جاء به بالنسبة لدراستنا هنا هو كالآتي:

كتـاب دليل (كتـاب) الـرحلات تحت اسم بطـرس الرسـول، والـذي يسمى الكتب التسعة للقديس أكليمندس، أعمـال تحت اسم أنـدراوس الرسـول، أعمـال تحت اسم توما الرسـول، أعمـال تحت اسم بطـرس الرسول، أعمال تحت اسم فيليبس الرسول، إنجيل تحت اسم متيـاس، إنجيل تحت اسم برنابا (غــير الإنجيل المزيف الموجــود حاليــا)، إنجيل تحت اسم يعقـوب الأصـغر، إنجيل تحت اسم بطـرس الرسـول، إنجيل تحت اسم توما، الذي يستخدمه المانيين، إنجيل تحت اسم برثولماوس، إنجيل تحت اسم أندراوس، الإنجيل الـذي زيفه لوسـيان، الإنجيل الـذي زيفه هوسيخوس. كتاب عن طفولة المخلص، كتـاب عن ميلاد المخلص أو عن مريم أو الأمه، كتاب يسمى الراعي، كل الكتب التي عملها ألفها لوسيان تلميذ الشيطان 000 رؤيا منسوبة لبولس، رؤيا منسوبة لتومـا، رؤيا منسوبة لأستيفانوس، كتاب يسمى عودة القديسة مـريم للمـوطن 000 هذه وما على شاكلتها من الذي كتبه سيمون الساحر ونيقــولاوس وكـــيرنثوس ومركيـــون وباســـيليدس وأبيـــون 000 مونتـــانوس 000 فالنتينوس، المانيين ".

(12) قائمة نيسيفوروس[50]:

وتوجد أيضا قائمة باسم البطريــرك نيســيفوروس Necephorus بطريرك القسطنطينية (806 ـ 818م) والذي ذهب إلى بغداد وهنـاك وجد العديد من هذه الكتب الأبوكريفية فقرأها وأحصى عــدد سـطورها. وننقل أهم ما جــاء بها عن الكتب الأبوكريفية الخاصة بالعهد الجديــد: "

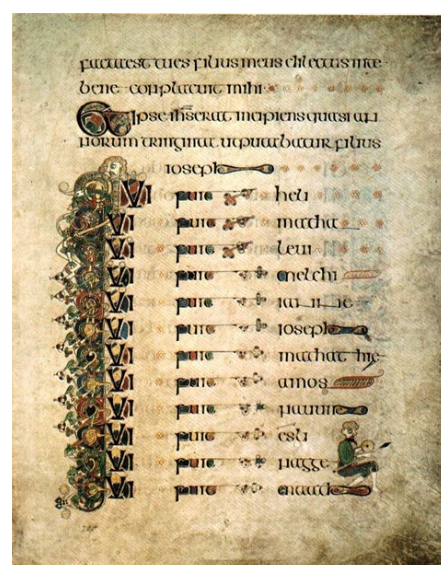
(48) رسالته الفصحية.

(49) N.T Apoc. Vol. 1. 46-48.

(50) N.T Apoc. Vol.1.49-51.

رؤيا بطرس 300 سطر، إنجيل العبريين 2200 سـطر، أعمـال بـولس 3600 سطر، أعمال بطرس 2750 سطر، أعمال يوحنا 2500 سـطر، أعمال توما 1300 سطر، إنجيل توما 1300 سطر ".

وقد رفضت جميع هــذه الكتب الأبوكريفية لأنها جــاءت من خــارج التسـليم الرسـولي والكنيسة . كما أنها تمتلئ بالخرافـات والأسـاطير والأفكــار الوثنية والأخطــاء الدينية والتاريخية 00الخ ونــرى أن أحسن طريقة لكشف حقيتها هو نشرها ليقرأها كل واحد بنفسه لـيرى الفـارق بين العسل والخل كما جاء في الوثيقة الموراتورية.



الفصل الثالث

الكتب الأبوكريفية

كيف كُتبت ولماذا رفضتها الكنيسة؟

1 – كلمة أبوكريفا؛ معناها وكيف استخدمت:

وعلى عكس كلمة قانونية تقف كلمة (ἀπόκρυφοα- apocrypha – أبوكريفا)[1]، والتي كانت تعني في أصلها " خفي - غامض - مبهم - عويص ". وكان اليونانيون القدماء هم الذين استخدموها حيث كان عندهم نوعان من المعرفة: النوع الأول يشمل عقائد وطقوساً عامة لكل الناس، أما النوع الثاني فكان يشمل عقائد وطقوساً غامضة عويصة لا يفهمها إلا فئة متمَّيزة خاصة، ولذلك بقيت " مخفية " عن العامة. ثم أطلقت كلمة " أبوكريفا " في العصور المسيحية على بعض الكتابات غير القانونية في العهد القديم، وكذلك في العهد الجديد، وبخاصة الكتابات التي تشتمل على " **رؤى** " تتعلق بالمستقبل والانتصار النهائي لملكوت الله 000 الخ، إذ أنها أمور تسمو عن فكر البشر وحكمة " المطلعين ".

ثم أطلقت الكلمة في المسيحية بصفة خاصة على بعض الكتب اليهودية والمسيحية والتي كتبت في القرنين السابقين للميلاد والقرن الأول الميلادي وهي من الكتب التي كتبت فيما بين العهدين وسميت بـ " **الكتابات المزيفة** " لأن كتابها نسبوها إلى الآباء البطاركة والذين لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها حقيقة مثل أخنوخ، إبراهيم، موسى 000 الخ، وذلك لإضفاء أهمية وأصالة عليها. أي أن كلمة أبوكريفا: أطلقت على بعض الكتابات الدينية التي كانت تحمل معنى أنها قاصرة على دائرة معينة ضيقة ولا يمكن لمن هم خارج هذه الدائرة أن يفهموها. فالكلمة تعنى " خفي - غامض - مبهم - عويص ".

وفي بداية المسيحية استخدم هذا التعبير (ἀπόκρυφοσ- apocrypha – أبوكريفا) بعد ظهور الغنوسية وإنتاجها لكم كبير من الكتب المزيفة سواء التي نسبتها للرسل أو التي نسبتها لكتابها الأصليين من هؤلاء الغنوسيين والتي كانت ترى أنها مكتوبة ومقصورة على فئة معينة من الناس ووصفتها بالسرية. فقد ساعدت الغنوسية بمذاهبها المتعددة وتعاليمها السرية التي وضعتها للخاصة على حركة تأليف مثل هذه الكتب. وقد تأثر هؤلاء الغنوسيون بالصوفية البابلية والفارسية وكتاباتها. ويذكر أكليمندس الإسكندري (150 - 215م)

---

[1] Wilhelm Schneemelcher, New Testament Apocrypha. Vol. I. 21 -28.

أسـماء بعض الكتب السـرية للديانة الزرادشـتية، ولعله أول من أطلق لفظ " أبوكريفا " على هـذه الكتابـات الزرادشـتية[2]. أي أنه عنـدما أطلقت كلمة " **أبوكريفا** " على الكتابـات الدينية الغنوسـية، كـانت تحمل معـنى أنها قاصـرة على دائـرة معينة ضـيقة، لا يمكن لمن هم خارج هذه الدائرة أن يفهموها.

كما يطلق اسم " أبوكريفا " على مجموعة من الكتابات الدينية التي اشتملت عليها الترجمتان السبعينية والفولجاتا[3] (مع اختلافات لا تـذكر) زيادة على ما في الأسفار القانونية عند اليهود وعند البروتستنت. ولكن ليس هذا هو المعنى الأصلي أو الصحيح. للكلمة - كما سنرى فيما بعد - وإن كان هـذا هو مفهومها الجـاري الآن. وكـان جـيروم (تـوفي حـوالي 420م) وكـيرلس الأورشـليمي (تـوفي حـوالي 386 م) هما أول من أطلقا لفظ " أبوكريفا " على ما جاء في الترجمة السـبعينية زيـادة عما في الأسفار العبرية القانونية.

ويطلق النقاد في العصر الحاضر على مجموعة هذه الكتابـات اسم " أبوكريفا العهد القـديم "، لأن بعض هـذه الكتب على الأقل كتب باللغة العبرية - لغة العهد القـديم - كما أنها جميعها أكـثر انتمـاء إلى العهد القـديم منها للعهد الجديـد، ولكن توجد أيضـاً أسـفار أبوكريفا للعهد الجديد من أناجيل ورسائل الخ.

وفي بحثنا هذا نستخدم كلمة " أبوكريفا " كما أستخدمها آباء الكنيسة وكما نستخدمها الآن على ما يسمى بـ " **الكتابات المزيفة** " والـتي سميت هكذا لأنها تنسب إلى كتَّاب لا يمكن أن يكونـوا قد كتبوها حقيقة من الرسل وتلاميذ المسيح.

كما أن المسيحية ليس فيها شيء من هذا القبيل، فلا يوجد فيها شيء للعامة وشـيء آخر للخاصة المتمـيزة، فالإنجيل - منذ أيامه الأولى - يكّرز به للفقـراء والجهلاء والأغنيـاء والحكمـاء، كما أن الكتب المقدسة كـانت تقـرأ في الكنـائس على مسـامع الجميع. أما هـذه الكتب الأبوكريفية فقد رفضتها الكنيسة لسببين:

(1) أنه لا يمكن أن يكون قد أوحي لكُتَّاب ممن عاشوا بعد عهد الرسل بحوالي 100 سنة، فقد كتب أقدمها حوالي سنة 150م، وكتبت جميعها فيما بين 150 و450م.

(2) لا يمكن أن يعتـبر أي كتـاب قانونيـاً إلا إذا كـان قد تم تسـليمه من الرسل أنفسـهم، وكـانت قد قبلته كل الكنـائس من الرسل وليس من غيرهم. وهذه الكتب الأبوكريفية كتبت، في معظمها، بعد انتقال الرسل

(2) Strom.I. xv.69,6.

(3) The International Standard Bible Encyclopedia. Apocrypha.

من العـــالم بحـــوالي مئة ســـنة، ومن هنا أطلق عليها " أبوكريفا "، أي المزيفة لأنها نبعت أساســـــاً من قلب المـــــــذاهب الهرطوقية مثل الغنوســـيين، وكـــان هـــؤلاء متمســـكين بها ومعـــترفين أنها خـــرجت من دوائرهم، لـــذا لم تحظ قط بـــالقبول لـــدى كل الكنـــائس، في الشـــرق أو الغرب. فيقـــول أوريجـــانوس (تـــوفي 253م)[4]، إنه يجب أن نفـــرق بين الكتب المسماة " أبوكريفا "، فالبعض منها يجب رفضه كلية لأنه يحـــوي تعاليم تنـــاقض تعليم الكتـــاب، أي أنه منذ نهاية القـــرن الثـــاني، أصـــبحت كلمة " أبوكريفا " تطلق على ما هو زائف ومكتوب خارج دائـــرة الرسل والكنيسة، بل وكتب في دوائر الهراطقـــة، وكـــان معروفا لهم أن هـــذه الكتب قد نسبت لأناس لم يكتبوها.

ويعارض إيريناؤس (توفي 202م) أكليمندس الإسكندري فيرفض أن يكون للكتابات السرية أي اعتبار، ويضع كلمة أبوكريفا (ἀπόκρυφοσ-apocrypha) بجوار كلمة (nothos - νόθος) مزيفة[5]. وكان يعتبر، وكـــذلك جـــيروم فيما بعد، أن كلمـــتي " قانونية " و " أبوكريفا "على طـــرفي نقيض. ويســـتخدم العلامة ترتليـــانوس كلمة (ἀπόκρυφοσ-apocrypha) وكلمة (falsa - مزيـــف) كمـــترادفين[6]. وكـــانت كلمة أبوكريفا تعني عنده الأسفار غير القانونية، المزيفة.

2 – عوامل ظهـــــور هـــــذه الكتب الأبوكريفية ومصدرها؟

هناك عدة عوامل أدت إلى كتابة وظهور هـذه الكتب الأبوكريفية من أهمها محاولة العامة والبســطاء من المؤمـــنين إشـــباع رغبتهم ولهفتهم لمعرفة تفاصيل الأحداث الـتي ذكـرت في أســفار العهد الجديد بصـورة مـــوجزة؛ مثل تفاصـيل أحـداث ميلاد المسـيح ورحلة الهـرب إلى مصر وطفولته والتأكيد على لاهوته من خلال معجزات تـبين مقدرته على كل شـــيء. بل ومحاولة البعض الـدفاع عن عقائد مسـيحية هاجمها اليهـود مثل بتولية العـذراء القديسة مـريم وحبلها بالمسـيح بـالروح القـدس، ودوام بتوليتها بعد ميلادها للمسيح، واتهام اليهود للمسـيح بأنه ابن زنـا. بل ومحاولة معرفة تـــاريخ العـــذراء نفســـها وكيفية ولادتها وتربيتها كالممتلئة نعمة قبل بشـــارة الملاك لها وحبلها بالمســيح. ومثل محاولة شـــرح موقف بيلاطس من المســيح، وإيجــاد معجــزات للمســيح وقت محاكمته لتـــــبرر كونه ابن اللـــــه، ومحاولة شـــــرح موقف كل من نيقوديمـوس ويوسف الـرامي بعد الصـلب والقيامـة، خاصة وأنهما كانا من تلاميذ المســـيح الخفـــيين، وموقف اليهـــود مما فعلاه أثنـــاء دفن

(4) دائرة المعارف الكتابية، أبوكريفا.
(5) Iren.Ag.her.I.13.1.
(6) N T Apoc.vI.26.

المسيح، فنيقوديموس وضع على جسد المسيح عودا ومراً ثمنهما غالي جداً، ويوسف الرامي دفنه في قبره الجديد الذي لم يكن قد وضع فيه أحد بعد. ومحاولة إيجاد تبرير لموقف كل من اللصين اللذين صلبا مع المسيح. وكذلك أيضا موقف اليهود من قيامة المسيح بصورة أكثر تفصيلا مما جاء في الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة.

وكذلك ظهور الكتابات الدفاعية المسيحية التي دافعت عن العقائد المسيحية ضد اليهود والوثنيين والهراطقة من ابيونيين وغنوسيين وغيرهم. وبالتالي ظهور كتب تدافع عن نفس الأفكار ونسبتها لأشخاص لهم مكانتهم في الأحداث التي حدثت في الكنيسة الأولى، مثل إنجيل نيقوديموس أو أعمال بيلاطس.

وإلى جانب هذا فالإنجيل بأوجهه الأربعة لم يدون فيه كل ما عمله وعلمه الرب يسوع المسيح، وما كان منتشرا في التقليد الشفهي، بل كتب ما يؤدي بالمؤمن إلى الحياة الأبدية في المسيح، كما يقول القديس يوحنا بالروح القدس: " **وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن**

الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه " (يو20: 30و31).

فأخذت هذه التقاليد تُكتب بعد أن استدارت وتوسعت وذلك بعد مرور عشرات ومئات السنين من انتقال الرسل من هذا العالم، وبالتالي تأثرت بالعقائد المسيحية بعد أن تم شرحها ووضعها في صيغ لاهوتية معينة، مثل إنجيل توما الذي تأثر بالفكر الأرثوذكسي وأيضا الغنوسي.

وكان هناك عامل أخطر وأقوى وهو ظهور الأفكار الهرطوقية ومحاولة إيجاد صيغ ونصوص توازي الأسفار القانونية وتدافع عن هذه الأفكار والعقائد الهرطوقية. فانطلقت هذه الهرطقات خاصة الغنوسية، تأخذ آيات الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة، وتصيغها بحسب أفكارها ومعتقداتها، مثل إنجيل فيليب وإنجيل بطرس وإنجيل مريم المجدلية، والتي انطلقت من نصوص الإنجيل القانوني وراحت تصيغها بحسب فكرها وعقيدتها.

بل واتخذت بعض هذه الكتب من قول الإنجيل القانوني: " وبأمثال كثيرة مثل هذه كان يكلمهم حسبما كانوا يستطيعون أن يسمعوا. وبدون مثل لم يكن يكلمهم. **وأما على انفراد فكان يفسر لتلاميذه كل شيء** " (مز4 :33و34)ـ "ـ فقال. لكم قد **أعطي أن تعرفوا أسرار ملكوت الله**. وأما للباقين فبأمثال حتى أنهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يفهمون " (لو8 :10). ذريعة لكتابة كتب

ونسبتها للرسل ووصفتها بالكتب المعدة للخاصة فقط! وكل منها يزعم أن المسـيح كشف لأحد الرسل والتلاميـذ، مثل توما أو فيلبس 00الخ، له وحـده، أسـراراً لم يكشـفها لغـيرة، وذلك في صـيغة إنجيل أو رؤيـا؛ مثل إنجيل فيليبس ورؤيا بطرس وأعمال يوحنا، الـتي يـزعم كل كـاتب لأحدها أن الرب يسوع المسيح كشف له، وحده، فيها سر الصليب.

كـان المصـدر الأول لهـذه الأبوكريفا هو العهد الجديد نفسـه، فقد اسـتقت الكتب الأبوكريفية مصـدرها واعتمـدت بالدرجة الأولى على الإنجيل القـانوني بأوجهه الأربعة ، فشـرحت ما بـدا أنه غـامض فيها وأضافت إليها عبارات وأفكار تؤيد معتقداتها وقدمتها بشـكل أسـطوري خيالي يتناسب مع أفكارها. قال وستكوت عن الأجزاء الباقية من إنجيل الأبيونـيين **" فهي تـبين أن قيمته ثانويـة، وأن المؤلف قد أستقي معلوماته من الأناجيل القانونية وبخاصة**

الأناجيل الثلاثة الأولى بعد أن جعلها تتفق مع أراء وممارسات الأبيونية الغنوسية "[7].

وكـان سـفر أعمـال الرسل هو السـند الأول لأسـفار الأعمـال الأبوكريفية، ولكن بفن وحبكة وفكر يونـاني. وقـامت هـذه الأعمـال بتوسيع نصوص سفر الأعمال القـانوني إلى أعمـال مسـتقلة بتوسـيعها والإضـافة إليها والحـذف منهـا، مع وجـود بعض التقاليد الخاصة بكل رسول في منطقة كرازته، لتخرج لنا عدة أعمال مستقلة. وعلى سـبيل المثال فقد اتخذ كاتب أعمال بولس من سفر أعمال الرسل، إطاراً له، ويفتتح القسم الروماني من أعمال بطرس برحلة بـولس الرسـول إلى أسـبانيا بعد أحـداث سـفر أعمـال الرسل إصـحاح 28. واعتمد كـاتب الرسالة إلى اللاودكيين على رسائل بـولس خاصة الرسـالة إلى غلاطية والرسالة إلى أفسس.

والى جانب ذلك فقد تأثرت هـذه الكتب، بـالروح الأسـطورية النابعة من البيئة الهيلينية (اليونانيـة) الـتي كتبت وانتشـرت فيهـا، فقد سـاد بعضها روح أدب الرحلات التي كانت سائدة في القـرن الثـاني كأعمـال توما، وحوى إنجيل الطفولة العربي عددا من القصص الشرقية. وكـانت أغلب الأعمال المنسوبة للرسل من اختراع الروح الهيلينية الـتي كـانت تجد لذتها في الخوارق والكتابات الرومانسية عن الرحلات. كما احتـوت هذه الأعمال على تقاليد كثيرة لها أساس تاريخي صـحيح، احتفظت بها الجماعات المسـيحية، وكتبـوا هـذه الأعمـال، الأبوكريفية، لتقـديم هـذه

(7) دائرة المعارف الكتابية جـ 1 : 55.

التقاليد بكل تفصـــيل، ولكن هــذه البـــذور القليلة من الحقيقة تـــاهت ودفنت في أكوام من الأساطير.

3 - هدف كتابة هذه الأبوكريفا:

والخلاصة أن هـــذه الكتب قد كتبت، في الأصـــل، لتأييد هرطقة من الهرطقات والادعاء بـأن تعليمها رسـولي، أو لتفصـيل الأناجيل القانونية بإضافة إضافات أسطورية لإعطاء أهمية لبعض المفـاهيم الـتي سـادت بعض الدوائر الهرطوقية ولنشر وتأكيد أفكار هذه البـدع، فأعمـال يوحنا مثلا، تســـتخدم أسم الرســـول العظيم لتـــبرير وتأييد وجهة النظر الدوسيتية.

4 - موقف الكنيسة من هذه الكتب:

كـان للكنيسـة، منذ البـدء، تعليمها الـذي تسـلمته من الرسل والـذين تسـلموه بـدورهم من الـرب يسـوع المسـيح، كقـول الرسـول: " لأني تسـلمت من الـرب ما سـلمتكم أيضا " (1كو11:13).كما بينا تفصـيلا في الفصل السـابق. أما هـذه الكتب، الأبوكريفية، فلم يتسـلمها أحد لا من الرسل ولا من غـيرهم ممن خلفـوهم. وإنما خـرجت من دوائر أخـرى خارج حظيرة الكنيسة، وهى دوائر الهراطقة الـتي، كما يقـول القـديس ترتليان (145-220م)، لا تمت للرسل أو من خلفـوهم بصـلة[8]، والتي كـانت شـديدة الخصـوبة في إصـدار مثل هـذه الكتب. وبـرغم معرفة علمـاء الكنيسـة، في القـرون الأولى، بمصـدر هـذه الكتب وأهـدافها إلا أنهم درسوها وفحصوها ولم يترددوا، بعد ذلك، في رفضها ووصفها بأنها كاذبة ومزورة ولا تستحق مجرد الاهتمام بها.

قـــال القـــديس إيرينـــاؤس (120-202م): " أن الهراطقة الماركونيين أصدروا عددا لا يحصى من الكتابات الأبوكريفية المـزورة والـتي زيفوها بأنفسـهم ليـذهلوا عقـول الحمقى "[9].

وقال يوسابيوس القيصـري (264-240م): " أنها معروفه عند معظم الكتاب الكنسيين، وانه في مقدورنا أن نميز بين هذه الكتب القانونية وتلك الـتي يصـدرها الهراطقة بأسـماء الرسل مثل إنجيل بطرس وانجيل متى (المنحول) وغيرهــا، أو مثل أعمال أندراوس، ويوحنا، وغيرهما من الرســل، فلم يحسب أي واحد من كتـــاب الكنيسة أنها تســـتحق الإشـــارة إليها في كتابـــــاتهم. وفى الحقيقة أن أســـــلوبها يختلف اختلافا بينا عن أسلوب الرســل، كما أن أفكارها ومفاهيمها

---

(8) On Persecution .

(9) Against Her. 32.

بعيـدة جـدا عن الأفكـار القويمة الصـحيحة، وهـذا دليل على أنها من صنع خيال الهراطقــة، ومن ثم وجب ألا تحسب بين الكتابات المزيفة فحسب، بل يجب أن ترفض كلية باعتبارها سخيفة ونجسة "[10].

وقال فوتيوس بطريرك القسطنطينية في النصف الثاني من ق 9[11] **"ـ أن لغتها خالية تماما من النعمة التي تتميز بها الأناجيل وكتابات الرسل، وغاصة بالحماقـات والمتناقضـات** ". ثم يختم بقوله أنها تحوي " **عشـــــرات الآلاف من الأشـــــياء الصبيانية التي لا تصدق، السقيمة الخيال، الكاذبة، الحمقاء، المتضاربة، الخالية من التقوى والـورع، ولا يجـافى الحقيقة من ينعتها بأنها نبع وأم الهرطقات "**[12].

5 – أهم خصائص وصفات هذه الكتب:

(أ) خرافيـة: تمتلئ هـذه الكتب بالأفكـار الخرافية والخيالية فتنسب للمسـيح والرسل أعمـالا خيالية لا مـبرر لها كسـجود التنـانين والأسـود والنمور والثيران والحمير للطفل يسوع! وجعل بطرس سـمكة مشـوية تعوم! وكلب يعظ بصوت آدمي بليغ! وطفل عمـره سـبعة شـهور يتكلم كرجـل! وكطـرد يوحنا للبق من أحد الـبيوت بمعجـزة! وسـقوط معبد أرطاميس الضخم في أفسس بصلاة يوحنا[13]، وقصة مهر يتكلم وشاب وتنين يرغبان في فتاة فيقتل التنين الشاب ثم يمتص التنين السم، بنـاء على أمر تومــا، ويمــوت ويحيا الشـــاب! ونــرى الطفل يســوع، طفلاً مشاكسـاً متقلبـاً ذا طبيعة تدميرية يـؤذى معلميه ويتسـبب في مـوت رفقائه بصـورة إعجازية لا مـبرر لهـا، تمـزج قـدرة الله بـنزوات طفل مشـاكس! وتنسـب، هـذه الكتب، للمسـيح ظهـورات عديـدة بأشـكال متنوعة كطفل أو فتى أو رجل عجوز وفى أغلب الأحيان في صورة أحد الرســـل! كما تنسب للرسل أعمـــال خارقـــة، بـــدون داع، مثل فتك الصواعق بأعدائهم! ورعب الفجار من قوات الطبيعة المخيفة كالزلازل والرياح والنيران! وغير ذلك من الأفكـار الأسـطورية الخرافية المتـأثرة بـالفكر الإغـريقي الهيلينسـيتى والـتي تشـبع فضـول البسـطاء والعامة الذين اعتـادوا سـماع مثلها في ديانـاتهم الوثنية السـابقة قبل اعتنـاقهم المسيحية.

---

(10) يوسابيوس ك3 : 52.

(11) قرأ 280 كتابا مختلفا وكتب عنها تقريراً في مؤلفه "بيليوتيكا " أثناء إرساليته في بغداد.

(12) دائرة المعارف الكتابية جـ 1 : 43.

(13) دمر القوط هيكل أرطاميس سنة 262م.

يقــول وســتكوت: " في المعجــزات الأبوكريفية لا نجد مفهوما سليما لقوانين تدخلات

العناية الإلهية، فهي تجــرى لسد أعــواز طارئــة، أو لإرضــاء عواطف وقتيــة، وكثـيرا ما تنـافي الأخلاق، فهي اسـتعراض للقوة بدون داع من جانب الرب أو من جانب من عملت معه المعجزة "[14].

(ب) الزهد الجنسي والامتنــاع عن الــزواج: تركز هــذه الكتب، خاصة الأعمــال، على الزهد الجنسي والامتنــاع عن الــزواج وذلك كــرد فعل للإباحية الجنسية الـتي كـانت سـائدة في الـديانات الوثنية وتصـور هــذه الكتب كفــاح الرسل من أجل طهــارة الحيــاة الزوجيــة وإقنــاع الزوجات بالامتناع عن معاشرة أزواجهن جنسيا، وتذكر أعمال أندراوس أن المسيح ظهر لعريسين، في هيئة تومـا، وربحهما لحيـاة الامتنـاع عن الجنس، وكأن عدم الزواج هو الشرط الأسمى لدخول السماء، جاء في انجيل المصريين، انه عندما سألت سـالومي الـرب: " إلى مـتى يسـود الموت؟ " قال لها الرب " إلى أن تكفوا أنتن النساء عن ولادة الأطفال لأني جئت لأقضي على وظيفة المرأة "[15].

(ج) التعاليم الهرطوقيــة: تمتلىء هــذه الكتب بالأفكـار الهرطوقية الأبيونية والغنوسية. يقول إنجيل الأبيونـيين أن الـروح القـدس حل على المسيح في شكل حمامة ودخل فيه، ويقول إنجيل العبرانيين أن مــريم أم المســيح هي الملاك ميخائيل " عنــدما أراد المســيح أن يــنزل على الأرض، اسـتدعى الآب الصـالح قـوة قـديرة من السـماء كـانت تـدعى الملاك ميخائيــل، وعهد له من ذلك الــوقت بالعناية بالمســيح وجــاءت القوة إلى العالم ودعيت مريم وكان المسيح في رحمها سبعة أشهر "[16]. كما يقول إنجيل العبرانيين أيضا، أن الروح القدس أم المسيح. قــال أوريجانوس في تفسيره لإنجيل يوحنا: " إذا كان هناك من يقبل الإنجيل بحسب العبرانــيين حيث المخلص نفسه يقــول: أمي الــروح القــدس أخذتني بواسطة شعرة من شعري وحملتني إلى جبل تابور "[17].

وتصور الأبوكريفا الغنوسية الرب يسوع المسـيح كواحد من سلسـلة الآلهة المولودين من

البليروما (ملء اللاهــوت) وأنه عقل الآب غــير المولــود، كما تصــور المسيح الإله وقد حل على يسوع الإنسان، أو المسيح والحكمة وقد حلا

---

(14) دائرة المعارف الكتابية جـ 1 : 58.
(15) N. T. Apocrypha Vol. 1. p. 167.
(16) Ibid.. p. 163.
(17) Orig. Com. On John b. 2 : 26.

على يسوع، وتصور بعضها الآب والابن، أو الآب والابن والـروح القـدس كـأقنوم واحد وشـخص واحـد، كإنجيل المصـريين اليونـاني. أما غالبية الأعمـال – عـدا أعمـال بـولس – وبصـفة خاصة أعمـال يوحنـا، فتصـور الـرب يسـوع بصـورة دوسـيتية، خيالية، فهو بلا ميلاد! بلا جسد وبـدون شكل ويُرى افتراضـا! وعنـدما كـان يسـير لم يكن يـترك أثـرا لقدميـه! وعندما كان يوحنا يحاول الإمساك به كـانت يد يوحنا تخـترق جسـده بلا أي مقاومة! إذ لم يكن له جسد حقيقي! وكـانت طبيعة جسـده متغـيرة عند الملمس فمرة يكون جامدا وتـارة لينا وأخـرى خاليا تمامـا! كما أن آلامه وصلبه وموته كانت مجـرد مظـاهر وهمية! فبينما كـان معلقا على الصليب والجموع محتشدة حوله كان هو نفسه في نفس الوقت يتقابل مع يوحنا على جبل الزيتون! لقد كان مجرد شبح وحياته على الأرض لم تكنِ إلا خيـالا! وكـان يظهر بأشـكال متعـددة ويغـير شـكله كيفما يشـاء ووقتما يشاء!

(د) أي تركز فقط على المسيح ككـائن روحـاني وتتكلم عنه كلاهوت فقط: وأنه ظهر فجأة على الأرض بدون أي تفصيلات تخص الميلاد أو التجسد 00الخ؛ وأنه كـان يظهر في أشـكال متنوعة وليس في شكل واحد وأنه فقط كما يقـول إنجيل فيلبس: " **يسوع أخـذهم كلهم خلسـة، لأنه لم يظهر لهم كما هو بالحقيقـة، لكن بـالأحرى بالطريقة الـتي بها يقـدرون أن يـروه. لقد اظهر ذاته لهم جميعا: اظهر ذاته كعظيم للعظيم. كصغير للصغير. اظهر ذاته كملاك للملائكـة، وللبشر كانسـان. بسـبب هـذا خـبئت كلمته ذاتها عن كل احـد. البعض بالفعل رأوه، معتقـدين أنهم رأوا ذاتهم، لكن عنـدما ظهر لتلاميـذه على الجبل في مجد، لم يكن صغيرا. لقد أصـبح عظيما لكنه جعل تلاميذه عظماء، حتى يكونوا قادرين أن يـروه في عظمته** ". ويقـول كتـابهم يوحنا السـري أو الأبـوكريفي المنحـول " **وانفتحت السـماء وكل الخليقة الـتي تحت السـماء ظهـرت واهـتز العالم، وكنت خائفاً، ونظـرت ورأيت في النـور شـاب وقف إلى جـواري، وبينما نظـرت إليه صـار مثل رجل عجـوز،. ثم غير مظهره (ثانية) وأصبح مثل خـادم، ولم يكن هنـاك تعـدد أمامي ولكن كان هناك مظهر ذو أشـكال متعـددة في النـور والأشـكال ظهـرت خلال كل منها وكـان المظهر له ثلاثة أشكال** ". وهكذا

في رؤيا بـولس الأبوكريفية المنحولـة، وكتـاب الحـديث الثـاني لشـيث العظيم، وما يسـمى برؤيا بطـرس الأبوكريفية المنحولـة. كما يقـول كتـابهم إنجيل يهـوذا: " عنـدما ظهر يسـوع على الأرض عمل معجـزات

وعجائب عظيمة لخلاص البشـرية 000 **وغالباً لم يظهر لتلاميـذه كما هو، ولكنه وُجد بينهم كطفل** ".

وهذا عكس الإنجيل الموحى به بالروح القـدس بأوجهه الأربعة الـتي نرى فيه المسيح في لحظـات الحبل به من الـروح القـدس ومن مـريم العـذراء وختانه وتجواله بين النـاس " الـذي جـال يصـنع خـيرا ويشـفي جميع المتسلط عليهم إبليس لان الله كان معه " (أع10 :38)، ويسير بنا حتى القبض عليه وصلبه وموته وقيامته وصعوده.

(ر) التعاليم السرية: وتزعم هذه الكتب أن المسـيح أعطى تلاميـذه تعـــاليم ســـرية خاصة بهم وحـــدهم يتعلمها ويعرفها فقط الخاصة من النـاس، بل وقد أعطاها بشـكل سـري وخـاص لواحد أو بعض تلاميـذه، وعلى سبيل المثال يقول إنجيل توما: " هذه الأقوال السرية التي تكلم بها يسوع الحي "!! وهذا ما يقوله أيضاً إنجيل مـريم المجدليـة: " قـال بطرس لمريم, أختاه **نعلم أن المخلص احبك أكثر من أي امرأة أخرى.** قولي لنا كلمات المخلص التي تذكرينها وتعرفينها, ولم نسمعها من قبل. أجـابت مـريم وقـالت, ما هو مخفي عنكم سـأطالب به من أجلكم. وبـدأت تقـول لهم هـذه الكلمـات: أنا, **رأيت الرب في رؤيا** وقلت له، يا رب لقد رأيتك اليوم في رؤيـا, فـرد قـائلا لي، مباركة أنت لأنك لم ترتعشي لرؤيتي. لأنه حيث يكون العقل يكون الكنز ". ويقـول إنجيل يهوذا: " الرواية السرية للإعلان الـذي تكلم به يسـوع في حـديث مع يهـوذا الإسـخريوطي خلال ثلاثة أيـام من الأسـبوع قبل أن يحتفل بالفصح "!! ويقـول أن المسـيح قـال ليهـوذا أيضـاً: " تعـال بعيـدا عن الآخـرين وسـأخبرك بأسـرار الملكـوت. فمن الممكن لك أن تصل إلى ذلك ".

وهـذا عكس تعليم المسـيح الحقيقي الـذي قاله لتلاميـذه: " **الـذي أقوله لكم في الظلمة قولـوه في النـور. والـذي تسـمعونه في الأذن نادوا به على السطوح** " (مت10 :27)، **"، لذلك كل ما قلتموه في الظلمة يسمع في النور وما كلمتم به الأذن في المخادع ينادى به على السطوح** " (لو12 :3)، وقال لرئيس الكهنة عندما سأله عن تعليمه: " **أنا كلمت العالم علانية**

أنا علّمت كل حين في المجمع وفي الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما. وفي الخفاء لم أتكلم بشيء. لماذا تسألني أنا. اسأل الذين قد سـمعوا مـاذا كلمتهم. هـوذا هـؤلاء يعرفـون مـاذا قلت أنا " (يو18 :20و21). لم يكن للمسـيح أي تعليم سـري، بل كـان علانية لجميع النـاس في كل العـالم والأمم، وليس لفئة خاصة "

الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصـون والى معرفة الحق يقبلـون " (1تي2 :3و4).

(س) تنـــــادي بفكر خليط بين المســـــيحية والــــــديانات والفلسفات الوثنية: فتقـول بوجـود (1) إله سـامي غـير مـدرك ولا معروف وإله اقل هو الذي خلق العالم المادي أسموه بالديميورج وقال بعضها أنه يهـوه إله اليهـود، وذلك إلى جـانب العديد من الآلهة الأخـرى والملائكة التي تقوم بعمل الخلق. (2) الروح خيرة، وقـالوا أنها شـرارة إلهية داخل الإنسان، والمادة شـر. (3) أن روح الإنسـان مسـجونة في الجسد المادي الشـرير وسـتخرج من هـذا السـجن عند المـوت. (4) لا يوجد قيامة للجسد الذي يفنى عند خـروج الـروح منه ولا يعـود. فيقـول إنجيل يهوذا الأبوكريفي المنحول بنفس الفكر عن الروح: " قـال يهـوذا ليسوع: " وهل تموت الروح الإنسانية؟ ". قال يسـوع: " لهـذا السـبب أمر الله ميخائيل أن يعطي البشر أرواحاً كإعارة, ليقدموا خدمـة، ولكن الواحد العظيم أمر جبرائيل أن يمنح أرواحــاً للجيل العظيم دون حــاكم عليها - هذا هو الروح والنفس ". وأيضاً " الروح [التي] بـداخلك تسـكن في هذا [الجسد] بين أجيال الملائكة ولكن الله سـبب المعرفة لتعطى لآدم وأولئك الـذين معـه,حـتى لا يحكم عليهم ملـوك الفوضى والعـالم السفلي ".

وهذا عكس الكتاب المقدس الذي ينادي بإله واحد " الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه هـذا إذ هو رب السـماء والأرض لا يسـكن في هياكل مصنوعة بالأيادي. ولا يخدم بأيادي الناس كأنه محتـاج إلى شـيء. إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شـيء. وصـنع من دم واحد كل امة من النـاس يسـكنون على كل وجه الأرض وحتم بالأوقـات المعينة وبحـدود مسكنهم " (أع17 :24-26). هذا الإله الواحد خلق كل شيء بكلمته " **لكن لنا اله واحد الآب الـــذي منه جميع الأشـــياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشـياء ونحن به** " (1كو8 : 6)، "ـ **الله خالق الجميع بيسوع المسيح** " (أف3 :9)، كلمته وصورة جـوهره؛ " **في البدء كـان الكلمة والكلمة كـان عند الله وكـان الكلمة الله. هذا كان في البدء**

عند الله. كل شيء به كـان وبغـيره لم يكن شـيء مما كـان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس " (يو1 :1-4)، "ـ **الذي هو صـورة الله غـير المنظـور بكر كل خليقة. فانه فيه خلق الكل ما في السـموات وما على الأرض ما يـرى وما لا يـرى سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسـات أم سـلاطين.الكل**

به وله قد خلق. الذي هو قبل كل شـيء وفيه يقـوم الكل " (كو1 :15-17).

(ص) تنادي بأن الخلاص بالمعرفة؛ معرفة الإنسان للإله السـامي غـير المـدرك ومعرفة الإنسـان لنفسه كـروح خـيرة، شـرارة إلهيـة، مسجونة في جسد مادي شرير، يقـول إنجيل الحقيقيـة: " **الـذي لديه المعرفة يعـرف من أين أتي وإلى أين يـذهب** ". ويصـور كتـاب تعليم سـلافينوس المسـيح كـالمعلم الـذي يعلم الخلاص بالاسـتنارة المعرفية: " **الذهن هو المرشد، ولكن العقل هو المعلم، فهما سـيخرجانك من الـدمار والأخطـار 000 أضـيء عقلك 000 النـور هو المصـباح داخلك** ". ويقـول إنجيل يهـوذا: **أن المسـيح كشف لتلاميـذه الكثـير من المعرفـة: " دعُا تلاميـذه الأنـثى عشـر. وبـدأ الحـديث معهم عن أسـرار ما وراء العـالم وما سيحدث في النهاية** "، ولكنه كشفها أكثر ليهوذا لأنه، كما يزعم هذا الكتاب المزيف كان هو الأقـدر منهم على ذلـك، وقـال لـه: " **[تعال]: حتى أعلمك [أسرار] لم يرها أحد قط** "!!

وهذا تعليم صوفي فلسفي معقد يتنـافى مع تعليم المسـيح البسـيط الذي كان يقدمه بأمثال بسيطة: " **هذا كله كلم به يسـوع الجمـوع بأمثـال. وبـدون مثل لم يكن يكلمهم** " (مت20 :28)، "**ـ كـان الجميع يشـهدون له ويتعجبـون من كلمـات النعمة الخارجة من فمه** " (لو4 :22).

(ط) وتصور المسيح كمعلم غنوسي جـاء فقط ليعلم تعـاليم غنوسية صوفية سرية!! يقول إنجيل توما (قول 13): " قال يسوع لتلاميذه: قـارنوا لي. وقولـوا لي من أشـبه. قـال له سـمعان بطـرس. أنت كملاك صالح. قال له مـتى أنت كرجل حكيم متفهم. قـال له توما: سـيدي, لن أجهد فمي لأقـول لك من تشـبه. قـال يسـوع, أنا لست سـيدك, لأنك سـكرت، أنت سـكرت من الينبـوع الفـوار الـذي أرقته. وأخـذه, وذهب به جانبـا, وقـال له ثلاث كلمـات. وعنـدما رجع توما إلى أصحابه, سألوه ماذا قال لك يسوع؟ **قال توما لهم: لو أخبرتكم**

بواحـدة من كلماته الـتي قالها لي, فسـتحملون حجـارة وترمونني بها. وستخرج نار من الحجارة وتحـرقكم ". ويقـول في إنجيل يهـوذا: " فقـالوا: " **يا معلم, أنت [000] ابن إلهنا ". قال لهم يسـوع: " كيف تعرفونـني؟ الحق [أنـا] أقـول لكم, ليس من بينكم جيل من الناس سـيعرفني** 000 وعنـدما سـمع تلاميذه ذلك بدءوا يغضبون ويحنقون وبدءوا يجـدفون عليه في قلـوبهم. ولما رأى يسوع قلة [معرفتهم، قال] لهم: " لماذا أدت بكم هذه الإثارة

إلى الغضـــب؟ إلهكم الـــذي بـــداخلكم و [000] هو من دفعكم إلى الغضب [داخل] نفوسكم ". أنه يتكلم عن مسيح غامض جـاء من عـالم أسطوري غير مدرك!!

وهذا لا يتفق لا مع مسيح الإنجيل المـوحى به بـالروح القـدس الـذي يقـول؛ " تعـالوا إليّ يا جميع المتعـبين والثقيلي الأحمـال وأنا أريحكم. تعلموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب. فتجـدوا راحة لنفوسـكم " (مت 11 :28و29). ولا مع مسـيح التـاريخ، الـذي ولد وعـاش ومـات وقـام. ولا وجـود لمثله لا في كتب آبـاء الكنيسة ولا في أي كتب غـير هـذه الكتب الغنوسية الهرطوقية.

(ع) كما لا يمكن أن تسمى كتب الغنوسـية السـتة المسـماة بالأناجيل بهـذا الاسـم؛ لأنها لا تحمل أي سـمات للإنجيـل. فهي لا تحـوي شـيئاً لا عن ميلاد المسـيح أو لمحـات من حياته ولا أعماله ولا موته أو قيامته، وأن كانت تلمح لها باعتبار أن ذلك موجـود في الأناجيل القانونية التي أعترف بها هـؤلاء الهراطقة أيضـاً، سـواء جزئيـاً أو كليـاً، باعتبارها أناجيل العامة وأن كتبهم هي أناجيل الخاصـــة، كما يقـــول القـديس إيرينـاؤس: " **الأرض الـتي تقف عليها هـذه الأناجيل أرض صـلبة حـتى أن الهراطقة أنفسـهم يشـهدون لها ويبـدأون من هـذه الوثـائق وكل منهم يسـعى لتأييد عقيدته الخاصة منها** "[18].

ولـذا لم يقتبس منها أحد من آبـاء الكنيسة في القـرون الأولى وما بعدها على الإطلاق، بل رفضوها لأنهم كانوا يعرفون جيدا مصدرها ومن أنتجها من الهراطقـة، كما قـال القـديس إيرينـاؤس (170م) " **أن الهراطقة الماركونيين أصدروا عـددا لا يحصى من الكتابـات الأبوكريفية والمـزورة والـتي زيفوها بأنفسـهم ليـذهلوا عقول الحمقى**[19]. وقال عن تلفيق جماعة القاينيين لإنجيل يهوذا: " **ولذا فقد لفقوا تاريخا مزيفـاً أسـموه إنجيل يهـوذا ".** وقـال العلامة أوريجـانوس (185 – 253م)؛ " **الكنيسة لـديها أربعة أناجيل والهراطقة لديهم الكثير جداً** ".

6 – من هم كتّاب هذه الأبوكريفا:

كان كتـاب هـذه الكتب الأبوكريفية، في الأغلب، هم زعمـاء أو بعض أفـراد الفـرق الأبيونية والغنوسـية، وقد نسـبوا بعض هـذه الكتب لمسـتخدميها، كإنجيل العبرانـيين وانجيل المصـريين، أو لكتابها كإنجيل مركيـون وانجيل مـاني، ونسـبوا جـزءًا كبـيرا منها للرسل لتلقى رواجا

(18) Ag. Haer. 3:11,8.
(19) Against Her. 32.

عند العامة من المؤمـنين. وكـان علمـاء الكنيسة من آبائها في القرون الأولى يعلمون ذلك جيدا، فقـال إيرينـاؤس أن المـاركونيين قد أصـدروا عددا لا يحصي من الكتب الأبوكريفية المـزورة، وقـال أغسـطينوس أن المانيين يستخدمون هـذه الكتب الأبوكريفية، وأنها من تـأليف " ملفقي الخرافات، وأشـار عـدد كـبير من الآبـاء إلى شـخص من القـرن الثـاني يدعي " لوسيوس " علي أنه كاتب بعض هذه الكتب الأبوكريفية، خاصة أعمال يوحنا وتوما وأندراوس وبطرس وفيليب. وقد أدان مرسوم البابا جلاسـيوس (496م) عـدداً كبـيراً من هـذه الكتب، وفي أخر المرسـوم يدين كل الكتب التي كتبها لوسيوس تلميذ الشـيطان ". وقـال ترتليـان أن قسا من آسيا هو الـذي ألف أعمـال بـولس وذلك بقصد تعظيم هـذا الرســول بإضــافات من عنــده فعزلته الكنيسة من رتبتــه بعد اعترافه بذلك.

7 - علماء العصر الحديث وموقفهم من هذه الكتب:

درس علماء العصر الحديث هـذه الكتب بـروح العلم الحـديث وطرقه العصـرية الحديثة " المصـونة بسـياج الحرية والاسـتقلال في الإرادة "، وكانت أخصب فترات بحثهم ودراستهم هي الفترة من 1886 –1945م وما تلاها، والتي تم فيها اكتشاف كميات ضخمة من المخطوطـات، في أخميم والبهنسا والفيوم ونجع حمادي، والتي تحـوي هـذه الكتب والـتي ترجع إلى ما بين القـرن الثـاني والقـرن الرابع الميلادي. وبعد الدراسة التحليلية الدقيقـة، أقر العلمـاء بزيف هـذه الكتب وأيـدوا آبـاء الكنيسة الـذين رفضـوا إقرارها أو قبولها في القرون الأولى، كما أقـروا بصـحة الأناجيل القانونية الأربعة وبقية أسفار العهد الجديد القانونية

لسموها وبساطتها وعظمتها. كما أقروا بأن المصـدر الأول لهـذه الكتب الأبوكريفية هي الكتب القانونية.

قـال د. سـويت، في تعليقـه علي إنجيل بطـرس (لنـدن 1893) " انه حـتى التفاصـيل الـتي تبـدو جديـدة تماما أو الـتي تتعـارض مع الأناجيل القانونية، يمكن أن تكون مـأخوذة عنهـا. وختم بقوله " أنه بـالرغم من الجديد فيها فليس هنــاك ما يضــطرنا لاســتخدام مصــادر خارجية عن الأناجيل القانونية "[20].

وقـال بروفيسور أور عن إنجيل بطـرس، أيضـا، أن الأصل الغنوسي لهذا الإنجيل يبدو واضحا في قصة القيامة والمعالم الدوسيتية فيها[21].

---

[20] دائرة المعارف الكتابية جـ 1 : 56 .
[21] المرجع السابق جـ 1 : 56 .

وقــال ر. هو فمــان R. Hofmann عن كيفية كتابة هــذه الكتب الأبوكريفية " أن الطريقة المستخدمة هي نفسها دائما، سواء كان قصد الكاتب أن يجمع ويرتب ما كان طافيا في التقليد العام، أو كــان قصــده أن يوجد أثرا عقيديا محــدد، لقد أنهمك في عمله حقيقــة، وبصــفة عامة فقد صور ما ألمحت إليه الأناجيل القانونية، أو حول كلمــات يســوع إلى أعمــال، أو صــور إتمــام توقعــات اليهــود الحرفية عن المســيا، أو كــرر عجائب العهد القديم في شكل آخر 00الخ. لقد أتم العمل وحرص على أن يخفي اسمه ويدمغ كتابه باسم أحد الرسل أو التلاميذ ليعطيه ســنداً رسولياً "[22].

أخيرا يقول أ. روبــرتس و. ج. دونالدسن أحد محرري موســوعة " ما قبل نيقية " أنه بينما تقــدم لنا الأناجيل الأبوكريفية لمحــات غريبة عن حالة الضمير المسيحي وأساليب التفكير في القــرون الأولى من العصر المسيحي، فان الانطباع الدائم الذي تتركه في أذهاننا، هو شعور عميق للسمو الــذي لا يقــاس والبســاطة الــتي لا يمكن بلوغها والعظمــة الــتي للكتابات القانونية "[23].

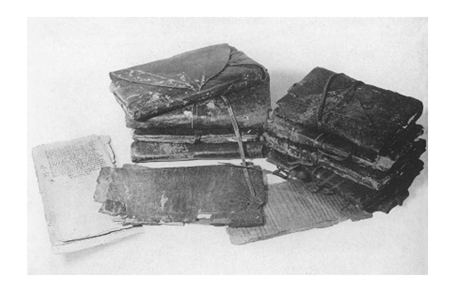
8 - الأناجيل الأبوكريفية:

ونبدأ هنا فقط بالأناجيل الأبوكريفية، التي هي موضع دراستنا في هذا الجزء. ويبلغ عدد هذه الأناجيل، نحو خمسين[24]، ولكن لا يوجد في الكثير منها سوى أجزاء صغيرة أو شذرات متفرقــة، ويوجد البعض منها مكتملاً أو ما يشــبه ذلك. ولعل عــددها قد تضــخم نتيجة إطلاق أســماء مختلفة على المؤلف الواحـــد. ويـــذكر هوفمـــان ثلاثين منها مع بعض الإيضاحات، ويعطي فابريكوس قائمة كاملة بها. وكانت الدوائر الأبيونية والغنوســية شــديدة الخصــوبة في إنتــاج مثل هــذه الأناجيــل. ويقــول سلمون: " من السهل إعطاء قائمة طويلة بأسماء الأناجيل الــتي يقــال إنها كانت مســتخدمة عند المــذاهب الغنوســية المختلفــة، ولكن لا يعلم غير القليل عن محتوياتهــا، وهــذا القليل لا يســمح لنا بــأن ننسب لها أي قيمة تاريخية "، فــالكثير منها لا نعــرف عنه ســوى عناوينها مثل إنجيل الباســليديين، وإنجيل كــيرنثوس وإنجيل أبلس، وإنجيل متيــاس، وإنجيل برنابا (غير الإنجيل المزيف والموجود حالياً)، وإنجيل برثلماوس، وإنجيل حــواء، وإنجيل فليمــون، وكثــير غيرهــا. وكــان علمــاء الكنيسة الأولى والمســئولون فيها يعلمــون بوجــود هــذه الأناجيل وبالهــدف من كتابتهــا.

(22) Ante Nicene Fathers Vol. 8 p. 349.
(23) The International Standard Bible Encyclopedia Vol. 1 p. 181.

(24) The International Standard Bible Encyclopedia, Apocrypha.
ودائرة المعارف الكتابية، أبوكريفا

ومما يسترعي النظر أنهم لم يترددوا في نعتها بما تستحقه، كما بينا أعلاه. وفي مقدمة وستكوت لدراسة الأناجيل، باستثناء المكتشفة حديثا في مصر، نجد جدولاً كاملاً - باستثناء ما اكتشف في مصر مؤخراً - بالأقوال والأفعال التي لم تدون في الأسفار القانونية، والمنسوبة لربنا في كتابات العصور الأولى، وكذلك بياناً بالاقتباسات من الأناجيل غير القانونية والتي لا نعلم عنها شيئاً سوى هذه الاقتباسات.



الفصل الرابع

الكتب الأسطورية
المسماة بأناجيل الميلاد والطفولة

1 – روايــات الميلاد والطفولة الأبوكريفية ومخالفتها للإنجيل القانوني:

قبل الدخول في موضوع الكتب، المسماة بأناجيل الميلاد والطفولة، نضع الأسئلة التالية أمامنا لتتضح الصورة الحقيقية لها، ومعرفة دوافعها ومغزاها وأسباب كتابتها، وأسباب انتشارها بين الهراطقة وبعض العامة من الجهلاء بالكتـاب المقـدس. وهل لها صـلة بالأناجيل القانونية والـتي اسـتلمتها الكنيسة من الـرب يسـوع المسـيح عـبر تلاميـذه ورسـله مباشرة، أم لا:

1 – هل أعلن الـــوحي في الأناجيل القانونية الأربعة (الإنجيل بأوجهه الأربعة) بوجود أية معجزات صـنعها المسـيح في ميلاده وطفولتـه، بـأي شكل من الأشكال؟

2 – هل فعل الرب يسوع المسـيح معجـزات في ميلاده وطفولته غـير المذكورة في الإنجيل بأوجهه الأربعة، وذكرت في وثائق غير الإنجيل؟

3 – هل ذكر الآبـاء الرسـوليون وآبـاء القـرن الثـاني والقـرن الثـالث الميلادي أية معجزات للمسـيح في ميلاده وطفولته غـير المـذكورة في الإنجيل بأوجهه الأربعة؟

4 – وهل ذكـروا أي من هـذه المعجـزات المزعومـة، والمـذكورة في الكتب المســماة بالأبوكريفية والــتي خــرجت من دوائر الهراطقــة، أو استشهدوا بها؟

5 – وهل تتفق هذه المعجزات الخرافية والأسطورية مع سمو وبساطة وعظمة معجزاته المذكورة في الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة؟

6 – وما معنى قول الإنجيل للقديس لوقا: " **وكان الصبي (يسـوع) ينمو ويتقوى بالروح**

ممتلئا حكمة وكـانت نعمة الله عليه 000 وأما يسـوع فكـان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس " (لو2:40، 52)؟

7 – وهل يدل ما جاء في الإنجيل للقديس يوحنا: " **وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب** " (يو20 :30)، على أن هناك معجزات حدثت في ميلاد وطفولة المسيح غير المذكورة في الإنجيل بأوجهه الأربعة؟

8 – ولماذا كتبت المعجزات في هذه الكتب الأبوكريفية بمثل هذا الشكل الأسطوري البعيد عن سمو وبساطة الرب يسوع المسيح وعظمته؟

9 – كان لكل معجزة من معجزات المسيح هدفً سواء كان روحياً أو تعليماً أو لإثبات لاهوته وعلاقته بالآب، فما هي أهداف هذه المعجزات الأسطورية المذكورة في هذه الكتب الأبوكريفية؟

10 – تذكر هذه الكتب الأبوكريفية معجزات للطفل يسوع تدل على طبيعة عدوانية لطفل عدواني مشاكس ومسبب للمتاعب، بل والآلام والأحزان، لكل من حوله، فهل تتفق بذلك مع مسيح الإنجيل بأوجهه الأربعة، الوديع والحنان والمحب بلا حدود؟

11 – ظهرت الملائكة وقت ميلاد المسيح لفئة واحدة من الناس هم الرعاة، وظهر نجم في المشرق لفئة واحدة من الناس هم مجوس من المشرق، فهل يبرر ذلك ما ذكرته هذه الكتب الأسطورية من ظهور الملائكة لكثير من الناس، وسجود الحيوانات له، وخضوع الطبيعة والأشجار له وهو طفل كإله الكون ومدبره، متجاهلة حقيقة تجسده واتخاذه للطبيعة الإنسانية الكاملة؟

12 – وما هي الأسباب الحقيقة وراء تأليف هذه القصص الأسطورية وكتابتها ونشرها بين الهراطقة وبسطاء المؤمنين؟

وللإجابة على هذه الأسئلة نبدأ بما جاء في الإنجيل للقديس يوحنا عن معجزة تحويل الماء إلى خمر التي صنعها الرب يسوع المسيح في عرس قانا الجليل والتي تقول: " **هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل واظهر مجده فآمن به تلاميذه** " (يو2:ـ 11). وكلمة " **آيات** " هنا هي، كما جاءت في اليونانية "- σημεῖον sēmeion "، وتعني كما جاءت

في قاموس Strong؛ " معجزة، علامة، أمارة، عجيبة "[1]. وتعني هنا " بالتحديد علامة إعجازية، علامة عمل قوة ونعمة، وصفة لاهوتية "[2]. أي " حدث طبيعي أو إنساني يصبح علامة أو شهادة لطاقات لاهوتية أو غير مرئية "[3]. وهي تعني كل أنواع الأعمال التي تظهر من الرب

[1] Strong's Hebrew and Greek Dictionaries.
[2] Vincent's Word Study of the New Testament Vol. 2:83.
[3] The Pulpit Commentary Vol. 17 : 85.

يسـوع المسـيح، والـتي عملها بكل أنواعهـا، معلنة عن شخصه ولاهوته وكونه المسيح ابن الله الحي.

ويرتبط بها قوله " **واظهر مجده** "، ثم " **فآمن به تلاميذه** "، أي أن هذه الآيات التي كان يصنعها الـرب يسـوع، كـانت بسب تحننه وحبه للبشرية، وبالدرجة الأولى لإظهار مجده، وحتى يـؤمن تلاميـذه وغـيرهم أنه المسيح الآتي، ابن الله، " **المسـيح ابن الله الحي** " (مت16:16؛ يو 6 :69)، ومن ثم نجد عدة آيات تؤكد هذا المعنى، كقوله عن مرض لعازر الذي أقامه من الموت بعد أربعة أيام من موته: " فلما سمع يسوع قال هذا المرض ليس للمـوت بل **لأجل مجد الله ليتمجد ابن الله به** " (يو11:4)، وقوله عن المعجزات التي سيفعلها على يد تلاميذه " **ومهما سـألتم باسـمي فـذلك افعله ليتمجد الآب بـالابن** " (يو14 :13). وهذا ما قيل عن معجزاته المتنوعة؛ " جاء إليه جموع كثيرة معهم عرج وعمي وخرس وشل وآخـرون كثـيرون. وطرحـوهم عند قـدمي يسـوع. فشـفاهم، **حـتى تعجب الجمـوع** إذ رأوا الخـرس يتكلمـون والشل يصحّون والعرج يمشـون والعمي يبصـرون. **ومجدوا اله إسـرائيل** " (مت 15:30و31). بل وكانت هذه المعجزات والعجائب هي رده العملي في إجابته على تلاميذ يوحنا دلالة على أنه المسـيح الآتي: " فأجـاب يسـوع وقال لهما **اذهبا واخـبرا يوحنا بما رأيتما وسـمعتما. أن العمي يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسـمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون. وطوبى لمن لا يعثر فيّ** " (لو7 :22و23).

وتبدأ الآية بقوله: " **هذه بداية الآيات فعلها يسوع** "، والتي تؤكد أنه لم يصـنع أية آية قبلهـا، مؤكـدة على أن كل ما نسب للـرب يسـوع المسـيح قبل ذلـك، سـواء في ميلاده أو طفولته أو قبل خدمتـه، غـير صــحيح. ففي ميلاده حــدثت المعجــزات لأجله ولم يفعلها هو كالطفل يسوع، بل حدثت من أجله وأبرزها ظهور الملائكة للرعاة وظهور النجم للمجوس. ولم يذكر الإنجيل بأوجهه الأربعة، أية معجزات صـنعها يسـوع وهو طفــل، بــرغم أن ذلك لا ينفي إمكانية فعله للمعجــزات كالإلــه المتجسد، ولكنه كان يفعل كل شيء بحسب التـدبير الإلهي والمشـورة الإلهية الأزلية.

كما أن جميع المعجـزات الـتي صـنعها الـرب يسـوع المسـيح تمـيزت بالبســاطة والســمو والعظمة والحكمة في آن واحد وقد ســجلت ودونت بالروح القدس دون زخرفة أو مبالغة أو تهليل، بل ذكـرت كأحـداث طبيعية بالنسـبة للمسـيح ابن الله الحي، وبصـورة بسـيطة تلقائيـة، مؤكـدة على بساطة وعمل الروح القدس في كُتّابها، الذين اعتادوا عليها، ولم يـروا فيها شيء غير طبيعي بالنسبة لـه، كـابن الله الحي. وكـان تأثيرها يظهر فقـط،

عند جموع الناس التي شاهدتها، وكان تعبير الكتـاب دائمـاً هـو: " **فتعجب** الناس قائلين **أي إنسان هـذا. فـان الريـاح والبحر جميعا تطيعه** " (مت8:27)، "ـ فلما اخرج الشيطان تكلم الأخرس. **فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا في إسرائيل** " (مت9 :33)، "ـ **فتعجب الجميع** " (مر5 :20)، "ـ فقام (المفلوج) للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل حتى **بهت الجميع ومجّدوا الله قائلين ما رأينا مثل هذا قط** " (مر2 :12).

" وبعد شـفائه لمجنـون أعمى واخـرس، يقـول الكتـاب: " **فبهت كل الجموع وقالوا ألعل هذا هو ابن داود** " (مت12 :23)، وبعد إقامته لابنة يايرس من الموت، يقول: " **فبهت والداها** " (لو8 :56). وبعد شفائه لصبي من الصرع وإخراجه للروح النجس، يقـول: " **فبهت الجميع من عظمة الله** وإذ كان الجميع يتعجبون من كل ما فعل يسوع " (لو9: 43).

2 – كـان المسـيح في ميلاده وطفولته وصـبوته ينمو كإنسان:

يقول الإنجيل للقديس لوقـا: " وكـان الصـبي (يسـوع) **ينمو ويتقوى بـالروح ممتلئا حكمة وكـانت نعمة الله عليه 000 وأما يسـوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والنـاس** " (لو 40:2،52). فماذا يقصد بقوله هذا؟

لقد ظهر المسيح على الأرض كإنسان، برغم تجسده ولاهوته، وكان في إمكانـه أن يظهر علمه الكلي ومعرفته الكلية وقدرته الكلية ونعمته الغنية وحكمته الكلية منـذ لحظة ميلاده وبداية ظهـوره على الأرض وفي كل الأوقات والمناسبات ولكنه حجب هذه المعرفة وهذا

العلم وهذه القوة وهذه النعمة والحكمة بسبب تجسده، اتخـاذه الجسد الـذي حل فيه وأتحد بـه، واشـترك به في ضـعف البشـرية وعجزها، بحسب التدبير الإلهي، فقد كـان " **مجـرب في كل شـيء مثلنا بلا خطية** " (عب15:4). ومن ثم فقد شـاءت إرادته الإلهية أن يظهر علمه ومعرفته وقوته ونعمته وحكمته للنـاس تـدريجيا، بطريقة متدرجة ومتطـورة ومتفقة مع نمـوه الجسـدي. بل وتأجل كل عمل إعجـازي له إلى ما بعد حلـول الـروح القـدس، حسب التـدبير الإلهي والمشـورة الإلهية، وكما أشـار القـديس بطـرس: " **يسوع الـذي من الناصـرة كيف مسحه الله بـالروح القـدس والقـوة الـذي جـال يصـنع خـيرا ويشـفي جميع المتسـلط عليهم إبليس لان الله كـان معه** " (أع10: 38). ولم يذكر الكتاب أي عمل إعجازي عمله قبل ذلك.

قال القديس كيرلس عمود الدين في رسالة له إلى نسطوريوس: " **لو أنه أبان وهو طفل من الحكمة ما يليق به كإنسان، لظهر للجميع كأنه كائن غريب شاذ عن الجميع. ولكنه كـان يتـدرج**

في إظهـــار حكمته بالنســـبة إلى تقدمه في العمر بحسب الجسد. وهكذا أراد أن يظهر للكل كأنه هو نفسه كان يــزداد في الحكمة بما يتلاءم مع ســنه 000 ففي تأكيـدنا أن ربنا يســوع المســيح هو واحــد، وفي نســبتنا له خــواص اللاهــوت والناســوت نؤكد حقيقة أنه ملائم لقياسات تواضع المسيح حـتى أنه قبل زيـادة جسـدية ونمواً في الحكمــة. فأعضــاء الجسد كــانت تصل بالتــدريج إلى تمــام بلوغهــا، **ومن جهة ثانية يظهر كأنه امتلأ حكمة بنســبة ظهـور الحكمة الكامنة فيه كأنها تــــــبرز بدرجة ملائمة لنمو الجسد** "[4].

وقال في عظة له على (لو2:4ـ52): " حينما صـار جسـدا أي صـار إنســانا مثلنــا، فأنه حينئذ ولد بالجسد من امــرأة. **وقيل عنه أنه كان خاضعا للأمور التي تختص بحالة الإنسان، وبرغم أنــه الكلمة لكونه إلهــاً كــان يســتطيع أن يجعل جســده يــبرز من البطن في قامة رجل ناضج مــرة واحــدة، إلا أن هــذا يكـون أعجوبة ومعجـــزة، ولـــذلك فأنه أعطى لعـــادات وقـــوانين الطبيعة البشـرية أن يكـون لها سـلطان على جسـده** 000 إذا فالجسد يتقدم في القامة والنفس تتقـدم في الحكمـة، لأن الطبيعة الإلهية غـير قابلة للازدياد لا في القامة ولا في الحكمة إذ أن كلمة الله كامل تمامـا. ولــذلك فأنه لســبب مناسب ربط بين التقــدم في الحكمة ونمو القامة الجسدية، بســبب أن الطبيعة الإلهية أعلنت حكمتها الخاصة بما يتناسب مع قامة النمو الجسدي "[5].

3 – أســـباب تـــأليف روايـــات ومعجـــزات الطفولة الأبوكريفية:

لم تــذكر الأناجيل القانونيــة، (الإنجيل بأوجهه الأربعــة)، ســوى ثمانية أحداث عن ميلاد المسيح وطفولته، وهي[6]:

(1) البشارة بالحبل بيوحنا المعمدان وميلاده (لو1 :1-25؛57-80).

(2) بشارة الملاك للعذراء بالحبل بالمسيح وميلاده (لو1 :26-38).

(3) شك يوسف النجار في العذراء وبشارة الملاك له (مت1 :18-25).

(4) ميلاد المسيح في بيت لحم (لو2 :1-20).

---

(4) مجموعة الشرع الكنسي ص 314 ؛ تاريخ الفكر المسيحي القس يوحنا الخضري ج 3 : 130.

(5) تفسير إنجيل لوقا الجزء الأول .

(6) New Testament Apocrypha, Wilhelm Schneemelcher, Vol. 1: 364-367.

(5) الختان ودخول الطفل يسوع الهيكل ونبـوات سـمعان وحـديث حنة النبية عنه مع جميع المنتظرين فداء في إسرائيل (لو1 :21-38).

(6) ظهور النجم للمجوس ومجيئهم إلى أورشليم ثم بيت لحم (مت2: 1-12).

(7) قتل أطفـــال بيت لحم ورحلة هـــروب العائلة المقدسة إلى مصر وعودته منها إلى الناصرة (مت2 :13-23).

(8) الطفل يســوع ينـاقش الشـيوخ ويسـألهم في الهيكل في سن 12 سنة (لو2 "41-52).

وقد كان هدف تـدوين هـذه الأحـداث، بـالروح القـدس، هـو؛ تعريف المؤمنين بأصل المسيح السماوي كابن الله العلي، وتجسده من الـروح القدس ومن مـريم العـذراء، وكونه الـوارث لعـرش داود الـروحي، من جهة نســبه ليوسف وميلاده من العــذراء، وكليهما من نسل داود، الــرد على الادعـــاءات اليهودية الكاذبة الـــتي زعمت أن العـــذراء حملت به سفاحا من جندي يدعى بانثيرا Panthera، فرح السمائيين والأرضيين بتجســده لخلاص البشــرية، تتميم النبــوات الــتي ســبقت وأعلنت عن تفاصــيل تجســده وميلاده، مجيئه لخلاص كل البشــرية، ومواجهته للآلام منذ طفولته.

وبرغم كفاية ذلك، إلا أنه لم يشبع فضول العامة والبسطاء وأصحاب الفكر الهرطوقي، الذين رغبوا في معرفة تفصيلات ومعلومات أكثر عن ميلاد المســيح وطفولته وصــبوته، فقد أرادوا ســيرة تفصــيلية لحيــاة المسيح وليس ما يخص خلاصهم الأبـدي، كقـول القـديس يوحنا بـالروح القدس: " **وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يســوع هو المســيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه** " (يو20 :31).

وكانت الأحداث المذكورة في كل من الإنجيل للقديس متى والإنجيل للقــديس لوقا تشـكل تربة خصـبة لإطلاق الخيـال الأسـطوري لتـأليف روايـات أسـطورية خيالية تنطلق منهـا. فـراح يختلق روايـات وأحـداث ترجع لما وراء هـذه الأحـداث الحقيقية وتتقـدم للأمـام وتنسج القصص الأسطورية التي تختص ليس بالميلاد فقط، بل تتجه نحو العـذراء وتهتم بالسيرة الذاتية لهـا، وترجع لما قبل ميلادها وكيفية نشـأتها وتربيتها في الهيكل وعناية الملائكة بها وإطعامها من الســماء، إلى بشـــارة الملاك لها، وتتجه ليوسف البـار، الرجل البـار الـذي أسـتحق أن يكـون خطيب العـذراء، وأن ينسب إليه المســيح، وتقـدم سـيرة لحياتـه، وتتكلم عن زواجه قبل العذراء وأنه كان أرملاً وقت خطوبته لها، وتعلل وجود أخوة للمســيح بــأنهم أولاد يوسف من زوجته الســابقة، المتوفــاة. وتحــاول التأكيد على عقيـدة الكنيسة في دوام بتولية العـذراء بصـورة تفصـيلية ولكن بشكل دوسيتي غنوسي غير أرثوذكسي.

وقد وصفت هذه الأحداث بمسحة غنوسية دوسيتية، تنكر حقيقة جسد المسيح، ومع ذلك حاولت تأكيد تجسده بميلاده من العـذراء، مع التأكيد على دوام بتوليتها.

وكـانت الهرطقـات الغنوسـية هي أكـثر من أهتم بهـذه الروايـات الأسطورية في هذه الكتب الأبوكريفيـة، فقد كـانت مهتمة بـالبحث عن روايـــات عن المســـيح تتناسب مع أفكارها وهرطقاتهـــا. فقد اهتمت بظهــورات المســيح بعد القيامة ونســجت حولها عشــرات الروايــات والكتب، كما اهتمت بدخوله الهيكل في طفولته ومناقشاته مع الشيوخ، ونســجت حولها الأســاطير الــتي زعمت أنه كشف عن معرفته الكلية وحكمته غـير المحـدودة، متجاهلة ما جـاء في الإنجيل القـانوني بأوجهه الأربعة حول التجسد.

4 – لا معقولية معجـــزات وأســـاطير هـــذه الكتب الأبوكريفية:

وعلى عكس ما جاء في الأناجيل القانونية (الإنجيل بأوجهه الأربعـة)، وما جـاء في تقليد الكنيسة وكتب آبائهـا، تمتلئ هـذه الكتب الأبوكريفية الأســطورية بالأفكــار الخرافية والخيالية فتنسب للمســيح، في ميلاده وطفولته، أعمالا خيالية لا مـبرر لها كسـجود التنـانين والأسـود والنمـور والثيران والحمير له! بل ونرى الطفل يسوع، طفلاً مشاكسـاً متقلبـاً ذا طبيعة تدميرية يؤذى معلميه ويتسبب في موت رفقائه بصـورة إعجازية لا مبرر لهـا، تمـزج قـدرة الله بـنزوات طفل مشـاكس! وغـير ذلك من الأفكـار الأسـطورية الخرافية المتـأثرة بـالفكر الإغـريقي الهيلينسـيتى والتي تشـبع فضـول البسـطاء والعامة الـذين اعتـادوا سـماع مثلها في دياناتهم الوثنية السابقة لاعتناقهم المسيحية .

يقول العالم الإنجليزي وستكوت: **" في المعجـزات الأبوكريفية لا نجد مفهوما سليما لقوانين تــدخلات العناية الإلهية، فهي تجرى لسد أعواز طارئة، أو لإرضـاء عواطف وقتيـة، وكثـيرا ما تنــافي الأخلاق، فهي اســتعراض للقــوة بــدون داع من جانب الرب أو من جانب من عملت معه المعجزة "**[7].

" **وهــذا يكشف تصــورات وأفكــار قــادة بعض الفــرق الهرطوقية الـــذين كتبـــوا تراثـــاً ضـــخماً من الكتابـــات الأبوكريفية الـــتي تكشف عن عقائـــدهم وفلســـفاتهم وخرافاتهم في شخصية المسيح في طفولتـه، الـتي جعلـوا**

[7] دائرة المعارف الكتابية جـ 1 : 58 .

منها طفولة مفعمة بـالمعجزات والقـدرات الـتي تخـالف ناموس الطبيعة ".

يقول قاموس الكتاب المقدس، تحت مادة الأناجيل غير القانونية، عن هذه الكتب الأسطورية، الأناجيل المنحولة: " وأما موضوع هذه الأناجيل فوصف لحالة يوسف والعذراء مريم، والعجائب التي عملها المسيح في حداثتـه، وما شـاهده في الهاوية **وغـير هـذه مما يرضي عقـول السـذّج ومن شـابههم من العامة الـذين يرتـاحون إلى مثل هذه الأساطير وأخبار القصصيين.** أما نقص هذه الأناجيل فظـاهر لأنها تنـاقض روح المخلص وحياتـه، على أنها دليل على صـحة الأسـفار القانونية دلالة النقود الزائفة على وجود النقود

الصحيحة الخالصة ".

ويقول أحد الكتاب: " أن كتبة ومؤلفي هذه الأناجيل كانوا مسـيحيين متأثرين بالغنوسية أرادوا أن يقدموا سـيرة للمسـيح تتفق مع أفكـارهم الغنوسـية والـتي هي خليط من عقائد وفلسـفات وأسـاطير وخرافـات شـتى: يهودية ومسـيحية وفارسـية ويونانية ورومانية الخ أرادوا أن يحيطـوا المسـيح حـتى في طفولته بهالة من القداسة والمعجـزات فاخذوا ينسجون حوله معجزات غريبة فجة تتنافي مع الـذوق والضـمير والأخلاق, كانت العبرة عندهم بحشو أناجيلهم بالمعجزات بصرف النظر عن مضمونها والهدف والمغزى منها فالطفل يسوع كان قادرا على كل شئ, وكدليل على ذلك نسبوا له معجزة خلاصتها انه كان يقتل الأطفال رفاقه عندما يلعب معهم عندما يغضبوه!!

والغريب أن هـذه الأناجيل السـاذجة (أناجيل الطفولـة) تنفـرد ببعض المعجزات الـتي اختلقها مؤلفوها والـتي لم توجد إلا بهـذه الأناجيل ولم تـرد في الأناجيل الأربعة ولا في عشـرات الأناجيل المنحولة (الأبوكريفا Apocrypha)ـ الأخرى مثل أن المسيح كان يتكلم في المهد وانه كـان يخلق من الطين كهيئة الطير ".

ويقـول عما جـاء بالكتـاب المسـمى بإنجيل الطفولـة لتومـا: " هـذا الإنجيل الملئ بالخرافـات والخـزعبلات الـتي اختلقها مسـيحي غنوسي إيمانا منه أن هــذا سـيزيد من عظمة المسـيح في فـترة طفولته المسكوت عنها في الأناجيل الأربعة, فاخذ يطـوف بخياله وينسج قصصا إعجازية تصل إلى درجة الإسـفاف والانحطـاط أحيانا, فيظهر المسـيح الطفل بصورة الساحر المتمكن من فن السحر لكي يبرهن على قدرته فيصنع معجزات خارقة لا هـدف من ورائها إلا أظهـار العضـلات فيعـذب من يشاء ويقتل من يشـاء وينتقم ممن يشـاء!! فصـارت المعجـزة عند المسيح الطفل قوة غاشمة غبية صبيانية لا هدف أخلاقي أو إنساني لها ".

وتقول دائرة المعارف الكتابيـة، تحت كلمة أبوكريفـا؛ " في كل هـذا النــوع من الأناجيــل، نلاحظ أن رغبة كتــاب الأناجيل غــير القانونية في مضاعفة المعجزات، جعلتهم لا يعيرون أي اعتبار للمدة التي مضت من حيـاة المسـيح بين الاثنـتي عشـرة والثلاثين من العمـر، ولعل السـبب الرئيسي في ذلك هو أن أخبار هـذه الفـترة من حيـاة المخلص، لا تصل بهم إلى

هدف عقائدي معين ".

وتعتمد هـذه الأسـاطير بالدرجة الأولى على كتـابين همـا، الكتـاب المســمى بإنجيل يعقــوب البــدائي، والــذي يركز على مكانة العــذراء السامية وقصص معجزات الحمل والميلاد الأسطورية، المستمدة أصـلاً من الإنجيل القانوني، والكتاب المسمى بإنجيل توما الإسرائيلي، والذي يركز على معجزات المسيح الأسـطورية في طفولتـه. وقد كـان هـذان الكتابان هما الأسـاس لكل ما كتب بعد ذلك في هـذا الشـأن. وقد كتب الأول لتمجيد العــذراء القديسة مــريم ويــروى أحــداث إعجازية تخص ميلادها ونشأتها، بينما يقدم الثاني الطفل يسوع في شكل غريب وشـاذ جداً، بل وفي صورة لا يذكرها أي كتاب أرثوذكسي، لأي كـاتب من آبـاء الكنيسة، بأي شكل من الأشكال. وتصاغ مادته بأسلوب أدبي أسطوري يقدم الطفل يسوع كامل المعرفة والحكمة والعلم على الإطلاق وبدون تحفـظ. وعلى عكس الإنجيل القـانوني الـذي يقـول أنه كـان ينمو في المعرفة والحكمة بحسب نمـوه الجسـدي وتقـدم عمـره الزمـني، وأنه كــــان يحجب ويخفي لاهوته وأنه لم يكشف عن معرفته الكلية إلا بعد حلـول الـروح القـدس وبـدء خدمتـه، بحسب تـدبير التجسـد، فقد ظهر الطفل يسوع في هذا الكتاب، والكتب التي أخذت عنه، كطفل عبقــري كامل المعرفة والعلم، ونسب له معجزات صـارخة وملفته بصـورة غـير مبررة، تختلف بدرجة عظيمة عن صـورته في الإنجيل القـانوني بأوجهه الأربعة المتميزة بالبساطة والسمو والرفعة بدون تكلف.

كما اتخـذت هـذه الروايـات مما جـاء في الإنجيل للقـديس لوقا عن دخوله الهيكل في سن الثانية عشـرة عنــدما كـان: " جالسا في وسط المعلمين **يسمعهم ويسـألهم. وكل الـذين سـمعوه بهتـوا من فهمه وأجوبته** " (لو2 :46و47)، وسـجله الإنجيل في شــكل تلقــائي وبسيط، ونسجت حوله روايات خيالية مبالغ فيها وغريبة، حيث صـورت الطفل يســوع وهو يعلن معرفته اللانهائيــة، ويكشف عن حقيقة لاهوته وحكمته بأفعاله وأقواله، وكونه كاشف الأسرار بلا حدود ومالك الحكمة الإلهية في ملئها وكمالها المطلق، وبصورة دوسيتية غنوسية، وبأسـلوب

يدل على أن الكاتب كان واسع الخيال جداً، خاصة في تصـويره للحيـاة اليومية لطفولة المخلص[8].

ويقول أحد الدارسين تتساوى هنا معجزات يسوع بما هو معروف في العالم الهيلينستي وينقصها أسلوب المسيحية الحقيقية بشكل ملحـوظ، فهي ببساطة تمجد الشاب يسـوع الـذي يسـتطيع أن يفعل ما هو ملائم لفائدته جسدياً وعاطفياً[9].

ويقدم الكتاب الأسطوري، المسمى بإنجيل توما، والكتب التي أخذت عنـه، الطفل يسـوع بشـكل مريـع، وكطفل عـنيف ومشـاكس وسـريع الغضب والانفعـال، يلعن الولد الـذي هـدم أحـواض الميـاة الـتي عملها يسـوع فيمـوت، ويجعل الطفل الـذي يصـطدم به يمـوت بلا ذنب جنـاه سوى أنه أصطدم به دون أن يقصد!! ويتسـبب في مـوت وإصـابة أكـثر من معلم من المعلمين الـذين أرادوا أن يعلمـوه، فكـان هو أكـثر علماً منهم، فضـربوه حـتى أغتـاظ ولعنهم فمـاتوا!! وكـان قـادراً دائمـاً على أحيـاء المـوتى خدمة لأمه أو للنـاس أو لتبرئة نفسه من تهمة التسـبب في موتهم!! بل وعنـدما كـان يخطيء يوسف في عمله كنجـار ويقيس الخشب ويقطعه بصورة خاطئة يصلح له الطفل يسـوع ذلك بـأن يجعل الخشب يتمــدد لأي طــول يحتاجه بصــورة إعجازيــة، فقد كــان يعمل المعجزات بلا مبرر ولا هدف سوى أظهار مقدرته على ذلك[10]!!

5 – موقف آباء الكنيسة والهراطقة في القرون الأولى منها:

لم تنظر الكنيسة الأولى قط إلى هذه الكتب ولا إلى ما جاء فيها، ولم تقتبس منها مطلقــاً، بل ولا يوجد مثيل لها في التســليم الرســولي مطلقاً، ولم تخرج عن دائرة من دوائر الكنيسة في الشـرق أو الغـرب، بل خرجت من أوساط الهراطقة وانتشرت بين بعض العامة والبسـطاء لأنها تشبع رغبتهم وفضولهم لمعرفة الكثير عن حياة المسيح. ولم يذكر آبــاء الكنيسة الأولى أية روايــات أو قصص عن شــخص الــرب يســوع المسيح غـير الموجـودة في الأناجيل القانونية (الإنجيل بأوجهه الأربـع)، وقد عارضت هذه الكتب الأسـطورية معارضة شـديدة ورفضـتها رفضـاً تاماً. ولما كانت هذه الكتب رائجة بكثرة في العصـور الوسـطى، خاصة القرن الرابع والخامس والسادس، فقد رفضها القديس جـيروم، وأدانها البابا داماسوس (366 – 384م)، والبابا أنوسنت الأول (401 – 417)،

(8) N. T. Apocrypha, Vol. 1 442.

(9) Achtemeier, "Gospel Miracle Traditions and the Divine Man. p.192.

Apocripal Gospels.

(10) International Standard Bible Encyclopedia,

وحرمها القانون الجلاسياني، والذي وضعها تحت اسـم؛ سلسـلة أناجيل الطفولة الأبوكريفية المرفوضة[11].

وعلى عكس إيمان الكنيسة وآبائها فقد كانت هذه الكتب الأسطورية، بصـورة جوهريـة، هرطوقيـة، بل وأدوات دعاية دوسـيتية غنوسـية، أستخدمها الهراطقة لتوصيل أفكارهم وهرطقـاتهم الغنوسـية، وتوصـيل تعليمهم الدوسـيتي الـذي قـال عن المسـيح أنه ظهر فقط في شـبه وشكل جسد متجاهلة حقيقة وتدبير التجسد.

فبعد انتشار الأناجيل القانونية، (الإنجيل بأوجهه الأربعة)، والتي أعتمد عليها، أيضاً، وأنطلق منها جميع الهراطقة كقول القـديس إيريـناؤس: " **الأرض الـتي تقف عليها هـذه الأناجيل أرض صـلبة حـتى أن الهراطقة أنفسهم يشهدون لها ويبـدأون من هـذه الوثـائق وكل منهم يسـعى لتأييد عقيدته الخاصة منها** "[12]. فقد دعت حاجة هؤلاء الهراطقة لتوسيع وتمديد وتزويد ما جاء بهـا، وملء الفـراغ الخاص بتفاصيل ميلاد المسيح وطفولته وصبوته، وتقديم وإعلان تعـاليم هرطوقية لا وجـود لها في الإنجيل الحقيقي. " **وكـانت أناجيل الطفولة مثالاً هاماً لهذا النوع من التوسع فتم توسيع آيـات الأناجيل القانونية القليلة وتمديـدها وتزويـدها بإضـافات ضخمة، وهنا وضُع في الاعتبـار تـأثير الشـكل الأدبي للعـالم المحيط** "[13].

فقد كان الغنوسيون مهتمين بهذه القصص الخاصة بالطفولة وتشجيع انتشـارها وعلقـوا عليها أفكـارهم الهرطوقيـة. واسـتخدموا روايـات ظهورات المسيح القـائم من الأمـوات مع حادثة دخوله الهيكل في سن الثانية عشـرة وكل الأسـاطير الـتي نسـبت لهـا، وقـدموها في أطـار مناسب كوّن، شكل، روايات الطفولة الغنوسـية الـتي صـورت المسـيح فقط في مظهر إنسـان دون أن يكـون كـذلك، وأنه لم يكن في الواقع في حاجة للنمو والتطـور بحسب نمـوه الجسـدي ومراحل عمـره المختلفـة، ولا لزيـادة المعرفـة، بل بـدا في المنظر هكـذا في أطـواره المختلفه لأنه كان يمتلك الإعلان الكامل في ملئه وكماله، كما كان لديه قوة إعجازية غير محدودة لعمل المعجزات مهما كانت.

---

(11) N. T. Apocrypha, Vol. 1. 418.
(12) Ag. Haer. 3:11,8.
(13) N. T. Apocrypha, Vol. 1. 418.

الفصل الخامس

مولد مريم والطفل يسوع
المسمى بإنجيل يعقوب التمهيدي

1 – مقدمة الكتاب:

هـذا الكتـاب له عـدة أسـماء مـذكورة على عـدد من المخطوطـات اليونانية والسـريانية، فيـذكر اسـمه في أقـدم مخطوطة له (Papyrus Bodmer V) بـ " **ميلاد مريم** "، وسمي بـ " **تاريخ يعقوب** "، و " **رواية يعقـوب** "، أو حـتى بـدون ذكر لاسم يعقـوب في الكثـير من المخطوطات. وكان أول من أطلق عليه اسم " **الإنجيل الأوَّلي** " هو الراهب اليسـوعي الفرنسي جوليّـوم بوسـتيل (Guillaume postel) الـــذي ترجمه إلى اللاتينية ســـنة 1552م. وله أسم أخر في الترجمة السريانية هـو: " **تـاريخ يعقـوب عن مولد كلية القداسة ودائمة البتولية والـــدة الله وابنها يســـوع المســـيح** ". ويشـــير إليه أوريجـــانوس بـــ " **كتـــاب يعقـــوب ".** وقد ذكر في مرســـوم البابا جلاسـيوس الـذي اسـتبعده من دائـرة الأسـفار القانونيـة، ووصـفه الأبوكريفي، باسم " **إنجيل يعقوب الصغير الأبوكريفي** ".

كما سمي بـ " **الأوَّلي** " أو " **التمهيدي** " لأنه يذكر أحـداث تختص بكيفية الحبل بالعـذراء القديسة مـريم وميلادها وكـذلك بأحـداث تختص بميلاد الـرب يسـوع المسـيح وطفولته لم تـذكر في الأناجيل القانونية خاصة الإنجيل للقـديس مـتى والإنجيل للقـديس لوقـا. وقد كتبت بعد ذلـــك، كما ســـنرى، مجموعة من أناجيل الطفولة والميلاد اعتمـــدت بالدرجة الأولى على هـذا الكتـاب وعلى الكتـاب المسـمى بإنجيل توما الإسرائيلي الخاص بطفولة المخلص. ويرى ب. بيترز(P.Peeters)، أن مصدر هذه الأعمال هو سرياني فريد مكتـوب قبل العـام 400م. وربما يكون قد ضم كتابـات مرجعها شـرقي وحـتى بـوذي. ويـرى ج. ميشل (J.Michl) إمكانية وجود كتيِّب خاص بالطفولة الإلهية من القرن الثـاني الميلادي، ويبدو أنه كتُب حـوالي سـنة 150م. ويؤكد يوسـتينوس وجـود مثل هذا الكتاب وكذلك أوريجانوس

وأكليمندس الإسكندري. ويزعم المؤلف أنه يعقوب أخو يسوع من زواج سابق ليوسف. ويضم أقدم روايات عن طفولة القديسة مريم ونشـأتها في الهيكل، وولادة يسوع العذراويـة. وقد احتُفظ بهـذا النص في أصـله اليوناني، وفي ترجمات سريانية، وأرمينية، وقبطية، وسلافونية، وعربية،

ولاتينية 000 مع تغييرات متعددة. وكان منتشـرا في الشـرق ومعـروف جيدا للآباء اليونانيين، ولكنهم لم يعتبروه قط ككتاب قانوني. وقد حرمة في الكنيسة الغربية البابـاوات ديدمسـوس (382م) وانوسـنت الأول (405م) والبابا جلاسيوس (496م).

2 – مؤلف الكتاب وموضوعه:

يزعم الكاتب أنه يعقوب أخو الرب، وأنه ابن يوسف من زيجة سابقة قبل العذراء. ولكن هذا الـزعم غـير صـحيح لأن الكتـاب نفسه لم تكتب أقدم رواياته قبل سنة 150م، وأنه كتب (الكتاب) بعد مـوت هـيرودس، والـذي يفـترض أنه هـيرودس أغريبـاس. ويـرى بعض العلمـاء أنه من المحتمل أن يكـون فيه فقـرات كـانت مكتوبة بالعبريـة، وأنه اسـتخدم مصــادر متنوعــة، شــفوية ومكتوبــة، منها ما جــاء في كل من الإنجيل للقديس متى والإنجيل للقديس لوقا، مع وجود تقليد بدائي يقول بزواج ســابق ليوسف البــار قبل أن تُخطب له العــذراء القديسة مــريم، وأنه أنجب من زيجته السـابقة أخـوة يسـوع، إلى جـانب كم كبـير من العهد القديم، خاصة قصة صموئيل النبي في طفولته والـتي وظفها جيـداً في روايته لقصة يواقيم وزوجته حنة، والدا العذراء، وعدم أنجابهما لأطفال، وأنطلق بخيـال حر يؤلف رواياتـه، كما يـرى البعض أنه يمكن أن يكـون هناك شيء من التقليد الشفوي الذي استخدمه في ذلك العمــل، خاصة ميلاد الطفل يسوع في كهف في بيت لحم.

ويـرى بعض العلمـاء مثل سـاندي في كتابه، " الأناجيل في القـرن الثاني "، أن يوستينوس الشـهيد قد أشـار إليـه، خاصة في ذكـره لميلاد يسوع في كهف في بيت لحم ونسب مريم لداود، مما قد يـدل على أنه كان معروفاً في صورة أقدم، في النصف الأول من القرن الثاني، سـنة 150م. وهناك فصول عديدة كتبت لاحقاً على مراحل متعددة.

ويستنتج بروفيسور أور من تغير أسلوب الكلام من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم أن

أصل الكتـاب هو مصـدر أسـيني أبيـوني، وأنه من جمع جملة كتَّاب مما يعلل الاختلاف الكبــير في تحديد تــاريخ كتابتــه، فــالبعض يرجع به إلى القــرن الأول، وزاهن وكروجر يرجعــان به إلى العقد الأول من القــرن الثـاني، ويرجع به آخـرون إلى النصف الثـاني من القـرن الثـاني. بينما يرجع به آخـــرون (مثل هارنـــاك) - في صـــورته الحالية - إلى منتصف القرن الرابع.

ومن دراستنا لنص الكتاب ومحتواه يتضح أن الكاتب الذي جمعـه، أو محرره النهائي، من أصل غير يهودي ولا صـلة له بفلسـطين حيث يوجد في الكتاب أخطاء دينية وتاريخية وجغرافية كثيرة، وهي أخطاء لا تخفي

علي أي دارس أو يهودي فلسـطيني من عصر المسـيح، مثل كلامه عن نشأة العذراء وتربيتها في الهيكل، وهذا مستحيل، وطـرد يـواقيم لكونه عـاقر ولم يكن ذلك من عـادات اليهـود. وربما يكـون الكـاتب من أصل يوناني أو أنه من اليهود الدخلاء الـذين اعتنقـوا المسـيحية، وكـان هدفه وغايته هو تأكيد قداسة العـذراء القديسة مـريم وتمجيـدها والتأكيد على دوام بتوليتها.

ويتكــون الكتــاب من ثلاثة أقســام، يختص القسم الأول منه بميلاد العـذراء الإعجـازي الـذي يسـتوحي فيه قصة ميلاد صـموئيل النـبي بل ويتخذ من أسم حنة أم صـموئيل اسـما لوالـدة القديسة مـريم وتربيتها منذ لحظة طفولتها في الهيكل إلى مرحلة النضج الأنثـــــــوي. ويتكلم القسم الثــاني عن نضج العــذراء كــأنثى واســتحالة بقائها في الهيكل وخطبتها ليوسف النجار بطريقة إعجازية ليكون لها حارساً، ويقـول هـذا الكتاب أنه، يوسف، كان أرملاً وله أولاد من زواجه الأول، وهذا ما جعل البعض يقــول أنهم أخــوة المســيح المــذكورين في الإنجيل القــانوني الموحى به بالروح القدس " **يعقوب ويوسي ويهـوذا وسـمعان** " (مت13 :55؛27 :56؛ مر6 :3)، واعتمد علي هذا الرأي أوريجانوس. ويركز الكتاب بصـورة كبـيرة على دوام بتولية العـذراء قبل الحبل وبعد الميلاد، ليؤكد على هذه العقيدة التي كـانت سـائدة في الكنيسة الأولى كلهــا. ويركز قســمه الأخــير على زيــارة المجــوس وهــروب العائلة المقدسة إلى مصر، ويذكر قصة تقول باختفـاء الطفل يوحنا المعمـدان هو وأمه في الجبال ومقتل زكريا والده بيد هيرودس الملك.

وباختصــار فهو يقــدم قصة ميلاد العــذراء ودخولها الهيكل وخطبتها ليوسف وميلاد الطفل

يسوع وما حدث وقت ميلاده ثم اختباء يوحنا المعمدان وحمايته بصـورة إعجازيـة، بشـكل أسـطوري يشـبع فضـول من كـانوا يتوقـون لمعرفة أحداث ما لم تذكره الأناجيل القانونية عن هذه الفـترة من حيـاة الـرب يسوع المسيح.

3 – نص الكتاب:

نقدم هنا نص الكتاب مترجماً عن عدة ترجمـات إنجليزية وأن كنا قد اعتمـدنا بالدرجة الأولى على ترجمة اسـكندر شـديد اللبنانيـة، مع وضع عناوين جانبية لكل فصل تشرح موضوعه ومحتواه.

الفصل الأول: لا يحق لك أن تقــدم قربانــك، لأنك لم تنجب ذرية في إسرائيل:

نقرأ في سجلات أسباط إسرائيل الاثنى عشر أن يـواقيم كـان غنيّاً جداً ويقدَّم لله قرابين مضاعفة، قائلا في قلبه: " لتكن خيراتي للشعب كلّه، من أجل مغفرة خطاياي لـدى اللـه، ليُشـفق الـربّ عليَّ ". وحـلَّ عيد الربّ الكبير وكـان أبنـاء إسـرائيل يـأتون بقـرابينهم، فـاحتجَّ راؤبين على يواقيم، قـائلاً: " لا يحق لك أن تقـدم قربانـك، لأنك لم تنجب ذرية في إسرائيل ".

فاسـتولى على يـواقيم حـزن عظيم، ومضى يراجع سلاسل انسـاب الأسباط الاثنى عشر، قائلاً في سرَّه: " سوف أرى إنْ كنت الوحيد في أسباط إسرائيل الذي لم ينجب ذرية في إسرائيل ". وبتفحُّص سجلات الماضي، رأى أن الأبرار كلهم أنجبوا ذرية، لأنه تذكَّر إبراهيم الأب الـذي رزقه الله، في أيامه الأخيرة، إسحق ابناً فـأغتم يـواقيم لـذلك ولم يشأ الظهـور ثانية أمـام امرأتـه؛ فمضى إلى الصـحراء، ونصب فيها خيمتـه، وصام أربعين يوماً وأربعين ليلة، قائلا في قلبه: " لن أتنـاول طعامـاً ولا شراباً؛ وصلاتي ستكون طعامي الوحيد ".

الفصل الثاني: حزن حنة بسبب عدم إنجابها لذرية:

وكانت امرأته حنة تعاني حزناً مضاعفاً، وكانت فريسة ألم مضاعف، وقائلـة: " أنـني ارثي لـترملي وعقمي ". إلا أن عيد الـربّ الكبـير حـلّ، فقالت يهوديت خادمة حنة، لها: " إلى مـتى تستسـلمين للحـزن؟ ليس مسموحاً لك بالبكاء، لأننا في العيد الكبير.

خـذي إذاً هـذا الـرداء وزيَّني رأسـك. فأنا خادمتـك، وأما أنت فسـوف تشبهين ملكة ". فأجـابت حنـة: " ابتعـدي عـنى، لا أريد أن أفعل شـيئاً من ذلك. إن الله أذلَّني بشدة. أخشى أن يعـاقبني الله بسـبب خطيئتك ". فأجابت الخادمة يهوديت: " ماذا أقول لك، ما دمت لا تريدين سـماع صـوتي؟ أن الله أغلق بحـقَّ بطنك لئلا تُـرزقي طفلاً لإسـرائيل ". وحزنت حنة جداً وخعلت ثيـاب حـدادها؛ وزيَّنت رأسـها وارتـدت ملابس عـرس. ونـزلت، نحو السـاعة التاسـعة، إلى الحديقة لتتـنزَّه، وإذ رأت شجرة الغار، جلست تحتها، ووجَّهت صـلواتها إلى الـربّ، قائلـة: "يا إله آبـائي، بـاركني واسـتجبْ صـلاتي، كما بـاركت أحشـاء سـارة ورزقتها إسحق ابناً ".

الفصل الثالث: حنة ترثي نفسها لعدم إنجابها:

ورأت على شـجرة الغـار، وهى ترفع عينَيها إلى السـماء، عشَّـاً للعصافير، فأنشدت مرثاة لنفسها قائلة: " وا أسفاه! بمـاذا يمكنـني أن أقارن؟ لمَنْ أدين بالحياة لأكون ملعونة هكذا في حضور أبناء إسرائيل؟ أنهم يسـخرون مـنى ويحقَّرونـني وقد طـردوني من هيكل الـربّ. وا أسفاه! بمن أشـبه؟ أيمكنـني أن أقـارن بطيـور السـماء؟ لكن الطيـور

مثمرة أمامك، ياربّ. أيمكنني أن أُقارَن بحيوانات الأرض؟ لكنها مثمـرة أمامك يا ربّ. لا، لا يمكنني أن أقارن بالبحر، لأنه مسكون بأسماك، ولا بالأرض، لأنها تعطى ثماراً في أوانها، وتبارك الربّ ".

الفصل الرابع: بشارة الملاك لحنة ويواقيم بإنجاب نسل:

وإذا بملاك الربّ قد ظهر لها وقال : "يا حنة، أن الله سـمع صـلاتك؛ سـوف تحبلين وتلـدين، ونسـلك يحكىً عنه في العـالم كله ". فقـالت حنة: " حي هو الرب، إلهي؛ سواء كان من ألده ذكـراً أم أنـثى فسـوف أُقدمه للربّ، وسوف يكرَّس حياته للخدمة ألإلهية ". وإذا بملاكَين أتيـا، قائلين لها: "هوذا، يواقيم، زوجك، يصل مع قطعانه ". ونزل ملاك الربّ نحـوه، قـائلاً: " يا يـواقيم، يا يـواقيم، أن الله سـمع صـلاتك، وسـتحبل امرأتك حنة ". ونزل يواقيم ونادى رعاته، قائلاً: " أحضـروا لي هنا عشر نعاج سليمة وبلا عيب، وسأنذرها للربّ إلهي. وأحضـروا لي اثـني عشر عجلاً بلا عيب، وسـوف أقـدّمها للكهنة وشـيوخ بيت إسـرائيل، وائتـوني بمئة كبش، وهذه الكباش كلّها ستكون للشـعب كلّه ". وإذا بيـواقيم آتٍ مع

قطعانه، وكانت حنة عند باب منزلها، فلمحت يواقيم آتياً مع قطعانـه؛ فركضت وارتمت على عنقه، قائلةً: " اعلم الآن أن الرب إلهي باركني، لأنني كنت أرملة ولم أعُدْ كذلك؛ وكنت عاقراً وحبلت ". وارتاح يــواقيم في اليوم نفسه في منزله.

الفصل الخامس: **حنة تحبل وتلد:**

وفي الغد، قدَّم يواقيم قرابينه وقال في نفسه: " إذا كـان الـربّ قد بــاركني، فلتكن لي علامة ظـاهرة على عصــابة جـبين رئيس الكهنة". وقدَّم يواقيم تقدماته، ونظر إلى العصابة، حين صـعد إلى مـذبح الـرب، ولم يرَ خطيئة فيه. فقال يواقيم: " اعلم الآن أن الربّ اسـتجابني وغفر لي كلّ خطاياي ". ونزل مبرراً من بيت الربّ وأقبل إلى منزله. وحبلت حنة، وفي الشهر التاسع ولدت وقالت لقابلتها: " ماذا ولدت؟ " فأجابت الأخــرى: " بنتــاً ". فقــالت حنــة: " نفسي ابتهجت هــذه الســاعة ". وأرضعت حنة طفلتها وأسمتها مريم.

الفصل الســادس: وليمة الفــرح بميلاد مــريم وتقــديمها للهيكل:

ونمت الطفلة من يوم إلى يوم. وعندما بلغت من العمر ستة أشهر، وضـعتها أُمها أرضـاً لـترى إنْ كـانت سـتقف. فسـارت سـبع خطـوات وجاءت ترتمي في ذراعَي أُمهـا. فقـالت حنـة: " ليحَي الـربّ إلهي؛ لن

تسيري على الأرض حتى أُقدَّمك في هيكل الربّ ". وصنعت محرابا في حجرة نومها، وكانت تبعد عنها كلّ ما كان مُنَجَّساً.

وأحضـرت بناتـاً عبرانيـات بلا عيب للاعتنـاء بالطفلـة. وعنـدما أتمَّت عامها الأول، أقــام يــواقيم وليمة كــبرى، ودعا الكهنة والكتبة ومجلس الشـيوخ كلَه وكـلَ شـعب إسـرائيل. وأحضر الطفلة للكهنـة، فباركوها قائلين: " يا إله آبائنا، بـارك هـذه الطفلة وأعطها اسـماً يُعظَّم في كـلّ الأجيـال ". وقـال الشـعب كلّـه: " آمين، ليكن كـذلك ". وقـدَّمها أبواها للكهنة فباركوهـا، قـائلين: " يا إله المجـد، تطلع لهـذه الطفلة وامنحها بركةً لا تعـرف أي انقطـاع ". وحملتها أُمها وأرضـعتها، وأنشـدت للـرب الإله، قائلةً:

" سأنشد مـدائح الـربّ إلهي، لأنه تطلع إليّ وخلَّصـني من تعيـيرات أعدائي. وأعطـاني الـربّ إلهي ثمـرة عـدل مضـاعفة في حضـرته. مَنْ يُعلن لأبنـاء راؤبين أن لحنة طفلاً؟ اسـمعي كلّـك، يا أسـباط إسـرائيل الاثني عشر، اعلمي أن حنة تُرضع ". ووضعت الطفلة

في المكان الـذي طهَّرتـه، وخـرجت، وخـدمت المـدعوين، وحين انتهت الوليمة وهم في ملء السعادة يمجدون إله إسرائيل.

الفصل السابع: مريم تدخل الهيكل:

عندما بلغت مريم الثانية من عمرهـا، قـال يـواقيم لحنـة، زوجتـه: " لنقُـدْها إلى هيكل اللـه، ولنتمَّم النـذر الـذي نـذرناه، لئلا يغضب الله ولا يقبل تقدماتنا ". فقالت حنة: " لننتظر العام الثالث، خوفاً من أن تعـاود إلى أبيها وأمها ". فقـــال يـــواقيم: " لننتظر ". وبلغت الطفلة عامها الثـالث، فقـال يـواقيم: " نـادوا عـذارى العبرانـيين اللـواتي بلا عيب، وليحملن مصــابيح ويُشـعلْنها، وعلى الطفلة ألا تلتفت إلى الــوراء وألا يبتعد ذهنها عن بيت الله ". وصـــنعت العـــذارى كما أمر بـــه، ودخلن الهيكـل. واسـتقبل الكـاهن الطفلة وقبَّلها وقـال: " يا مـريم، أن الـرب عظّم اســمك في جميع الأجيــال، وفي آخر الأيــام، ســيُظهر الله فيك خلاص أبناء إسرائيل ". ووضعها على درجة المذبح الثالثة، فســكب الله نعمته عليهـا، فارتعشت فرحـاً وهي تـرقص برجليها وقد أحبها كـلّ بيت إسرائيل.

الفصل الثامن: مريم تتلقّى طعامها من يد الملائكة:

ونزل أبواها متعجبين، شاكرَين الله ومسبَّحينن لأن الطفلة لم تلتفت إليهمــا. وكــانت مــريم في هيكل الــربّ مثل اليمامة **وكـانت تتلقّى طعامها من يد الملائكة.**

وعندما بلغت الثانية عشرة من عمرها، اجتمع الكهنة في هيكل الربّ وقالوا: " هوذا مريم قد بلغت عمر الأثنى عشر عاما في الهيكل؛ فمـاذا سـنفعل في شـأنها، لئلا تمس قداسة هيكل الـربّ إلهنا دنس مـا؟ ". وقال الكهنة لرئيس الكهنة: " أذْهَبْ وقف أمـام هيكل الـربّ وصـلَّ من أجلها، وما يُظهرُه الله لك، نمتثل له ". فـدخل رئيس الكهنة إلى قـدس الأقداس، وقد لبس رداءه الكهنوتي المزيَّن باثني عشر جُرسـاً، وصـلى من أجل مـريم. وإذا بملاك الـربّ يظهر له قـائلاً: " يا زكريـا، يا زكريـا، أُخْرُجْ واستدع مَنْ هم أرامل وسط الشـعب، وليـأت كـلّ واحد بعصـى، ومَنْ يختاره الله بعلامة يكون الزوج المُعطى لمـريم ليحفظها ".وخـرج المنادون في كل بلاد اليهودية، وبوق بوق الربّ وهرع الجميع.

الفصل التاسع: حمامة تخرج من عصا يوسف:

وأتى يوسف كالآخرين، وقد تخلَّى عن فأسه، وإذ اجتمعوا، مضَوا نحو رئيس الكهنـة، ومعهم عصـيهم. فأخذ الكـاهن عصا كـلّ واحـد، ودخل الهيكل وصلى وخرج بعد ذلك وأعاد إلى كلّ واحد عصاه التي جـاء بهـا، فلم تظهر أي علامة؛ لكنه عندما أعـاد إلى يوسف عصـاه، خـرجت منها حمامـة، حطّت على رأس يوسـف. فقـال رئيس الكهنة ليوسـف: " لقد اختيـارك الله لتقبُّل عـذراء الـربّ هـذه وتحفظها قربك ". فقَّدم يوسف اعتراضات قائلا: " لي أولاد وأنا شيخ، وهي فتـاة صـغيرة جـداً؛ وأخشى أن أكون عرضة للسخرية بالنسبة إلى أبنـاء إسـرائيل ". فأجـاب رئيس الكهنة يوسـف: " خـاف الـربّ إلهك وتـذكَّر كيف عـاقب الله عصـيان داثـان، وأبـيرام وقـورح، وكيف انفتحت الأرض وابتعلتهم، لأنهم تجـرأوا على اعتراض أوامر الله. خاف إذاً، يا يوسف أن يحصل كـذلك لبيتك ". فتقبَّل يوسف مريم مرتعبـاً وقـال لهـا: " أنـني أتقبَّلك من هيكل الـربّ وأترك لك المسكن، وأذهب لأزاول مهنتي نجاراً وأعود إليك. وليحفظك الله كلّ الأيام ".

الفصل العاشر: اختيار مريم لتغزل ستارة لهيكل الرب:

وعُقد اجتماع للكهنة وقالوا: " لنصنع حجاباً (ستارة)أو بساطاً لهيكل الربّ ". فقال رئيس الكهنة: " أحضروا ليَّ عـذارى سـبط داود اللـواتي بلا عيب ". وبحث المستشارون ووُجدوا سـبعاً من تلك العـذارى. ورأى رئيس الكهنة أمامه مـريم الـتي كـانت من سـبط داود وكـانت بلا عيب أمـام اللـه. فقـال: " اختـاروا لي بالقرعة مَنْ تغـزل خيط ذهب ونـاريّ وكتان رفيع وحرير وبرتقالي مُحْمَرّ وقرمزي ". وحصلت مـريم بالقرعة على الأُرجوان الخالص والقرمـز، وإذ تسـلَّمتهما، ذهبت إلى بيتهـا. وفي الوقت نفسـه، أصـبح زكريا أبكم، وحـلَّ صـموئيل محلَّه. إلى وقت كلام زكريا ثانيةً. وأخذت مريم تغزل، وقد تسلَّمت الأرجوان والقرمز.

الفصل الحادي عشـر: بشـارة الملاك للعـذراء بالحبل وميلاد ابن الله:

ومضت بجرتها لتملأها بماءً، فإذا بها تسمع صوتاً يقول: " السلام لك، يا مريم، يا ممتلئة نعمة، الربّ معك: مباركة أنت في النساء ". ونظرت مريم حولها يميناً ويسـاراً لتعـرف من أين يـأتي ذلك الصـوت. وعـادت إلى بيتها، وقد ارتجفت، ووضعت الجرَّة، وإذ تنـاولت الأرجـوان، جلست على مقعدها لتعمل. وإذا بملاك الربّ واقفا أمامها قائلا: " لا

تخافي يا مريم؛ لأنك وجـدت نعمة عند الـربّ وها أنت سـتحبلين حسب كلمته ". وكانت مـريم تقـول في نفسـها، وقد سـمعته: " هل أحبل من الله وأضع كما تلد الأخريات؟ " فقال لها ملاك الـربّ: " لن يكـون الأمر كذلك يا مريم، لأن قوة الله تظلّلك، لذلك المولود منك قدوس ويُـدعى ابن اللـه. وتُسـمينه يسـوع؛ لأنه يخلص شـعبه من خطايـاهم. وها أن نسيبتك أليصابات حبلت بابن في شيخوختها، والتي كانت تُـدعى عـاقراً هي في شـهرها السـادس، فما من مسـتحيل على اللـه؟" فقـالت له مريم: " إنني أمَة الربّ؛ ليكن لي بحسب كلامك ".

الفصل الثاني عشر: مريم تزور أَليصابات:

وإذ أنهت الأرجـوان والقرمـز، حملتهما إلى رئيس الكهنـة. فباركهـا، وقال: " يا مريم، أن اسمك ممجَّد وستكونين مباركة في كـلّ الأرض ". ومضت مـريم، وقد شـعرت بسـرور عظيم، إلى أَليصـابات، نسـيبتها، وقـرعت بابهـا. فركضت أَليصـابات إلى بابهـا، لتفتح، وإذ لمحت مـريم قالت: " من أين لي هذا أن تـأتي أم ربى لزيـارتي؟ لأن الـذي بـداخلي ارتكض وباركك ". وكـانت الأسـرار الـتي أعلنها رئيس الملائكة جبرائيل لمـريم محجوبة عنهـا. وقـالت، رافعـةً عينيها إلى السـماء: " مَنْ أنا إذاً لتدعوني كـلّ الأجيـال مغبوطـة؟ ". فمكثت ثلاثة أشـهر عند أليصـابات. وكـانت بطنها تكـبر يومـاً فيومـاً، ومن خوفها انـزوت مـريم في منزلها واختبـأت عن أنظـار بـني إسـرائيل. وكـانت في السادسة عشـرة من العمر عندما حدث ذلك.

الفصل الثالث عشر: شك يوسف في مريم بسبب حبلها:

ولما كـانت مـريم في الشـهر السـادس من حبلهـا، عـاد يوسف إلى البيت من عند مبانيه، فلاحظ وهو داخلّ البيت أن مريم حبلى، فـأنطرح أرضاً، وخفض رأسه، واستسلم لحزن عميق، قـائلاً: " كيف أبـرِّر نفسي أمام الله؟ كيف أصلى من أجل هذه البتـول؟ لقد اسـتلمتها عـذراء من هيكل الربّ الإله، ولم أحفظها. مَنْ هو الذي ارتكب هذا الفعل الـرديء في بيـتي ومَنْ أغـوى العـذراء؟ أَلَمْ تتجـدَّد قصة آدم من أجلى؟ ففي وقت مجده، دخلت الحيَّة، ووجدت حواء وحيـدة، وخـدعتها؛ ولقد حـدث

لي الأمر نفسه حقـاً ". ونهض يوسف من فـوق الكيس الـذي أنطـرح عليـه، وقـال لمـريم: " أنت الـتي كنت صـاحبة قيمة فائقة في عيـني الربّ، لماذا تصرفت على هذا النحو، ولمـاذا نسـيت الـربّ إلهـك، **لقد تربيت في قدس**

- 86 -

الأقداس؟ أوكنت تتلقّين الطعام من يد الملائكة، لمَـاذا تخلَّيت عن واجباتــك؟" وكــانت مــريم تبكى بمــرارة شــديدة، وأجــابت: " أنا طاهرة، ولم أعرف رجلاً ". فقال لها يوسـف: " ومن إذاً فكيف حبلت؟ " فأجابت مريم: " حي هو الرب إلهي؛ أنـني أُشـهدَّه على انـنى لا أعلم كيف صار الأمر هكذا ".

الفصل الرابع عشر: الملاك يخبر يوسف بحقيقة حبل مريم:

وقال يوسف في نفسه، وهو مذهول: " ماذا أفعل بها؟ " وقال: " إذا أخفيتُ خطيئتها، فسوف أُعتبر مذنباً بحسب شريعة الـربّ؛ وإذا اتهمتها علانية أمــام بــني إســرائيل، فأخشى أن يكــون ما فيها من ملاك، وان أُسـلَّم الـدم الـبريء لحكم المـوت؟ مـاذا أفعل بها إذاً؟ أتركها سـرّاً ". وكان منشغلاً بهذه الأفكار خلال الليل. وإذا بملاك الـربّ يظهر له أثنـاء نومه، ويقول له: " لا تخف الاحتفاظ بهذه البتول؛ لأن الذي فيها هو من الروح القدس، فستلد أبنـاً وتسـميَّه أنت يسـوع؛ لأنه يخلص شـعبه من خطايـاهم ". فنهض يوسف من النـوم ومجَّد إله إسـرائيل الـذي أغـدق نعمته عليه وحافظ عليها.

الفصل الخامس عشر: يوسف يتهم بأنه دنس مريم:

وجاء حنان الكاتب إلى يوسف وقال له: " لمَ لم تأت إلى اجتماعنا؟ " فأجابه يوسف: " كنت متعباً من رحلتي التي قطعتهـا، وأردت أن أرتـاح في اليوم الأول ". وإذ التفت الكاتب، رأى مريم حبلى، فمضى مسـرعاً نحو رئيس الكهنة، وقال له: " إن يوسف، الذي تثق به، اخطأ في شكل خطـير ". فقـال رئيس الكهنـة: " مـاذا فعـل؟ " فأجـاب الكـاتب: " لقد دنَّس العذراء التي اسـتلمها من هيكل الـربّ، وتزوجها سـراً، واختبأ من أبنـاء إسـرائيل ". فأجـاب رئيس الكهنـة: " هل فعل يوسف ذلك ؟ هل أرَتكب هذه الجريمة؟ " فقـال الكـاتب حنانيـا: " أرسـلْ كهنـة، وسـوف يرَون أن مـريم حبلى ". ومضى الكهنـة، ووجـدوا صـدق قـول الكـاتب. فقـادوا مـريم ويوسف ليُحاكمـا، وقـال رئيس الكهنـة: " يا مـريم، كيف تصـرَّفت هكـذا، ولمَ خسـرت نفسـك، أنت الـتي **ربيت في قـدس الأقـداس، وتلقَّيت الطعـام من يد الملائكة**، وسـمعت أسـرار الربّ واغتبطت في حضرته؟ " وكانت تبكى بمرارة كبـيرة، وأجـابت: " حي هو الربّ إلهي، اننى طاهرة في حضرة الربّ، ولم أعـرف رجلاً ".

فقال رئيس الكهنة ليوسف: " لماذاَ تصرَّفت هكذا؟ " فقـال يوسـف: " حي هو الربّ الإله وحي هو

مسـيحه؛ أنـني أشـهدَّها على انـنى طـاهر من كـلّ علاقة بها ". وأجـاب رئيس الكهنة: " لا تُدْل بشهادة زور، بل قُل الحقيقة؛ لقد تزوَّجتها سـرّاً وأخفيتها عن أبنـــاء إســـرائيل، ولم تحن رأسك تحت يد العليّ القـــدير، ليكون نسلك مباركاً ".

الفصل السادس عشر: امتحان يوسف ومريم وبراءة مريم:

وقال رئيس الكهنة أيضاُ: " أعدْ هذه العذراء التي تسلّمتها من هيكل الـربّ ". وكـان يوسف يـذرف دموعـاً كثـيرة، فقـال له رئيس الكهنـة: "سوف أسقيك ماء إدانة الـربّ، وسـوف تظهر خطيئتك أمـام عينيك ". واخذ رئيس الكهنة المـاء وسـقى منه يوسـف، ثم أرسـله إلى الأمـاكن العاليـة، فعـاد يوسف منها في صـحة تامـة. وشـربت مـريم منه أيضـاً، ومضت إلى الجبال، وعادت من دون أن تعانى أيّ ألم. وصُعقَ الشـعب كله دهشةً من عدم ظهور خطيئة فيهما. وقال رئيس الكهنـة: " أن الله لم يُظهر خطيئتكمـا، وأنا لن أدينكما ". وصـرفهما مغفـوراً لهمـا. وأخذ يوسف مريم، وأعادها إلى بيته، بفرح وهو يمجد إله إسرائيل.

الفصل السابع عشر: ذهاب يوسف ومريم إلى بيت لحم:

وأصدر الإمبراطور أُوغسطس قيصر قراراً بأن كلّ الـذين ولـدوا في بيت لحم عليهم أن يكتتبوا. فقال يوسـف: " سـوف أسجِّل أبنَيَّ، ولكن ماذا أفعل بشأن هذه المـرأة؟ بـأي صـفة أُقيِّدها؟ أبصـفتها زوجـة؟ أنها ليست زوجـتي، ولقد تقبَّلتها أمانة من هيكل الـربّ. أأقـول أنها ابنـتي؟ لكن كلّ أبناء إسرائيل يعلمون أنها ليست ابنتي. ماذا أفعل إذاً بشـأنها؟ ". وأسرج يوسف أتاناً أركب مريم عليها. وكان يوسف وسمعان يتبعـان على بعد ثلاثة أميال. ولما التفت يوسف، رأى مـريم حزينـة، فقـال في نفسه: " أن ما فيها يكدَّرها ". وعنـدما التفت مجـدداً، رأى أنها تضـحك، فقال لها: " يا مريم ما السبب في أن وجهك تارةً حزين وتارةً فَرح؟ ". فقالت مريم ليوسف: "هـذا لأنـني أرى شـعبَين أمـام عينَي؛ واحد يبكى وينوح والآخر يضحك ويستسلم للفرح ". وقالت له مريم، عندما وصـلوا إلى منتصف الدرب: "أنزلني عن أتاني، لان ما في يضغط عليَّ للغايــة، وأنزلها يوسف من فـوق الأتـان وقـال لهـا: "أين أقـودك، فهـذا المكـان قفر؟

الفصل الثامن عشر: تجمد كل الأشياء في لحظة واحدة:

وإذ وجد في ذلك الموضع مغـارة، أدخل مــريم إليهــا، وتــرك ابنه ليحرسها، ماضياً بنفسه إلى بيت لحم ليأتي بقابلـة. وحين كـان سـائراً، رأى القطب حيث السـماء كـانت جامـدة، والهـواء مظلمـاً، والطيـور متوسط طيرانها. وإذ نظر إلى الأرض، رأى وعـاءً مليئاً لحماً مُحضَّـراً، وعمّالاً متمدَّدين وأيديهم في الوعـاء. ولحظة الأكل لم يكونـوا يـأكلون، ومَنْ كانوا يمدُّون أيديهم لم يكونوا يتنـاولون شـيئاً، ومَنْ كـانوا يريـدون إيصــال شــيء ما إلى فمهم، لم يكونــوا يوصــلون شــيئاً، وكلهم كــانوا مركـزين أنظـارهم لأعلى إلى فـوق. وكـانت النعـاج مشـتَّتة، ولكنها لا تسير، بل كانت لابثةً في أماكنها جامدة. والـراعي الرافع يـده ليضـربها بعصاه، كانت يده باقية من دون انخفـاض. وإذ نظر من ناحية نهـر، رأى كباشاً يلامس فمها الماء، لكنها لم تكن تشرب، فكلّ الأشياء كـانت في تلك اللحظة جامدة.

الفصل التاسع عشــــر: امتلاء المغـــــارة بــــالنور عند ميلاد المسيح:

وإذا بـامرأة نازلة من الجبـال قـالت لـه: "أسـألك إلى أين تـذهب؟" فأجـاب يوسـف: "انـنى أبحث عن قابلة من نسل العبرانـيين ". فقـالت لـه: "أأنت من نسل إسـرائيل؟" فـردَّ بنعم. إذاك قـالت: " مَنْ هي تلك المرأة التي تلد في هذه المغارة؟ ". فأجاب: " أنها خطيبتي ". فقـالت: " أليست زوجتك؟ ". فقال يوسف: " أنها ليست زوجتي، بل هي مــريم الــتي ربيت في هيكل الــربّ وحبلت من الــروح القــدس ". قــالت له القابلة: " أهذا ممكن؟ ". فقال: " تعالى انظـري ذلك ". ومضت القابلة معه. وتوقفت حين أصبحت أمـام المغـارة. وإذا بسـحابة مضـيئة تغطى تلك المغارة. وقالت القابلـة: " أن نفسي تجمَّدت اليـوم، لأن عينَيّ رأتا معجــزات ". وفجــأة امتلأت المغــارة ضــياء حــاداً لدرجة أن العين لم تسـتطع تأمُّلـه، وحين خفت ذلك النـور قليلاً، رُؤى الطفـل. وكـانت أمه مريم تُرضـعه. فصـاحت القابلـة: "هـذا يـوم عظيم بالنسـبة إلىَّ، لأنـني رأيت منظـراً بهيـاً ". وخـرجت من المغـارة، وكـانت سـالومي قبالتهـا. فقــالت القابلة لســالومي: " لــدَّى معجــزات عظمى أرويها لــك: " أن عذراء ولدت ولا تزال عذراء ". وقالت سالومي: " حي هو الرب، إلهي؛ إذا لم أتأكد بنفسي، فلن أصدَّقك ".

الفصل العشـــــرون: ســــالومي تشك في بتولية العــــذراء وعقابها بسبب ذلك:

دخلت القابلة المغارة وقـالت لمـريم: " نـامي، لأن صـراعاً عظيمـاً ينتظرك ". وإذ لمسـتها سـالومي، خـرجت وهى تقـول: " الويل لي، أنا الخائنة والكـافرة، لأنـني جـرَّبت الله الحي. وان يـدي الـتي تحرقها نـار آكلة تسقط وتنفصل عن ذراعي ". وسجدت أمام اللـه، وقـالت: "يا إله

آبائنا، تذكَّرني، لأنني من نسل إبراهيم، وإسحق، ويعقوب، ولا تَخزني أمام أبناء إسرائيل، بل أعِدْني إلى أهلي. أنت تعلم، يا ربّ، انني باسمك كنت أُنجز معالجاتي وشفاءاتي كلها، لست طامحة إلى مكافأة إلا منك ". فظهر لها ملاك الربّ وقال لها: "يا سالومي، يا سالومي، أن الربّ سمعك؛ مدَّى يدك إلى الطفل، واحمليه؛ فسيكون لك الخلاص والفرح ". ودنت سالومي من الطفل وحملته في ذراعيها، وهى تقول: " سأسجد لكَ، لأن ملكاً عظيماً وُلد في إسرائيل ". وشفيت على الفور، وخرجت من المغارة مُبَرَّأة. وسُمع صوت بالقرب منها يقول: " لا تُعلني المعجزات التي رأيتها، إلى أن يدخل الطفل أورشليم ".

الفصل الواحد والعشرون: النجم يرشد المجوس إلى الكهف:

وإذا بيوسف يستعدّ للذهاب إلى اليهودية. وعلا صَخَبٌ عظيم في بيت لحم، لأن المجوس كانوا قد وصلوا، قائلين: " أين هو الذي وُلد ملكاً لليهود؟ لقد رأينا نجمه في الشرق، وجئنا لنعبده ". ولما سمع هيرودس ذلك أضطرب، وبعث يرُسل إلى المجوس. واستدعى أُمراء الكهنة، واخذ يستجوبهم، قائلاً: " عما هو مكتوب عن المسيح؟ أين يولد؟ ". فقالوا: "في بيت لحم اليهودية، فهذا ما هو مكتوب ". فصرفهم هيرودس، واستجوب المجوس قائلاً: " أعملوني أين رأيتم العلامة التي تشير إلى الملك الوليد؟ ". فقال المجوس: " لقد ارتفع نجمه ساطعاً، وفاق بضيائه نجوم السماء الأخرى إلى حد أننا ما عدنا رأيناها. وعرفنا هكذا أن ملكاً عظيماً وُلد في إسرائيل وجئنا لنسجد له ". فقال لهم هيرودس: "هيّا، وابحثوا عنه، وإذا وجدتموه، تعالوا أعلموني بذلك لأذهب وأسجد له ". ومضى المجوس، وإذا بالنجم الذي رأوه في الشرق يرشدهم إلى أن بلغوا المغارة، وتوقَّف فوق مدخل المغارة. ورأى المجوس طفلاً مع مريم أُمه، فسجدوا له. وإذ اخرجوا تقدمات من خزائنهم، أهدَوه ذهباً، وبخوراً ومرّاً. وإذ أعلمهم الملاك بأن عليهم ألا يعودوا إلى هيرودس، سلكوا درباً أخرى للعودة إلى بلادهم.

الفصل الثاني والعشرون: الجبل يحتضن أليصابات وابنها والملاك يحرسهما:

واستولى الحنق على هيرودس، لأن المجوس خدعوه، فأرسل جنوده ليقتلوا كلّ الأطفال الذين كانوا في بيت لحم، من عمر سنتين وأدنى. وامتلأت مريم خشيةً، عندما علمت أنهم يقتلون الأطفال؛ فأخذت الطفل، وإذ لفَّته بأقمطة، أضجعته في مذود الثيران. وهربت أليصابات إلى الجبال عندما أُعلمت بأنهم يبحثون عن يوحنا، وكانت تنظر حولها لترى أين يمكنها إخفاؤه ولم تجد أي موضع مناسب. فقالت بصوت عال وهى تنوح: " يا جبل الله، تقبَّل الأم مع ابنها. وانفرج على الفور

الجبل الذي لم تكن تستطيع تسلُّقه وتقبَّلها. وكان يضيئهما نور عجائبي، وملاك الربّ معهما ويحرسهما.

الفصل الثالث والعشرون: هيرودس يقتل زكريا الكاهن:

خلال ذلك الـوقت، كـان هـيردوس يبحث عن يوحنـا، وأرسل بعض ضـباطه إلى أبيه زكريـا، قـائلين: " أين خبَّأت ابنـك؟ ". فأجـاب: " أنا الكـاهن العامل في خدمة اللـه، وأقف اهتمامـاتي على هيكل الـربّ؛ لا أعلم أين ابـني ". وخـرج المبعوثـون ونقلـوا ذلك إلى هـيرودس. فقـال بغضب: " ابنه هو الذي سيملك على بنى إسـرائيل ". وأرسـلهم مجـدداً إلى زكريا قـــائلين: " تكلّم بصــــدق، أين ابنـــك؟ ألا تعلم أن دمك في متناول يدي؟" وعندما نقل الرسل إلى زكريا كلام الملـك، قـال: "انـنى أشهِّد الله على أنني أجهل أين هو ابني. أهرقْ دمي. إذا شـئت؛ إن الله يتقبَّل روحي، لأنك تكـون قد أرقت دمـاً بريئـاً ".وقُتل زكريا في رواق هيكل الربّ، قرب حاجز المذبح.

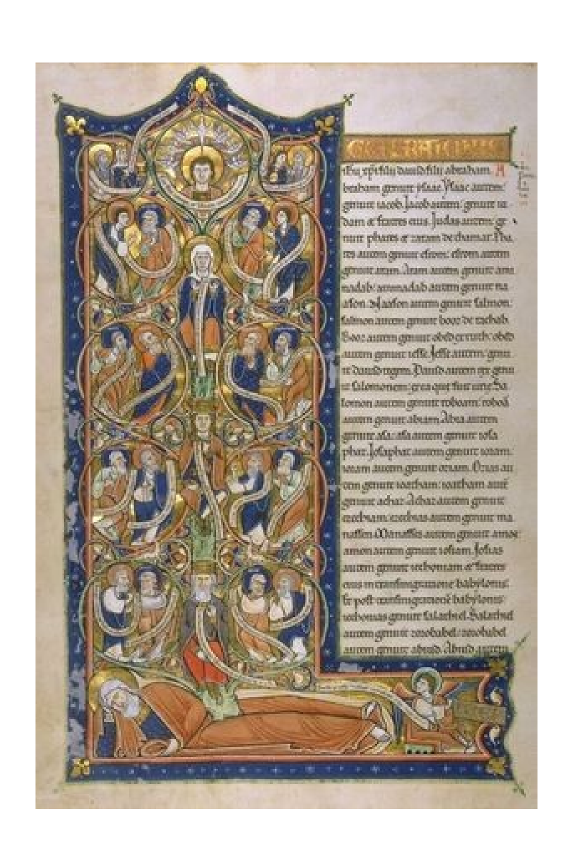
الفصل الرابع والعشـــرون: الأســـباط تبكى زكريا بســـبب مقتله:

ومضى الكهنة إلى الهيكل في موعد الســـلام. ولم يكن زكريا في اسـتقبالهم لمنحهم البركـة، وفقـاً للعـادة. وعنـدما لم يظهر لهم، لم يجـرأوا على الـدخول. ودخل أحـدهم الهيكـل، وكـان أكـثر إقـداماً من الآخرين، وعاد يُنبئ الكهنة بأن زكريا قُتل. ودخلوا إذاك، ورأوا ما صـنُع؛ وكـانت كسـوات الهيكل تُطلق عـويلاً، وكـانت مشـقوقة من أعلى إلى أسـفل. ولكن لم يُعثَر على جسـده، أما دمه فكـان في رواق الهيكــل، كتلةً شبيهةً بصخر. وخرجوا مذعورين، وأعلنـوا للشـعب أن زكريا قُتـل. وبكته أسباط الشعب ثلاثة أيام وثلاث ليال.

وبعد تلك الأيـــام الثلاثـة، اجتمع الكهنة لينتخبـوا واحـداً مكانـه. وحلَّت القرعة على سمعان. وأُنبئ بواسطة الـروح القـدس بأنه لم يمت قبل أن يعاين المسيح.

الفصل الخامس والعشرون: يعقوب يلجأ إلى الصحراء:

أنا، يعقوب، الذي كتب هذه القصة، لجأت إلى الصحراء، إبـان تمـرُّد أثاره في أورشليم المدعو هيرودس، ولم أعُـدْ إلا بعـدما هـدأت البلبـة. أنني أحمد الله الـذي منحـنى مهمة كتابة هـذه القصـة. لتكن النعمة مع الذين يخشَون سـيِّدنا يسـوع المسـيح، الـذي له المجد والقـوة مع الآب الأبدي والروح القدس المحيي، الآن، ودائماً، وإلى أبد الآبدين. آمين.



الفصل السادس

إنجيل توما الإسرائيلي المنحول

هذا النص، كتاب توما الإسرائيلي، هو كتاب غير قانوني، موحى به، بل هو نص مسـيحي شـعبي يخلط بين الأدب الشـعبي والأسـاطير والمبالغات الخرافية الأسـطورية والفكر الغنوسي والأسـاطير الهنديـة، ويرجع إلى القـرنين الثـاني والثـالث للميلاد، وقد كتب كـأدب إعجـازي يرويه العامة من الناس ليشبع فضولهم ويروي ظمـأهم لمحاولة معرفة الكثير عن حياة الرب يسوع المسيح في طفولته وصـبوته، وذلك لعـدم ذكر الأناجيل القانونية لتفصيلات حياة المسيح في هذه الفترة باسـتثناء ما سجله كل من الإنجيل للقديس متى والإنجيل للقـديس لوقـا. فـامتلأ هـذا الكتـاب بقصص الطفولة والصـبوة الـتي تمتليء بـالمعجزات اللامعقولة الـتي تخيلوها والـتي تتنـافي مع روح الإنجيل السـامية البسيطة وشخص المسيح السامي الذي كان يكشف عن لاهوته بصورة تدريجية تتناسب مع المرحلة السنية التي كان يمر بها.

وقد أشار لهذا العمل كل من العلامة هيبوليتوس والعلامة أوريجانوس في بداية القرن الثالث، ولكن بصورة غير واضحة تماماً. ويـزعم مؤلف هـذا الكتـاب المنحـول أنه توما الإسـرائيلي، وتوما الفيلسـوف، وتوما ديديموس، ويهوذا توما ..الخ ويرى العلماء أن بعض روايات هذا الكتـاب ترجع لتاريخ أقدم ربما لسنة 80م، وقد بني عليها الكاتب الأخير رواياته وطورها وأضاف إليها، وأنه لا يمكن أن يكون مسـيحياً من أصل يهـودي أو أنه من اليهودية لأنه لا يعـرف أي شـيء عن اليهودية ولا بيئتها ولا طبيعتها أو ظروفها ولا يعـرف شـيء من عـادات اليهـود سـوى عيد الفصح، لذا يرون أن كاتبه مسيحي من أصل أممي وليس يهودي. فقط جمع ما كان منتشرا من روايات شـعبية وتصـور أنه بهـذا يكمل ما بـدأه القديس لوقا والقديس متى.

ويرجع أقدم اقتباس من هذا العمل للقديس إيريناؤس حـوالي سـنة 180م مما يدل على أن رواياته وقصص الأولية كان لها وجـود قبل هـذا التاريخ بقليل، ويتفق جميع من درسـوا هـذا النص على أنه قد كتب في النصف الثاني من القرن الثاني، فهناك وثيقتان، هما

Epistula Apostolorum و Against Heresies للقـديس إيريناؤس، تشيران إلى ما جاء في هـذا الكتـاب وهما عن طلب المعلم الـذي كـان من المفـروض أن يعلم الطفل يسـوع " **قل ألفا - A** " وإجابة الطفل يسـوع له " **أخـبرني أولا ما هي البيتا – B** ". كما

يتفق العلماء على أنه سبق الكتابة فترة من النقل الشفهي للنص ككل أو لعدة روايات مختلفة قبل أن تنقح وتدون.

ولا يتفق العلماء من جهة اللغة الأصلية التي كتب بها هذا الكتاب، ويختلفون حول كونها اليونانية أو السريانية استناداً إلى عدم وجود مفرد أو مصطلح مترجم من اليونانية أو السريانية، والمخطوطات اليونانية الموجودة لا تفيد في شيء في هذا الأمر لأنها ترجع فقط للقرن الثالث عشر، في حين أن أقدم نص لهذا الكتاب هو النص السرياني المختصر والذي يرجع للقرن السادس، وهناك نص لاتيني أخر يرجع للقرن الخامس أو السادس، كما توجد عدة مخطوطات لهذا الكتاب وترجمات ونسخ مختصرة ومتنوعة وفي حالة فوضى مما يجعل من الصعب معرفة النص الأصلي بسهولة. ويعكس هذا العدد المتنوع للنص مدى شعبيته وانتشاره في بيئات كثيرة.

ويصف هذا الكتاب حياة الطفل يسوع بصورة إعجازية خيالية أسطورية لا تتفق مع ما جاء في الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة، حيث يصور الطفل يسوع يصنع معجزات بلا مبرر ولا سبب سوى كونه إلهاً موجوداً قبل خلق العالم، فيخلق من الطين عصافير وطيور وينفخ فيها نسمة الحياة، كما يصوره كشخص له ميول انتقامية شديدة فيميت الولد الذي فرق القنوات التي صنعها هو من طين ويقتل طفلا أخر لمجرد أنه أصطدم به وهو يجري في الطريق، ويصيب جيرانه بالعمى لأنهم اشتكوه ليوسف والعذراء، ويقيم ميت من الموت ليبرئه من تهمة موته!! ويحرج المعلم الذي ذهب ليعلمه!! وتستمر المعجزات التي لا مبرر لها سوى إظهار قدرته غير العادية كإله فيحمل الماء لأمه في ردائه بسبب كسر الجرة التي كان يحملها، ويجذب قطعة الخشب القصيرة لتتساوي مع قطعة طويلة ليساعد يوسف النجار في عمله وينقذه من حرج. أنه " **يصور المسيح طفلاً خارقاً للعادة، ولكنه غير محبوب بالمرة. وعلى النقيض من المعجزات المسجلة في الأناجيل القانونية، نجد المعجزات المسجلة فيه تميل إلى طبيعة تدمير، وتصرفات صبيانية وشاذة.** إن

الإنسان ليصدم إذ يقرأ مثل هذا عن الرب يسوع المسيح، فهي تمزج قدرة الله بنزوات الطفل المشاكس المتقلب، فبدلاً من الخضوع لوالديه، يسبب لهما متاعب خطيرة، وبدلاً من النمو في الحكمة، نراه في هذا الإنجيل (المنحول) مندفعاً يريد أن يعلم معلميه، ويبدو عالم بكل شيء منذ البداية. ويطلب والد - مات ابنه بسببه - من يوسف: " خذ يسوعك هذا من هذا المكان لأنه لا يمكن أن يقيم معنا في هذه المدينة، أو على الأقل علمه أن يبارك لا أن يلعن ". وعندما كان يسوع في مصر في الثالثة من عمره، نقرأ في الإصحاح الأول: " وإذ رأى

الأولاد يلعبون، بدأ يلعب معهم، وأخذ سمكة مجففة ووضعها في حوض وأمرها أن تتحـرك، فبـدأت تتحـرك، فقـال للسـمكة: " اخـرجي الملح الـذي فيك وسـيري في المـاء " ففعلت ذلك وعنـدما رأى الجـيران ما حـدث، أخـبروا به الأرملة الـتي كـانت مـريم أمه تقيم عنـدها، وحالما سـمعت ذلك طـردتهم من بيتها فـوراً. وكما يقـول وسـتكوت: " في المعجزات الأبوكريفية لا نجد مفهوماً سـليماً لقـوانين تـدخلات العنايـة، فهي تجـرى لسد إعـواز طارئـة، أو لإرضـاء عواطف وقتيـة، وكثـيراً ما تنافي الأخلاق، فهي استعراض للقوة بدون داع من جـانب الـرب أو من جانب من عملت معه المعجزة ".

ويستمر النص هكذا إلى أن ينتهي برواية حوار الصبي يسوع مع قادة اليهود في الهيكل والتي نقلها عما جـاء في الإنجيل للقـديس لوقـا. وما جـاء في هـذا الكتـاب يقـدم صـورة مختلفة تماما للطفل يسـوع كما يصوره الوحي الإلهي في الإنجيل بأوجهه الأربعة والتي تؤكـد، كما يؤكد آباء الكنيسة أن الرب يسوع المسـيح لم يصـنع أي معجـزة قبل عمـاده وحلول الروح القدس ولم يكن من تـدبير التجسد ذلـك. وفيما يلي نص الكتاب كما نقلناه عن عدة ترجمات إنجليزية واختيار النص الأطول لأنه يمثل معظم المخطوطات:

1 - كتاب القديس توما الرسول الخاص بطفولة الرب:

أنا توما الإسـرائيلي، رأيت أنه من الضـروري أن أعـرف كل الأخـوة الذين من الأمم بالأعمال العظيمة الـتي عملها ربنا يسـوع المسـيح في طفولتـه، لما كـان سـاكنا في الجسد في مدينة الناصـرة وكـان عمـره خمسة أعوام.

2 - يسوع يأمر ماء البركة فيصبح رائقاً:

في أحد الأيام كان هناك مطر غزير، وقد خرج هو من المـنزل الـذي تقيم فيه أمه، ولعب على الأرض حيث كانت المياة تنساب. فصنع بركـاً ووضع فيها المياه التي أحضرها، فـامتلأت الـبرك بالمـاء. حينئذ قـال: " أيها المياه كوني صافية نقية حسب إرادتي " فصارت كذلك في الحال.

3 - ابن حنان الكاتب يفرق مـاء الـبرك، فيلعنه المسـيح ويجف ويموت:

ومر صبي هو ابن حنان الكاتب وكان يحمل فـرع صفصـاف، فشـتت الـبرك وتـدفق منها الميـاة. فـالتفت يسـوع وقـال لـه: " أيها الشـرير الأحمق ماذا فعلت برك المياه إليك حتى تفرغهـا؟ هـوذا منذ الآن تجف مثل شجرة لا تنتج أوراقاً أو جذوراً أو أثماراً ". وفي الحال جف الصبي

تماماً أما يسوع فمضى إلى منزل يوسف. فحمل الوالدان الطفل وندبا شبابه وأتيا به إلى يوسف وقالا له: " أنظر ما فعله أبنك بابننا ".

4 – يســـوع يخلق من الطين كهيئة الطـــير وينفخ فيه فيتحول إلى طير مغرد:

وصنع يسوع من طين الصلصال، أثني عشر عصفوراً. وكان ذلك يوم سبت. فجـرى صـبي وأخـبر يوسف قـائلاً: " هـوذا أبنك يلعب عند غـدير المياه وصنع من طين الصلصـال أثـني عشر عصـفوراً، الـذي لا يحل ". فلما سمع ذلك ذهب وقال ليسوع " لماذا فعلت ذلك ودنست السبت ؟ ". لكن يسـوع لم يجاوبـه، بل نظر للعصـافير وقـال: " انطلق، طيري، وعيشي واذكريني ". وعند قوله هذا طـارت وصـعدت في الهـواء، فلما رأى يوسف ذلك تعجب.

5 – يسوع يلعن طفل ويموت لأنه ضربه بالحجر:

وبعد عدة أيام كان يسوع سائرا في وسط المدينة، فألقى صبي بحجر عليه، فأصابه في كتفه. فقال له يسوع: " أنك لن تسـير في طريقك ". فسـقط في التو ومـات أيضـا، والـذين رأوا ذلك ذعـروا جـداً، وكـانوا يتردَّدون، ويقولون: " كلماته كلها نافـذة، إما للخـير، وإما للشـر، ويـأتي بمعجزات ". وعنـدما رأوا أن يسـوع يفعل أشـياء كهـذه، نهض يوسـف، وشـــدَّ أذنه بقـــوة. فغضب الطفل وقـــال: " لَيكفك البحث وعـــدم الاكتشـاف؛ لقد تصـرَّفت كمجنـون؛ " أنا لك من دون شـك؛ ولكن ليس عليك أن تعذِّبني في شيء، أنا لك فلا تزعجني مطلقاً ".

6 - عند المعّلم زكّا:

وسمع معلَّم مدرسة، اسمه زكّا كان قربهما، يسوع يكلِّم أباه هكـذا، فدهش جـداً لتعبـير طفل بهـذه الصـورة. وبعد أيـام قليلة قصد يوسف وقال له: " أن طفلك موهوب بذكاء كثير؛ سـلمه ليّ، فأعلِّمه الأحـرف، وأمنحه كـلّ أنـواع التهـذيب، معلّمـاً إيـاه خصوصـاً احـترام الشـيخوخة ومحبَّة والديه ". وعلَّمه الأحـرف كلها من الألفا حـتى الأوميجـا، شـارحاً بوضوح وعناية قيمة كلَّ منها ومعنـاه. وإذ نظر يسـوع إلى المعلَّم زكّـا، قال له: " أنتَ الـذي يجهل طبيعة الحـرف ألفـا، كيف تعلِّم الآخـرين ما هي البيْتا؟ أيها المرائي، علِّمنا أولاً، ما هو حـرف ألفـا، وإنـذاك نصـدَّقك حين تتحدَّث عن حرف بيْتا ". وأخذ عنـدها يلحّ على المعَّلم بأسـئلة عن أول حرف من الألف باء، فلم يسـتطع زكّا إعطـاء أجوبة مرضـية. وفي وجـود كثـير من الحضـور، قـال الطفل لزكّا: " إسـمَعْ، يا معلّم، ما هو موقع الحـــرف الأول، ولاحـــظْ من كم خـــطّ يتـــألَّف، وكم يحتـــوى منها داخليةَّ، حادةَّ، متباعدةَّ، متلاقيةَّ، مرتفعةَّ، ثابتةَّ متناسـقةَّ. غـير متسـاوية القياس ". وشرح له كل ما له علاقة بالحرف A.

7 - زكّا يعلن هزيمته:

عندما سمع زكّا الطفل يعرض أشياء بهذه الكـثرة، خَجل من علمـه، وقـال للحضـور: " واأسـفاه! كم أنا تَعس، فقد أورثت نفسي الندامـة، وجلبت عليَّ نفسي عـاراً بإحضـار هـذا الطفل إليّ؛ خـذه، اسـتحلفك بـذلك، يا أخي يوسف فأنا لا أسـتطيع الصـمود أمـام قـوة براهينـه، ولا أحسن الارتفاع إلى أحاديثه. فهـذا الطفل لم يولَـدْ على الأرض؛ ويمكنه التسلُّط على النار؛ ربما ولدَ قبل خلق العالم؛ أجهل أي بطن حمله وأي ثدي أرضعه؛ لقد وقعت في خطأ جسيم، فقد أردت أن يكـون لي تلميذ فوجدت معلِّماً؛ أنني أرى، يا أصدقائي، ما هو ذلِّي، فأنا، الشيخ، هـزمت على يد طفل، وستكون نفسي في يأس، وسـأموت بسـببه، ومنذ هـذه اللحظة، لم أعد أستطيع مواجهته. وحين يقول الجميع أنني هُزمت على يد طفل، فبماذا أجيب وكيف أتحدَّث عن قواعد الحرف الأول وعناصره بعد كـلّ الـذي قاله عنهـا؟ أنـني لا أعـرف بداية هـذا الطفل ولا نهايتـه. استحلفك إذاً، يا أخي يوسف، خذه إلى بيتك: فسيكون له شـأن عظيم، إنه إله أو ملاك، لست أدرى ".

8 - شفاء المصابين بلعنة:

وعندما كان اليهود يقدَّمون نصائح لزكّا، أخذ الطفل يضحك وقـال: " الآن وقد أثمرت الأمـور وعمْى القلب يبصـرون، جئت من فـوق لألعنهم وأدعـوهم إلى أشـياء أسـمى، هـذا هو الأمر الـذي أعطـاني إيـاه منْ أرسلني لأجلكم ". وحين أنهي كلامـه، كـلّ الـذين أصـابتهم لعنته شـفوا على الفور. ومنذ ذلك الوقت، ما من أحد كان يجـرؤ على إثـارة غضـبه خوفاً من أن يلعنه ويصاب بشرَّ ما.

9 - قيامة زينون الطفل:

وبعد أيام قليلـة، كـان يسـوع يلعب على مصـطبة، في أعلى مـنزل، فسقط أحد الأطفال الذين يلعبون معـه، من أعلى السـطح ومـات، وإذ رأي الأطفال الآخرون ذلك، ونزل يسوع وحده. وعندما جاء أهل الطفل الذي مات، اتهمـوا يسـوع بدفعه من أعلى السـطح، وكـالوا له شـتائم. فنزل يسوع من السطح، وأقترب من جثة الطفل، ورفع صـوته، وقـال: " يا زينون (كان هذا اسم الطفـل)، قُمْ وقُـلْ لي إن كنت أنا مَنْ أوقعك ". وأجــاب الطفــل، وقد نهض على الفــور: " لا، يا سـيد، لم تسـبب سـقطتي، وبـالعكس تمامـاً، أقمتـني من المـوت ". وذهل الـذين كـانوا حاضـرين. ومجد أهل الطفل الله لأجل الآية الـتي حصـلت، وسـجدوا ليسوع.

10 - قيامة شاب:

وبعد بضعة أيام، كان شاب منشغلاً بقطع الأخشاب، فأفلتت فأسه من يديه، وأحدثت في قدمه جرحاً عميقاً، فمات وقد نزف دمه كله. ولما كانوا يهرعون نحوه وكانت هناك جلبة عظيمة، ذهب يسوع مع الآخرين، وإذ وسع لنفسه مكاناً، اجتاز الجمع، ووضع يديه على قدم الشاب، فشفي على الفور. وقال للشاب: " قُم احتطبْ وتذكرني ". وعندما رأي الجمع ما حدث، سجدوا كلهم ليسوع، وهم يقولون: " حقا، أن روح الله يسكن هذا الطفل ".

11 - ماء في الرداء:

وعندما بلغ السادسة من العمر، أرسلته أُمه، وقد أعطته جرة، لاستقاء الماء من الينبوع وجلبه إلى البيت، وإذ ارتطمت الجرة، وسط الجمع، تحطمت. فبسط يسوع رداءه الذي

كان يلبسه، وملآه ماءً وحمله إلى أمه. فقبلته أمه، وقد رأي الآية التي صنعها، **وكانت تحتفظ في قلبها بذكرى الآيات التي كانت تراه يصنعها**.

12 - آية الزرع:

وإذ جاء زمن الزرع، ذهب الطفل يسوع مع أبيه ليبذر قمحاً في أرضهما، وفيما كان يوسف يبذر، تناول الطفل حبة قمح وطمرها في التراب، وهذه الحبة وحدها أعطت مئة كر من القمح. وإذ جمع فقراء القرية كلهم، وزع عليهم القمح، وأخذ يوسف ما تبقى. وكان يسوع في الثامنة من عمره حين صنع هذه الآية.

13 - إنقاذ يوسف من ورطة:

وكان أبوه نجاراً وكان يصنع في ذلك الوقت محاريث ومقارن. وقد أوصاه رجل ثرى أن يصنع له سريراً. ولما كانت المسطرة التي يستخدمها يوسف لقياس الخشب لا يمكنها أن تفيده في ذلك الظرف، قال له الطفل: " ضع أرضاً قطعتي خشب وانجرهما انطلاقاً من الوسط ". وفعل يوسف ما أمره به الطفل، وإذ كان يسوع في الجانب الآخر، ضم الخشب وشد نحوه القطعة الأقصر، وجعلها مساوية للأخرى، وقد طالت تحت يده. وإذ رأي أبوه يوسف ذلك، أعجب، وقال، وهو يقبل الطفل: " لقد تباركت لأن الرب أعطاني طفلاً كهذا ".

14 - إلى معلم آخر:

وإذ رأي يسوع أن الصبي قوياً في الجسم، أراد مرة أخرى أن يتعلم الأحرف، فأصطحبه إلى معلم آخر. وهذا المعلم قال ليوسف: " سوف

أُعلمه أولاً الأحـرف اليونانية ومن ثم الأحـرف العبريـة. وكـان المعلم يعـرف مهـارة الطفل كلها ويرهبـه، إلا أنه كتب الألف بـاء، وحين أراد سؤال يسوع، قـال له يسـوع: " إذا كنت حقـاً معلمـاً، وإذا كـانت لـديك معرفة صحيحة بـالأحرف، فقُـلْ لي ما معـنى حـرف ألفـاً، أقـول لك ما معـنى حـرف بيتا ". فدفعه المعلم، ثـائراً وضـربه على رأسـه. فلعنه الطفل، غاضباً من هذه المعاملة، وعلى الفور سقط المعلم على وجهه ميتاً. وعاد الطفل إلى مسكن يوسف، الذي أغتمَّ جداً لذلك، وقـال لأم يسوع: " لا تدعيه يجتاز باب البيت، فكلّ الذين يغضبوه يموتون ".

15 - تلميذ مملوء نعمةً:

وبعد بعض الوقت، قال ليوسف معلَّم آخر، كان قريباً وصديقاً لـه: " أحضر هـذا الصـبي إلى مدرسـتي؛ فربما أنجح في شـكل أفضل في تعليمه الأحـرف، غـير مسـتخدم حياله سـوى معاملة جيـدة ". فقـال له يوسـف: " أن كـانت لك الشـجاعة فخـذه معـك، يا أخي ". وأخـذه معه بخوف وكرب عظيم وكـان الصـبي يمضى مسـروراً. وإذ دخل المدرسة بثقة، وجد كتاباً على منبر القراءة، فأخذه ولم يقرأ ما كان مكتوباً؛ لكنه كـان يتكلّم، فاتحـاً فمـه، بـالروح القـدس، وكـان يشـرح الشـريعة للحاضرين. وكان يحيط به جمعٌ كثير، وكلّهم كانوا معجـبين بعلمه وبـان طفلاً يعبر بهذه الطريقة. فارتعب يوسـف، وقد علم ذلـك، وأسـرع إلى المدرسـة، خائفـاً من أن يكـون المعلّم أَمِّيّاً. وقـال المعلّم ليوسـف: " تعلم، يا أخي، أنني أخذت هذا الطفل تلميذاً، لكنه مملـوء نعمـةً وحكمة بالغة؛ أرجوك يا أخي، أرجعْه إلى بيتك ". وعندما سـمع الطفـل، ابتسم وقال: " لأنك تكلمت بالحق وشـهدت بـالحق، فمن أجل خـاطرك فـأن مَنْ صُـعقَ سيشـفي ". وعلى الفـور شـفي المعلّم الآخـر. وأخذ يوسف الطفل ومضى إلى بيته.

16 - شفاء يعقوب:

وأرسل يوسف ابنه يعقـوب ليحـزم حطبـاً ويحمله إلى الـبيت وكـان يرافقه الصبي يسوع. وعندما كان يعقوب يلتقط أغصان شـجر، لسـعته أفعى في يده. وحين كان في لحظة الموت من جرحه، اقـترب يسـوع، ونفخ فـوق اللسـعة، فتوقف الألم على الفـور، ومـاتت الأفعى، وفي الحال شفي يعقوب تماماً.

17 - " آمرك بألا تموت ":

وبعد ذلك، حدث أن طفل أحد جيران يوسف مرض، ومـات، وكـانت أُمه تبكى كثيراً. وسمع يسوع صوت النحيب والتأوُّهات، فجرى مسرعاً، وعندما وجد الطفل ميتاً، لمس صدره، وقال: " آمـرك، أيها الطفل بـألا تموت؛ عشْ وابقَ مع أمك ". وعلى الفـور نهض الطفل وأخذ يضـحك.

فقـال يسـوع للأُم: " خذيه وأرضـعيه، وتـذكَّريني ". وحين رأي الشـعب الذي كان هناك هذه الآية، قال: " هذا الطفل هو حقّاً إله أو ملاك اللــه، فكلّ ما يأمر به يُنَفَّذ على الفور ". ومضى يسوع مع الأطفال الآخرين.

18 - الميت ينهض ويسجد:

وبعد بعض الوقت، ولما كانوا يبنون مبنى، حدثت جلبه عظيمة، فذهب يسوع ليرى ما حدث، فوجد رجلاً راقداً ميتاً، فأمسك بيده وقـال لـه: " أقول لك يا رجل قُمْ، وعُدْ إلى عملك ". فقام الميت في الحال وسـجد لـه. فتعجب الجمـوع وكـانوا يقولـون: " لقد جـاء هـذا الطفل حقـاً من السماء، فقد أنقذ أنفساً كثيرة الموت، وسـوف ينقـذها كـلّ زمن حياته ".

19 – يسوع يعلم في الهيكل أمام الشيوخ والمعلَّمين:

وعندما بلغ يسوع الثانية عشرة من العمر، ذهب أبواه، بحسب العادة، إلى أورشليم ليحتفلا بالفصح، برفقة أشخاص آخرين، وبعد الفصح عـادا إلى ديارهما. وفيما كانا سائرَين، رجع الصبي يسوع إلى أورشليم، وكان أبواه يعتقدان بأنه كان مع الذين يرافقونهما. وبعدما ذهبا مسـيرة يومـاً واحــداً، كانا يطلبــاه بين أقربائهما فلم يجــداه؛ وكانا في حــزن عظيم وعادا إلى المدينة ليبحثا عنـه، وفي اليـوم الثـالث، وجـداه في الهيكـل، جالساً في وسط المعلمين، يستمع للناموس ويسألهم أسـئلة، ويشـرح الشــريعة. وكلّهم كــانوا منتبهين ومندهشــين لأن طفلاً أربك الشــيوخ ومعلّمي الشعب وضيَّق عليهم بالأسئلة، باحثاً في نقـاط الشـريعة وفي أمثلة الأنبياء. وقالت له أمه مريم، متقربةً منـه: " لمَ فعلت بنا ذلـك، يا بُنَيّ؟ فقد كنا مغمّـــومَين ونجن نفتَّش عنك ". فأجابها يســـوع: " لمَ تفتَّشــان عنّى؟ ألا تعلمــان أنه ينبغي أن أكــون مع الــذين هم لأبى؟ " فقال الكتبة والفريسيون: " هل أنت أم هـذا الصـبي؟ " فأجـابت: " أنا هي ". فقالوا لها: " مباركة أنت بين كـلّ النسـاء، لأن الله بـارك ثمـرة أحشائك؛ أننا لم نرَ ولم نسمَعْ أبـداً مجـداً بهـذا المقـدار، وحكمـةً بهـذا المقدار وبراعة بهذا المقـدار ". فنهض يسـوع وتبع أمـه، وكـان خاضـعاً لوالديَــه. **<u>وكــانت أمه تحتفظ في قلبها بــذكرى كــلّ ما كــان يحدث. وكان يسوع ينمو في الحكمةً، والنعمةً</u>** وعمراً. له المجد في كل الدهور.أمين.

الفصل السابع

أنجيل متى المنحول

أنجيل مولد مريم وميلاد المخلَّص

إنجيل متى المزيف: وهو رسـائل مـزورة يـزعم كاتبه أنها كـانت بين القديس جـيروم وأسـقفين إيطـاليين، مع الادعـاء زوراً بـأن جـيروم قد ترجمها إلى اللاتينية من الأصل العبري . ولا يوجد هـذا الإنجيل المزيف إلا في اللاتينية ويبدو أنه لم يكن له وجود قبل القـرن الخـامس. ويعتمد هذا الكتاب المنحول على إنجيل يعقـوب التمهيـدي المنحـول كثـيراً مع إضافات من مصدر غير معروف (الأرجح غنوسي)، كما يأخذ معجزات أخرى من إنجيل الطفولة لتوما الإسـرائيلي المنحـول والخاصة بالرحلة إلى مصـر، مع التنويه في بعض هـذه المعجـزات بأنها كـانت إتمامـاً لنبـوات العهد القـديم، فمثلاً في (أصـحاح 18) كـان سـجود التنـانين للطفل يسـوع إتمامـاً لما قاله داود: " سـبحي الـرب من الأرض أيتها التنـانين وكل اللجج " (مز 148:ـ 7)، وفي (أصـحاح 19) عنـدما سـجدت له الأسـود والنمـور ودلتهم على الطريق في البريـة، وذلك " بحناء رؤوسها وهز ذيولها والسجود له بـاحترام عظيم " على أنه إتمـام للنبـوة: " يسـكن الـذئب مع الخـروف ويـربض النمر مع الجـدي 000 والأسد كالبقر يأكل تبناً " (اش 11:ـ 6و7). وفي هذا الكتـاب المنحـول يذكر لأول مرة كيف أن الثور والحمار سجدا للطفل يسوع في المزود، وقد استغل الفن المسيحي ذلك كثيراً. كما أن به الكثير من المعجـزات المـذكورة في إنجيل الطفولـة. وقد تـأثر به الكثـيرين من كتب وفنـاني العصور الوسطى.

تمهيد

أنا يعقوب، ابن يوسف النجار، ممتلئاً مخافة الله، كتبت كـلّ ما رأيته بعينَي زمن مولد الطوباوية مـــريم وميلاد المخلَّص، شـــاكرا الله لأنه منحي معرفة قصص مجيئه، ولأنه أراني تمام النبوّات المُعطاة لأسـباط إسرائيل الاثني عشر.

الإصحاح الأول

يواقيم المستقيم وزوجته حنه بدون ذرية

كان في إسرائيل رجل اسمه يواقيم، من سـبط يهـوذا، كـان يـرعى أغنامه، خائفـاً الله في بسـاطة قلبه واسـتقامته، وليس له من همًّ آخر

سـوى همَّ قطعانـه، الـتي كـان يسـتخدم منتجاتها لإطعـام الـذين كـانوا يخافون الله، مقدَّماً قرابين مضاعفة في خوف الربّ، ومغيثاً المعوزين وكان يضع ثلاث حصص من خرافه، وأرزاقه وكلّ الأشياء الـتي يملكهـا؛ ويعطي واحـــدة للأرمــل، واليتــامى، والغربــاء والفقــراء؛ والأخـــرى للمنذورين لخدمة اللـه، ويحتفظ بالثالثة لنفسه وكل بيتـه. وقد ضـاعف الله قطعيه بحيث لم يكن هنــاك أحد يمكن أن يًقــارن به في كــلّ بلاد إسرائيل. وبدأ يسلك هكذا منذ الخامسة عشرة من عمـره. وعنـدما بلغ العشرين من عمره، اتخذ امرأةً حنة، ابنة يساكر، التي كـانت من نفس سبطه، من سـبط يهـوذا، من نسل داود؛ وبعـدها سـكن عشـرين عامـاً معها، لم يُرزَق منها أولاداً.

الإصحاح الثاني

الملاك يبشّر حنة ويواقيم

وحدث أن يواقيم قَدمَ في أيام العيد بين الذين يحملون قرابين للربّ، يقدَّم تقدماته في حضرة الـربّ. لكن كاتبـاً من الهيكـل، اسـمه راؤبين، اقترب منه وقال لـه: " لا يليق أن تقف بين الـذين يقـدمون ذبـائح للـه، لأن الله لم يباركك، ولم يمنحك نسلاً في إسرائيل ". فأنسـحب يـواقيم من الهيكل باكيـاً، مهانـاً في حضـور الشـعب، ولم يَعُـدْ إلى بيتـه؛ لكنه مضى نحو قطعانه أخــذاً معه رعاته إلى الجبــال، إلى بلاد بعيــدة؛ ولم تسـمع عنه زوجته حنه أي خـبر لمـدة خمسة أشـهر. وكـانت تبكي في صلواتها، وتقول: " أيها الـربّ الكلي القـدرة، يا إله إسـرائيل، لمَـاذا لم ترزقني ولداً، ولمَاذا أخذت زوجي مني؟ " أنني لا أعرف أن كـان ميتـاً، ولا أدري كيف أعمل لدفنه ". وداخلت بيتهــا، وأخــذت تبكي بمــرارة، وسـجدت لتصـلّي، موجَّهـةً توسُّـلاتها إلى الـربّ. وفيما هي تنهض من صـلاتها وترفع عينَيها إلى اللـه، رأت عشًّـاً للعصـافير في شـجرة غـار، فقالت وهي نائحة: " أيها الربّ الإله الكلي القـدرة، أنت الـذي أعطيت المخلوقـات كلّها نسـلاً، البهـائم والحيـات، والأسـماك والطيـور، والـذي يجعلها

تسر بصغارها، أحمدك، لأنك شئت أن أكون وحدي مستثناة من أفضـال جودك؛ فأنت تعرف، يا ربّي، سرَّ قلبي؛ لقد نذرت، منذ بدء رحلتي، أنك لو رزقتني أبناً أو ابنةً. لكنت كرسته لك في هيكلك المقدَّس ". وعندما قالت ذلك، ظهر ملاك الربّ فجأة أمام وجهها، قائلاً لها: " لا تخـافي، يا حنة لأن نسلك في مجلس الله، وستتعجب جميع الأجيال حتى الانقضاء لذلك الذي سيولد منك ". وعنـدما قـال ذلك اختفي من أمـام ناظريهـا. ودخلت حنة غرفتهــا، مرتجفــةً مــذعورةً لأنها شــاهدت رؤيا كهــذه، وسمعت كلاماً كهـذا، وارتمت فـوق سـريرها كميتـة، وخلال النهـار كلّه والليل كلّه، كانت تصلي بخوف عظيم. ثم نـادت إليها خادمتهـا، وقـالت

لهـا: " لقد رأيتـني حزينة لعُقْـري وتـرمُّلي، ولم تريـدي أن تـأتي إليّ ". فأجابت خادمتها هامسـةً: " إذا كـان الله قد أغلق رحمـك، وإذا كـان قد أبعد عنك زوجـك، فمـاذا يمكنـني أن أفعل من أجلـك؟ " فـرفعت حنة صوتها، وقد سمعت ذلك، وبكت وهي تطلق صيحات ألم.

الإصحاح الثالث

ظهور الملاك ليواقيم

وفي نفس الـوقت، ظهر شـاب وسط الجبـال ليـواقيم وهو يـرعى قطعيه وقال له: " لماذا لا تعد إلى زوجتك؟ " فقال يواقيم: " كانت لي خلال عشـرين عامـاً؛ أنما الآن، بما أن الله لم يشأ أن أرزق منها أولاداً، طُـردت من الهيكل بحقـارة، فلمـاذاَ أعـود إلى إليهـا؟ " لكنـني سـوف أُوزِّع، بيد خدامي، على الفقراء، والأرامل، واليتـامى وكهنة الله الأرزاق التي تعود إليهم ". وعندما قال ذلك، أجابه الشاب: " أنا ملاك الله، وقد ظهرت لزوجتك الـتي كـانت تبكي وتصـلي، وعزَّيتهـا، لأنك تركتها مثُقلة بحزن شديد. إعلَمْ في خصوص امرأتك، أنها سـتحيل بابنة سـتكون في هيكل الله، وسيسكن الروح القدس فيها، وتكـون بركتها أعظم من كـلّ النساء القديسـات؛ بحيث لا يسـتطيع احد أن يقـول أن مثيلة لها كـانت قبلها، أو أنه ستوجد مثيلة لها بعدها على مـدى الأجيـال؛ وسـيكون ابنها مباركاً، وهي نفسها ستكون مباركة، وسـتكون أُم البركة الأبديـة. لـذلك أنزَلْ من الجبل وعُدْ إلى زوجتك، واحمدا معاً الله العليّ القدير ".

فسجد يواقيم للملاك وقال له: " أن وجدت نعمة في عينيك، فاسترحْ قليلاً تحت خيمتي،

وبـاركْني، أنا خادمك ". فقـال له الملاك: " لا تَقُـلْ: أنا خادمـك، بل أنا رفيقك؛ فأننا خدام ربٍّ واحد؛ لأن طعامي غير مرئي، وشـرابي لا يمكن أن يراه البشر الفانون. إذاً، لا يجب أن تسـألني الـدخول تحت خيمتـك؛ بل ما كنت تريد إعطائي إيـاه، قدَّمْه محرقـةً لله ". فحينئذ أخذ يـواقيم حملاً بلا عيب، وقال للملاك: " ما كنت لأجـرؤ على تقـديم محرقـتي لو لم يُعطني أمرك حق ممارسة الكهنوت المقدس؟ " فقال له الملاك: " ما كنت لأدعوك إلى أن تُضَحَّي، لو لم أعرف إرادة الله ". والحال هـذه حدث أن يواقيم حين قدَّم ذبيحة، فصعد ملاك الربّ إلى السـماوات مع رائحة الضحية ودخانها.

حينئذ سـجد يـواقيم ووجهه إلى الأرض، وظل هكـذا من السـاعة السادسة حتى المساء. وارتعب خدامه وأُجراؤه، وقد جاؤوا ولن يعلمـوا ما هو سبب ما يرونه، ودنَوا منـه، ظـانين أنه مـات، وأنهضـوه من على الأرض بمشـقة. وعنـدما روى لهم ما رآه، اسـتولى عليهم ذعر شـديد وإعجاب، وحثّوه على أن ينُجز ما أمره به الملاك دون تأخير، وأن يعـود

سـريعاً لامرأتـه. وحين كـان يـواقيم يفكر في ذهنه عما إذا كـان عليه العـودة أم لا، فاجـأه النـوم. وإذا بملاك الـربّ، الـذي ظهر له بـالأمس، ظهر له وهو نائم، قائلاً: " أنا الملاك المعين من الله حارساً؛ أنـزَلْ دون خوف وعُدْ إلى لحنة، لأن أعمـال الرحمة الـتي أتممتهـا، أنت وامرأتـك، قُـــدَّمَتْ في حضـــرة العلي، وأُعطي لك نسل لم يناله لا الأنبيـــاء ولا القديسون ولن ينالوه أبداً ". ولما استيقظ يواقيم من نومـه، نـادى إليه حراس قطعانه، وروى لهم ما رآه. فسجدوا للربّ، وقالوا له: " أنظر لا تستخف أكثر بما قاله ملاك الله ؛ بل أنهَض، ولنرحَلْ، ولنمض في سـير بطئ ونحن نرعى القطعان ".

ولما ساروا ثلاثين يوماً، ظهر ملاك الربّ لحنة، الـتي كـانت تتضـرّع، وقال لهـا: " أذهـبي إلى البـاب المـدعو المـذهّب، وتـوجَّهي لاسـتقبال زوجـــك، لأنه ســيأتي إليك اليـــوم ". فنهضت ســـريعاً، وانطلقت مع خادماتها، ووقفت قرب ذلك الباب وهي تبكي؛ وعندما انتظـرت طـويلاً، وكانت على وشك الإغماء من ذلك الانتظـار الطويـل، إذا بها وهي ترفع عينَيهـا، تُبصر يـواقيم الـذي كـان آتيا مع قطعانـه. فركضت حنة تـرتمي على عنقه، شاكرةً الله، وقائلةً: " كنت أرملةً، وها أنني لن أعود عاقراً، وها أنني سأحبل ". وحلَّ فرح عظيم بين الأهل كلّهم والذين يعرفونهما، وكانت ارض إسرائيل بأسرها في حبور بسبب ذلك

النبأ.

الإصحاح الرابع

ولادة مريم وتقديمها للهيكل

ومن ثمَّ، حبلت حنة، وبعد تسعة أشهر تامة، أنجبت ابنةً أسمتها مريم. وحين فطمتها في العام الثـالث، مضـيا معـاً، يـواقيم وامرأته حنـة، إلى هيكل الربّ، وقدَّما قرابين، وقدَّما ابنتهما مريم للهيكـل، لتكـون مقبولة بين العذارى اللواتي يمضين النهار والليل يسبحوّن الربّ. ولما وُضــعت في هيكل الربّ، صعدت راكضةً الدرجات الخمس عشــرة، من دون أن تنظر إلى الــوراء ومن دون أن تســأل عن أبوَيهــا، كما يفعل الأطفــال عادةً. فامتلأوا كلّهم دهشةً لهذا المشـهد، واسـتولت الدهشة على كهنة الهيكل.

الإصحاح الخامس

تسبحة حنة

حينئذ امتلأت حنة من الروح القدس وقالت: " الربّ إله الجنود، تذكَّر كلامــه، وافتقد شـعبه في مدينته المقدســة، ليُـذلّ الأمم الــتي كـانت تقاومنا ويهـدي قلوبها إليـه. فتح أذنَيه لصـوتنا وأبعد عنا سـرور أعـدائنا.

المرأة العاقر أصبحت أمّاً، وأنجبت الفرح لإسرائيل وسرورها. وها أنني أستطيع تقديم قرابين للربّ، وكان أعدائي يريدون منعي من ذلك. الربّ صرعهم أمامي، ووهبني فرحاً أبدياً ".

الإصحاح السادس

مريم موضع إعجاب الجميع في الهيكل

كانت مريم موضع إعجاب للشعب كلّه، فحين كانت في الثالثة من عمرها، كانت تمشي بوقار، وتكرَّس نفسها لتسحبه الربّ بغيرة وهمة إلى حد أن الجميع كانوا مذهولين إعجاباً ودهشةً: فلم تكن تبدو كطفلةً، بل تظهر كشخصية ناضجة عمرها ثلاثون عاماً، من فرط تفرُّغها للصلاة بعناية ومثابرة. وكان وجهها يسطع كالثلج، بحيث ينظر إلى وجهها بصعوبة. وكانت تدأب على عمل أشغال الصوف، وكلّ ما كانت لا تستطيع فهمه نساء

مسنَّات، كانت تشرحه، وهي لا تزال في نعومة أظفارها. وكانت قد فرضت على نفسها نظاماً هو الدأب على التضرع منذ الصباح حتى الساعة الثالثة وتكريس نفسها للعمل اليدوي منذ الساعة الثالثة حتى التاسعة. ومنذ الساعة التاسعة، **لم تتوقَّف عن الصلاة إلى أن يظهر ملاك الربّ؛ حينئذ كانت تتلقى طعامها من يده، لتتقدَّم في صورة أفضل في محبة الله.** ومن العذارى الأخريات كلّهن الأكبر سناً منها واللواتي كانت تتهذَّب وإياهن في خدمة الله، لم تكن توجد مَنْ هي أدقُّ في السهر، أعلم بحكمة شريعة الله، أكثر امتلاءً تواضعاً، أمهر في أنشاد مزامير داود، أكثر امتلاءً محبةً لطيفةً، أنقى عفَّةً، أكمل في فضيلة. لأنها كانت وفيَّة، مستقرة، مثابرة، وكانت تفيد في كلّ يوم مواهب من كلّ نوع.

لم يسمعها أحد أبداً تقول سوءاً، ولم يراها أحد أبداً تغضب، كلّ أحاديثها كانت مملوءة لطافةً، وكانت الحقيقة تظهر من فمها. كانت منشغلةً دوماً بالصلاة وتأمُّل شريعة الله، وكانت تنشر اهتمامها على رفيقاتها، متخوِّفة من أن تخطئ إحداهن بالكلام، أو ترفع صوتها ضاحكةً، أو تنتفخ كبرياءً، أو تكون لها مسالك سيئة تجاه أبيها وأمها. وكانت تسبح الله بلا انقطاع، ولئلا يتمكَّن مَنْ يحيّويها من أن يحرفوها عن تسبيح الله، كانت تجيبهم: " الشكر لله! " ومنها جاءت العادة التي اتَّبعها الناس الوَرعون بالإجابة على مَنْ يحيّونهم: " الشكر لله! " **كانت تتناول كلّ يوم الطعام الذي كانت تتلقاه من يد الملاك، وتوزع على الفقراء الغذاء الذي كان يسلّمها إياه كهنة الهيكل. وكان الملائكة يُرَون غالباً جداً يتحدثون معها،**

وكانوا يطيعونها بأعظم احـترام. وإذا لمسـها شـخص بعاهة ما، كان يرتدُّ متعافياً على الفور.

الإصحاح السابع

بتولية مريم وعارضتها للزواج

حينئذ قدَّم الكاهن أبيثار هدايا هائلة لرؤساء الكهنة، ليزوَّجوا ابنه من مريم. ولكن مريم عارضت ذلك قائلةً: " لا أريد أن أعـرف رجلاً، ولا أن يعرفني رجل ". وكان الكهنة وأهلها كلّهم يقولـون لهـا: " أن الله مكّرم بالأبناء كما كان دائماً شعب إسرائيل ". فتُجيب مـريم: " أن الله مكَّرم أولاً بالعفَّة. فقبل هابيل، لم يكن هناك أي بار بين الناس، وكان مَرْضـياً عند الله لقربانـــه، فقتله بخبث مَنْ لم يـــرض الله عنـــه. إلا أنه تلقى إكلَيلين، إكليل

التضحية وإكليل العذريَّة، لأن جسده لبث منزهاً من العيب. ولاحقاً، رُفعَ إيليــا، حين كــان في هــذا العــالم، لأنه حفظ جســده في العذريَّة. لقد تعلَّمت في هيكل الـــربّ، منذ طفولـــتي، أن عـــذراء يمكن أن تكـــون مَرْضيَّة عند الله. واتَّخذت في قلبي قراراً بأن لا أعرف رجلاً ".

الإصحاح الثامن

اجتماع الكهنة والشعب واختيار يوسف

وحدث أن مريم بلغت الرابعة عشرة من عمرها، وكانت تلك مناسبة للفريسيين ليقولوا، حسب العادة، أنه لا يمكن لامرأة البقاء مصـلّيةً في الهيكل. وتقرَّر إرسال مناد إلى كل أسباط إسرائيل، للاجتماع في اليوم الثالث. وعندما اجتمع الشعب كلّـه، نهض أبيثـار، رئيس الكهنـة، وصـعد أعلى الدرجات، حتى يستطيع أن يـراه ويسـمعه الشـعب كلـه. وبعـدما أمر بالصـــمت، قـــال: " اســمعوني، يا أبنـــاء إســرائيل، ولتفتَحْ آذانكم لكلامي. فمنذ أن بُني هذا الهيكل على يد سليمان، ضمَّ عدداً كبـيراً من العـذارى الرائعـات، بنـات ملـوك، وأنبيـاء وكهنـة؛ وعنـدما بلغن العمر المناسب، اتخذن أزواجـاً، وكنَّ مرْضـيات عند الله بإتبـاع تقليد اللـواتي سبقنهن. ولكن مريم أوجدت طريقة جديدة لمرضاة الربّ، لأنها وعدت الله بالاستمرار في العذريَّة، ويبدو لي، استناداً إلى طلباتنا وأجوبة الله، أننا نستطيع أن نعرف إلى مَنْ يجب أن يُعهد لحمايتها ".

وراق هذا الخطاب للجمع، واقترع الكهنة على أسماء أسباط إسرائيل الاثني عشر، فحلّت القرعة على سـبط يهـوذا، فقـال رئيس الكهنة في اليـوم التـالي: " على مَنْ لا زوجه له يـأتي وليحمـلْ عصـاه في يـده ". وحصل أن يوسف جاء مع الشـبان وعصـاه معـه. وعنـدما سـلَّم الجميع رئيس الكهنة العصي التي تزوَّدوا بها، قـدَّم تضـحيةً للـه، وسـأل الـربّ،

فقال له الربّ: " أحمل العصي كلّها إلى قدس الأقـداس، ولتَبْق هنـاك، ومُرْ كلّ الذين حملوها بـأن يعـودوا لأخـذها صباح الغـد، لتعيـدها إليهم، وســوف تخــرج من رأس أحد الأقلام حمامة تطـير نحو الســماء، وإلى الذي تميَّز هذه العلامة عصاه يجب أن تُسلّم مريم لحمايتها ".

وفي الغد، جاؤوا جمعياً، ودخل رئيس الكهنة قدس الأقدس، وقد قدَّم قربان البخور، وجلب العصي. وعنـدما وزَّعها كلّهـا، وعـددها ثلاثة آلاف، ولم يخرج من أيٍّ منها حمامة،

ارتدى رئيس الكهنة أبيثار الثوب الكهنوتيّ والأثـني عشر جرسـاً، ودخل قدس الأقداس وقدَّم التضحية. وفيما كان يصلي، ظهر له الملاك، قائلاً: " ها هي هـذه العصي الصـغيرة جـداً الـذي لم تُعرْها أي انتبـاه؛ فحين تأخــذها وتعطيها ســتجد فيها العلامة الــتي ذكرتها لك ". وكــانت تلك العصي ليوسف، وكان شيخاً ذا مظهر بائس، ولم يُرد المطالبة بعصـاه، حـتى لا يضـطر أن يأخذ مـريم، وبينما كـان واقفـاً بتواضع خلف كـلّ الآخرين، صاح به الكاهن أبيثـار بصـوت عـال: " تعـال، وتسـلَّم عصـاك، فأنت منتظَر ". فأقترب يوسف، مرتعباً، لأن رئيس الكهنة ناداه بصــوت عال جداً. وعندما مدَّ يده لتسلّم عصاه، خرجت من طـرف ذلك العصي على الفور حمامـةٌ أبيض من الثلج وذات جمـال خـارق، طـارت طـويلاً تحت قباب الهيكل، وتوجّهت نحو السماوات.

حينئذ هنّأ الشعب كلّه الشيخ، قائلاً: " لقد أصبحت محظوظاً في سنّك الطاعنة، واختارك الله وأشار إليك لتُعهد مريم إليك ". وقال له الكهنـة: " خذها، فقد أختارك الله وحدك من كل أسباط بـني إسـرائيل ". فقـال لهم يوسف بارتباك، مبدياً لهم احتراماً عظيماً: " أنا شـيخ؛ ولـدي أولاد؛ فلمَاذا تسلموني هذه الشابَّة التي هي اصغر من أحفادي؟ " عندها قـال له رئيس الكهنة أبيثـار: " تـذكَّرْ يا يوسـف، كيف هلك داثـان وأبـيرون، لأنهما احتقــرا إرادة اللــه؛ ســيحدث لك الأمر نفسه إذا ثــرتَ ضد ما يـأمرك الله به ". فأجـاب يوسـف: " أنـني لا أقـاوم إرادة اللـه، أريد أن أعــرف مَنْ من أبنــائي عليه اتخاذها زوجــة، فلتُعــطَ بعض العــذارى، رفيقاتها، تمكث معهن في انتظار ذلك ". حينئذ قال رئيس الكهنة أبيثار: " ســوف نمنحها رفقة بعض العــذارى ليقُمْنَ مقـام تعزية لهـا، إلى أن يحلَّ اليوم المحدَّد لتتقبَّلها. فهي لا تستطيع الاتحاد بالزواج مع آخر ".

حينئذ أخذ يوسف مريم مع خمس عذارى أُخريات، ليكنَّ في بيته مع مـريم. وكـانت أسـماء تلك العـذارى رِفقـة، صـفّورة، سوسـان، ابيجه ورَاحيل، وأعطاهن الكهنة حريراً، وكتاناً. واقـترعن في ما بيهنَّ على أيَّ عمل يُخَصَّــص لكـــلَّ منهن. وحـــدث أن القرعة عيَّنت مـــريم لتحيك الأرجوان، لتصنع حجاب هيكل الربّ، فقـالت العـذارى الأُخريـات لهـا: " كيــف، طالما أنت أصــغر من الأُخريــات، اســتحقت نيل الأُرجــوان؟ "

وأخـذن، وقد قلن ذلـك، كما بتهكّم، يـدعونها ملكة العـذارى. وحين كنَّ يتحدَّثن هكذا في ما بينهن، ظهر ملاك الربّ في

وسطهن وقال: " ما تقُلْن لن يكون هزءاً، بل سـيتحقَّق بالضـبط تمامـاً ". فارتعبن من وجود الملاك وكلامه، وأخذن يتوسَّلْن مـريم لتسـامحهنّ وتصلّي من أجلهنّ.

الإصحاح التاسع

بشارة الملاك للعذراء بميلاد ابن الله

وفي اليوم الثاني، كانت مريم واقفة قرب النبع، لتملأ جرتّها، ظهر لها ملاك الربّ، قائلاّ: " أنت مباركة، يا مـريم، لأن الله أعـدَّ له مسـكناً في رحمك. لأنه هوذا النور يأتي من السماء ويسـكن فيك وليسـطع بك في العالم كله ". وفي اليوم الثالث، كـانت تحيك الأرجـوان بأصـابعها، وقف أمامها شـاب يسـتحيل وصف بهائـه. فلما رأته مـريم خـافت وارتعشت بشدة، فقـال لهـا: " سـلام لك يا مـريم، يا ممتلئة نعمـة، الـرب معـك، مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة رحمك ". وحينما سمعت تلك الكلمات ارتعشت وكانت خائفة للغاية. فقال لها ملاك الرب " لا تخافي يا مريم لأنك وجدت نعمة عند الله. وها أنت ستحبلين وتلدين ملكاً يمتدّ سلطانه ليس فقط فوق الأرض كلّها، بل أيضـاً في السـماوات، ويحكم إلى أبد الآبدين آمين ".

الإصحاح العاشر

مريم وجدت حبلى من الروح القدس

وفيما كان ذلك يحدث، كان يوسف في كفر ناحوم، منشغلاً بأعمـال مهنته، فقد كان نجاراً، ومكث هناك تسعة أشهر. وعند عودته إلى بيتـه، وجد أن مريم كانت حبلى، فارتعدت أطرافه كلّها، وصاح وقال، مملـوءا قلقـاً: " يا ربّ، يا ربّ، تقبَّل روحي، فمن الأفضل لي أن أمـوت من أن أعيش ". فقـالت له العـذارى اللـواتي كنَّ مع مـريم: " نعلم أن ما من رجل لمســها، ونعلم أنها لبثت بلا عيب في العفَّة والعذريّــة، لأن الله صانها وأمضت وقتها كلّه في التضرُّع. **أن ملاك الـربّ يتحـادث كـلّ يوم وإياهـا، وكل يـوم تتلقى طعامها من ملاك الـربّ**. فكيف يمكنها إذاً ارتكاب خطيئة ما؟ فإذا أردت أن نقول لك ما نعتقد، فما من أحد جعلها حبلى، أن لم يكن ملاك الربّ ". فقال يوسف: " لماذا تـردنَ خداعي بإقنـاعي بـأن ملاك الـربّ جعلها حبلى؟ ألا يمكن أن يكـون أحد قد تظاهر بأنه ملاك الربّ، بهدف

خداعها؟ وكان يبكي وهو يقول ذلك: " كيف أذهب إلى هيكل الله، كيف أجرؤ النظر إلى كهنة اللـه؟ مـاذا أفعل في هـذه الحـال؟ " وكـان يفكّر بالاختباء وردَّ مريم؟

الإصحاح الحادي عشر

ملاك الرب يظهر ليوسف ويطمئنه

وقرَّر يوسف الهرب خلال الليل، ليذهب ويختبئ في الأماكن المنعزلة، فظهر له في تلك الليلة ملاك الربّ خلال نومه وقال له: " يا يوسف، يا ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم زوجةً لـكَ، فما تحمله في أحشـائها هو من عمل الروح القدس. سوف تلد ابناً ويُدعى يسوع، لأنه يُخلص شعبه من خطايـاهم ". فشـكر يوسف اللـه. وقـام، وتحـدّث إلى مـريم وإلى العذارى اللواتي كنَّ معها، وروى رؤياه، ووضع عزاءه في مريم قـائلاً: " لقد أخطأت، لأنني شككت فيك ".

الإصحاح الثاني عشر

امتحان يوسف ومريم

ثم حدث أن الخبر شاع أن مريم كانت حبلى. فأمسك خـدام الهيكل يوسف واقتادوه إلى رئيس الكهنة، الذي بدأ مع الكهنة، تعنيفه، قـائلاً: " لمَ غررت بعذراء بهـذه العظمـة، أطعمها ملائكة الله كحمامة في هيكل الله، ولم تُردْ أبداً رؤية رجل وكانت على معرفة بصورة مذهلة بشريعة الله؟ " لو لم تغتصبها، لبقيت عـذراء حـتى الآن ". وكـان يوسف يقسم بأنه لم يمسَّـها. فقـال له رئيس الكهنة أبيثـار: حي هو الـربّ! سـوف نسقيك ماء امتحان الله، فتظهر خطيئتك على الفور ".

حينئذ اجمتع شعب إسرائيل كلّه بعدد كبير جداً. واقتيـدت مـريم إلى هيكل الـربّ. وكـان الكهنة والمقرَّبـون منها وأهلها يبكـون ويقولـون: " اعـترفي للكهنة بخطيئتـك، أنت الـتي كـانت كحمامة في هيكل الـربّ **وكنت تتلقَّين طعامك من يد الملائكة** ". ونُـودي يوسف للصـعود إلى جوار الهيكل، وأعطي ليشرب ماء امتحان الربّ؛ وحين كان يشربه رجل مذنب، كانت تظهر على وجهه علامة ما، عندما يـدور سـبع مـرات حول مذبح الربّ. وحين شرب يوسف بثقة ودار حول المذبح، لم يظهر على وجهه أي أثر لخطيئة. حينئذ برَّأه كلّ الكهنة

وخـدام الهيكل وكل الحاضـرين، قـائلين: " أنت مبـارك، لأنك لم توجَـدْ مذنباً ".

ثم نادوا مـريم، وقـالوا لهـا: " وأنت، أي عـذر يمكنك إعطـاؤه أو أي علامة أكـبر يمكنها أن تظهر فيـك، طالما أن حمل بطنك كشف إثمـك؟ وطالما أن يوسف تبرَّر، نطلب منك أن تعترفي مَنْ هو الذي غـرَّر بـك.

فمن الأفضل أن يضمن اعترافك حياتك من أن يظهر غضب الله بعلامة ما على وجهك ويجعل عـارك معلومـاً ". عنـدها أجـابت مـريم من دون ارتعاب: " إذا كان في دنس أو إذا كـانت فيَّ شـهوة نجسـة، فليعـاقبني الله في حضور الشعب كلّه، لأكون مثال عقاب الكذب ". واقتربت بثقة من هيكل الـربّ، وشـربت مـاء الامتحـان، ودارت سـبع مـرات حـول الهيكل، ولم يبدُ فيها أي دنس.

وفيما كان الشعب كلّه مصعوقاً بالذهول والمفاجـأة وهو يـرى حبلها وأن أي علامة لم تظهر على وجههـا، بـدأت تشـيع أخبـار مختلفة في صـفوف الشـعب. كـان البعض يمتـدحون قداسـتها، وآخـرون يـدينونها ويظهرون سيئي النية حيالهـا. عنـدها قـالت مـريم بصـوت عـال، بحيث يسمعها الجميع، وقد رأت أن شكوك الشعب كلّه لم تكن مبدَّدة كلّياً: " حي هو الربّ إله الجنود، الذي أقف في حضرته! أشهد بأنني لم أعرف أبداً ولا يجب أن اعرف رجلاً، فمنذ طفولتي، اتخذت في نفسي القـرار الحازم، ونذرت لإلهي أن أكرَّس عذريتي للذي خلقني، وأضع فيه ثقـتي لئلا أعيش إلا من أجله ومن أجل أن يصونني من كلّ إثم، ما حييت ".

الإصحاح الثالث عشر

الاكتتاب وميلاد المسيح

وحدث، بعد وقت قليل، أن قراراً صدر عن أُغسطوس قيصـر، يـأمر كلّ فرد بالعودة إلى موطنه. وكـان كيريـنيوس، حـاكم سـوريا، أول مَنْ نشر هـذا القـرار. وبنـاءً عليه اضـطُرَّ يوسف إلى التوجه مع مـريم إلى بيت لحم، فقد كان أصلهما منها، وكانت مريم من سبط يهوذا ومن بيت داود وموطنـه. وعنـدما كـان يوسف ومـريم على الطريق المؤدية إلى بيت لحم، قالت مريم ليوسف: " أرى شعبَين أمامي، واحد يبكي والآخر يستسـلم للفـرح ". فأجابها يوسـف: " ابْقي جالسـةً ولازمي دابَّتك ولا تتلفَّظي بكلام عديم الجدوى ". حينئذ

ظهر أمامهما طفل بهيّ، تكسـوه ثيـاب رائعـة، وقـال ليوسـف: " لمَ وصـفت ما كـانت تقوله مـريم عن هـذين الشـعبين أنه كلام عـديم الجدوى؟ فقد رأت الشعب اليهودي يبكي، لأنه ابتعد عن إلهه، والشعب الوثـني يغتبط لأنه اقـترب من الـربّ، تبعـاً لما وُعد به آباؤنـا، إبـراهيم وإسحق ويعقوب. فقد حلَّ زمـان انتشـار بركة نسل إبـراهيم في الأمم كلّها ".

وحين قال الملاك ذلك، أمر يوسف بإيقاف الدابَّة الـتي كـانت مـريم عليهـا، لأن زمن الوضع حـلّ. وقـال لمـريم أن تـنزل عن دابَّتها وتـدخل مغارة جوفية حيث لم يدخل النور أبداً وحيث لم يكن هنـاك ضـوء أبـداً، لأن العتمة مكثت هنـاك في اسـتمرار. وعند دخـول مـريم، سـطعت

المغارة كلّها ببهاء باهر كما لو أن الشمس كانت هناك، وكانت الساعة السادسة من النهار، وطالما بقيت مريم في تلك المغارة، لبثت، ليلاً ونهاراً وبلا انقطاع، مستضيئةً بذلك النور الإلهي. **ووضعت مريم أبناً أحاط به الملائكة منذ ولادته وسجدوا له** قائلين: " المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وللناس سروراً عظيماً! "

وكان يوسف قد ذهب يبحث عن قابلة، وحين عاد إلى المغارة، كانت مريم مع الطفل الذي ولدته. فقال يوسف لمريم: " جئتك بقابلتَين، زيليمي وسالومي، اللتين تنتظران عند مدخل المغارة ولا يستطيعان الدخول بسبب هذا النور الحاد للغاية ". فابتسمت مريم، وقد سمعت ذلك. وقال لها يوسف: " لا تبتسمي، بل حاذري، خوف أن تحتاجي إلى بعض أودية ". وأعطى إحدى القابلتَين الأمر بالدخول. وعندما اقتربت زيليمي من مريم، قالت لها: " اسمحي لي بأن ألمسك ". وعندما سمحت لها مريم بذلك، صاحت القابلة بصوت عال: " يا ربّ، يا ربّ، ارحمني، فلم يخطر لي أبداً ولا سمعت شيئاً مشابهاً؛ أن ثدييها مملوءان حليباً ولديها طفل ذكر، على رغم أنها عذراء. ما من سفك دم وُجد عند الولادة **وما من ألم عند الوضع**. **عذراء حبلت، عذراء وضعت، وعذراء تبقى** ".

وقالت القابلة الأخرى، المسمَّاة سالومي، وقد سمعت كلام زيليمي: " ما أسمعه، لن أصدِّقه، ما لم أتأكد منه ". وقالت سالومي وهي تقترب من مريم: " اسمحي لي بأن ألمس وأن أتحقَّق مما إذا كانت زيليمي قد قالت صواباً ". وإذ سمحت لها مريم بذلك، لمستها سالومي، فيبست يدها على الفور. وأخذت، شاعرةً بألم عظيم، تبكي بمرارة شديدة وتصيح، وتقول: " يا ربّ، تعلم أنني خشيتك دوماً، واعتنيت دوماً بالفقراء من دون تفكير

- 113 -

بأجر؛ أنني لم أتلق شيئاً من الأرملة واليتيم ولم أدفع عني أبداً المعوَز من دون نجدته، وها أنني أصبحت بائسة بسبب شكي، لأنني تجرأت على الشك في عذرائك ".

وحين كانت تتكلّم هكذا، ظهر لها شاب عظيم البهاء، وقال لها: " اقتربي من الطفل، واسجدي له والمسيه بيدك، فيشفيك، لأنه مخلّص العالم وكلّ الذين يضعون رجاءهم فيه ". فاقتربت سالومي من الطفل على الفور، ولمست طرف أقمطته التي كان ملفوفاً بها ساجدةً له، وعلى الفور شفيت يدها. وأخذت ترفع صوتها، خارجةً، وتروي المعجزات التي رأتها وما عانت، وكيف شفيت؛ وآمن كثيرون بكلامها. ورعاة غنم كانوا يؤكدون أنهم رأوا في الليل ملائكةً يرنّمون نشيداً: " سبِّحوا إله السماء ومجِّدوه لأن مخلِّص الكلّ وُلد، المسيح الذي سيستعيد مملكة إسرائيل ".

ولمع نجمٌ عظيمٌ فوق المغارة منذ المساء حتى الصباح، ولم يُرَ أبـداً مثيل في العظمة منذ بداية العــالم. وكــان الأنبيــاء الموجـــودون في أوُرشـليم، يقولـون أن ذلك النجم كـان يشـير إلى ميلاد المسـيح الـذي سيتمَّم الخلاص الموعود به، ليس فقط لإسرائيل، بل كذلك للأمم كلّها.

الإصحاح الرابع عشر

سجود الثور والحمار

وفي اليوم الثالث لولادة الربّ، خرجت الطوباية مريم من المغـارة، ودخلت الزريبــة، ووضــعت الطفل في المــذود، **فســجد له الثــور والحمــار**. حينئذ تمَّ ما أنبأ به اشـعياء النـبي: " الثـور يعـرف قانيـه، والحمـار معلف صـاحبه ". وكـان هـذان الحيوانـان، وهو في وسـطهما، يسجدان له بلا انقطـاع. حينئذ تمَّ أيضـاً ما قاله النـبي: " سـوف تُعـرف في وسط حيـوانين ". ولبث يوسف ومـريم ثلاثة أيـام في ذلك الموضع مع الطفل.

الإصحاح الخامس عشر

التقدمة إلى الهيكل

وفي اليـوم السـادس، دخلت الطوباوية مـريم بيت لحم مع يوسـف، حيث أمضوا اليوم السابع وفي اليوم الثامن ختنوا الصبي ودعـوا اسـمه يسوع كما دعي من الملاك قبل أن

تحبل به في الــرحم والآن بعد أن اكتملت أيــام تطهــير مــريم حسب شريعة موسى، أتت بالطفل إلى هيكل الربّ، وقدَّما باسمة زوج فــراخ يمام وفرخَي حمام.

وكـان في الهيكل رجل بـارٌّ وكامـل، **اسمه سمعان، عمـره مئة وأثني عشر عاماً.** وقد تلقى من الـربّ الوعد بأنه لن يـذوق المـوت حــتى يكــون قد رأى المســيح، ابن اللــه، حسب الجسد وعنــدما رأى الطفل، صاح بصوت عال، قائلاً: " الله زار شعبه، والـربّ أتمَّ وعـده ". وسـارع في القـدوم، وسـجد للطفـل، وسـجد له ثانيـةً، وقد حمد تحت ردائـه، وكـان يقبَّل بـاطن قدمَيـه، قـائلاً: " يا ربّ، أطلـقْ الآن عبـدك بســلام، حسب قولـك، لأن عينَي رأتا خلاصك الــذي أعددته أمــام وجه جميع الشعوب، نوراً رؤيا للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل ".

وكانت في هيكل الربّ أيضـاً امـرأة، اسـمها حنـة، ابنة فنوئيـل، من سـبط أشـير، عاشت سـبعة أعـوام مع زوجهـا، وكـانت أرملة منذ أربعة وثمــانين؛ ولم تبتعد أبــداً من هيكل اللــه، متفرَّغة بلا انقطــاع للصــوم والتضــرُّع. وإذ اقـتربت، كـانت تسـجد للطفـل، قائلـةً: " أن فيه خلاص العالم ".

الإصحاح السادس عشر

النجم يُرشد المجوس

وجاء مجوس من الشرق إلى أُورشليم، وقد أنقضى عامان، حـاملين قرابين ثمينة، وكـانوا يبحثـون بين اليهـود بتعجُّل، سـائلين: " أين الملك الـذي وُلد لنـا؟ لأننا رأينا نجمة في الشـرق، وأتينا لنسـجد له ". وأرعب هذا النبأ الشعب كلّه، وأرسل هـيرودس يستشـير الكتبـة، والفريسـيين والعلمــاء ليســتعلم منهم أين أعلن النــبي أن المســيح يجب أن يولــد. فأجابوا: " في بيت لحم، مكتوب: وأنت، يا بيت لحم، ارض يهوذا، لست الصغرى في مقاطعـات يهـوذا، فمنك يخـرج القائد الـذي يحكم شـعبي إسرائيل ". حينئذ نادى الملك هيرودس المجوس، واسـتعلم منهم مـتى ظهر لهم النجم، وأرســلهم إلى بيت لحم، قــائلاً: " أذهبــوا، واســتعلموا بعناية عن هذا الطفل، وعندما تجدونه، تعـالَوا وقولـوا لي ذلـك، لأذهب وأسجد له ".

واستأنف المجوس إذاً طريقهم، وظهر لهم النجم، وكما كان مرشداً لهم، تقدَّمهم إلى أن بلغوا الموضع حيث الطفل. وامتلأ المجوس بفــرح عظيم، وقد رأوا النجم. وإذ دخلوا

- 115 -

الـبيت، وجـدوا الطفل يسـوع راقـداً في ذراعي مـريم. عنـدها فتحـوا خزائنهم، وقدَّموا هدايا ثمينة لمـريم ويوسـف. وكـلٌّ منهم قـدَّم للطفل تقـدمات خاصـة، فقـرب واحد ذاهبـاً، والآخر بخـوراً، والآخر مـرّاً. وحين كانوا يريدون العودة إلى الملك هيرودس، حُذِّروا في الحلم من العــودة إليه. فسجدوا للطفل بفرح بالغ، وعادوا إلى بلادهم عبر درب أخرى.

الإصحاح السابع عشر

قتل أطفال بيت لحم

وعندما رأى الملك هيرودس أن المجوس سخروا منـه، اشـتعل قلبه غضــباً، وأرسل مبعــوثين على الطــرق كلّهــا، عازمــاً القبض عليهم وإهلاكهم، وبما أنه لم يســتطع مصــادفتهم، أرسل إلى بيت لحم، وقتل كـلّ الأطفـال من عمر عـامَين وما دون، حسب الـوقت الـذي تحقق به من المجوس. وقبل أن يحدث ذلك بيوم، حُذر يوسف عبر ملاك الــربّ، الذي قال له: " خُذْ مـريم والطفل وأنطلـقْ عـبر الصـحراء واذهب إلى مصر ". وفعل يوسف ما أمره به الملاك.

الإصحاح الثامن عشر

التنانين تسجد ليسوع

وعندما وصلوا إلى قرب المغـارة وأرادوا أن يسـتريحوا فيهـا، نـزلت مريم عن دابَّتها، وكانت تحمل يسوع في ذراعَيها. وكان مع يوسف ثلاثة صبية، ومع مريم صبيَّة، كانوا يسلكون الطريق نفسـها. وإذا بعـدد كبـير من التنانين تخرج فجأة من المغارة، ولدى رؤيتها أطلق الصبية صيحات عظيمة. عنـدها وقف يسـوع أمـام التنـانين، وقد نـزل من ذراعي أُمـه؛ فسجدت له، وحين سجدت له، انسـحبت. وتمَّ ما قاله النـبي: " سـبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين ". وكان الطفل يمشي أمامهـا، وأمرها بـألا تفعل أي سـوء بالبشـر. لكن مـريم ويوسف كانا في ذعر عظيم، خائفَين أن تؤذي التنانين الطفل. فقـال يسـوع: " لا تنظـرا إليَّ باعتبـار أنـني لست سـوى طفـل، أنـني رجل كامـل، وينبغي أن تلين حيوانـات الغابات كلّها أمامي ".

الإصحاح التاسع عشر

سجود الأُسود والفهود

وكانت الأُسود والفهود تسجد له أيضاً، وكـانت ترافقه في الصـحراء. وحيثما كانت مريم ويوسف يمضـيان، كـانت تتقـدَّمهما، دالَّـةً إياهما إلى الطريق، وكانت تسجد ليسوع، خافضةً رؤوسها. وأول مـرة رأت مـريم الأسود والحيوانات المتوحَّشة آتية إليها، أُصيبت بـذعر عظيمَ، فقـال لها يسـوع، نـاظراً إليها بمظهر مـرح: " لا تخشي شـيئاً، يا أُمي، فليس من اجل إخافتك، بل من أجل تكريمك تأتي نحوك ". وإذ قال ذلك، بدَّد كـلَّ خـوف من قلبهمـا. وكـانت الأُسـود تسـير معهم ومع الثـيران، والحمـير والدوابَّ الأخرى الـتي كـانت ضـرورية لهم، ولم تكن تـرتكب أي سـوء، وكـانت تظل كـذلك، ملأى وداعـة، وسط الأغنـام والخـراف الـتي جلبها يوسف ومريم معهما من اليهودية. وكـانوا يسـيرون وسط الـذئاب، ولم يكونوا يشعرون بأي ذعر، ولم يعاني أحد من أي سوء. حينئذ تمَّ ما قاله النـبي: " الـذئاب تأكل مع الحملان، والأسد والثـور يـأكلان تبنا معـاً ". وكـان معهم ثـوران وعربـة، تُحمَل فيها الحاجيـات الضـرورية فـوجهتهم الأسود في طريق.

الإصحاح العشرون

النخلة تنحني لمريم وانبثاق نبع ماء

وحدث في اليوم الثالث من المسير، تعبت مريم في الصحراء بسبب حرارة الشمس الشديدة جداً. فقالت ليوسف، وقد رأت نخلة: " دعـني أرتـاح قليلاً في ظل هــذه النخلة ". فســارع يوسف إلى اقتيادها إلى جوار النخلة، وأنزلها عن دابَّتها، وألقت مـريم نظرها على رأس النخلـة،

وقد جلست وإذ رأته ممتلئاً ثمراً، قالت ليوسـف: " أريـد، إن كـان ذلك ممكناً، في الحصول على بعض ثمار تلك النخلة ". فقـال لها يوسـف: " استغرب كيف يمكنك الكلام هكذا، فـأنت تـرين كم سـعف هـذه النخلة عالياً. أما أنا، فقلق جداً بسبب الماء، لأن جلودنا جفت الآن وليس لدينا شيء لنسرب منه نحن وأبقارنا ". عندها قال الطفل يسوع الـذي كـان في ذراعَي العذراء مريم، أمه، للنخلـة: " أيتها النخلـة، إحـني أغصـانك، وأطعمي أمي من ثمارك ". فأحنت النخلة على الفـور، لصـوته، رأسـها حتى قدمَي مريم، وجمعوا

- 117 -

منها الثمار التي كانت تحملها، وأكلوا منها كلّهم. وظلّت النخلة منحنيـةً، منتظرةً أمر الذي لصـوته انخفضـت، لتنهض. عنـدها قـال لها يسـوع: " أنهضـي، أيتها النخلـة، وكـوني رفيقة أشـجاري الـتي في فـردوس أبي. وليتفجَّرْ من جـــذورك نبع مخبؤ في الأرض وليزودَّنا بالمـــاء الضـــروري لإرواء عطشـنا ". وعلى الفـور نهضت الشـجرة، وبـدأت تتفجَّر من بين جذورها ينابيع ماء صاف جداً ومنعش جـداً وذي لطافة شـديدة. وكلّهم، إذ رأوا تلك الينــابيع، امتلأوا فرحـاً، وارتـووَا مسـبَّحين اللـه، وأسـكنت الحيوانات أيضاً عطشها.

الإصحاح الواحد والعشرون

غصن النصر ينقل إلى الفردوس

وفي الغد، رحلوا، وفي اللحظة التي اسـتأنفوا فيها طـريقهم، التفت يسوع نحو النخلة، وقال: " لقد قلت لك ذلك، أيتها النخلة، أنني آمر بأن يُنقَل أحد أغصانك بواسطة ملائكتي وأن يُزرع في فردوس أبى.

وليكون لك امتياز، أريد أن يُقال لكل الذين ينتصرون في القتـال من أجل الإيمان: " لقد اسـتحققتم غصن النصر ". وفيما كـان يتكلّم هكـذا، إذا بملاك الـربّ ظهـر، واقفـاً على النخلـة، وأخذ واحـداً من أغصـانها، وطار عبر وسط السـماء، ممسـكاً بـذلك الغصن بيـده، ولبث الحضـور، وقد رأوا ذلك، كما مصعوقين ذهولاً. عندها كلّمهم يسوع، قائلاً: " لمـاذا يستسلم قلبكم للخوف؟ ألا تعلمون أن هـذه النخلة الـتي أمرت بنقلها إلى الفردوس ستكون لكلّ القديسين في دار النعيم، كالتي أُعدَّت لكم في هذه الصحراء؟ ".

الإصحاح الثاني والعشرون

يسوع يطمئن يوسف

وفيما كانوا يسيرون، قال له يوسف: " يا ربّ، أن علينا معاناة حرارة قصـــوى؛ أرجـــوك، سنســـلك طريق البحر لنتمكّن من الراحة بعبورنا المدن الـتي على السـاحل ". فقـال له يسـوع: " لا تخف من شـيء، يا

يوسف؛ سوف تقوم في يوم بما لا يستطيع آخرون إتمامه إلا في ثلاثين يوماً ". وفيما كان لا يزال يتكلم " لمحـوا جبـال مصر ومـدنها، فـدخلوا ملؤهم الفرح، مدينةً تُدعى سوتين. وبما أنهم لم يكونـوا يعرفـون أحـداً يمكنهم التماس الضيافة لديه، دخلوا

هيكلاً كان سكان تلك المدينة يدعونه الكابيتول، وحيث كانت تُقَـدَّم كـلّ يوم، ذبائح إكراماً للأوثان الثلاثمائة والخمسة والستين.

الإصحاح الثالث والعشرون

سقوط الأوثان على وجهها

وحـدت عنـدما دخلت القديسة مـريم الهيكـل، مع الصـبي الصـغير، سقطت الأوثان كلّها على وجهها أرضاً، ولبثت مدمَّرة ومحطَّمة. وهكـذا تمَّ ما قاله النبي اشعياء: " هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر ".

الإصحاح الرابع والعشرون

العودة إلى بلاد يهوذا

وعندما علم ذلك أفروديسيوس، حاكم تلك المدينة، قَدِمَ إلى الهيكل مع كـلّ جنـده وكـلّ ضـباطه. وحين رأى كهنة الهيكل أفروديسـيوس مقترباً مع كـلّ جنـده، ظنـوا بأنه قـادم للانتقـام منهم، لأن صـور الآلهة انقلبت. وحين دخل الهيكل ورأى كـــلّ التماثيل منقلبـــةً على وجهها ومحطَّمـة، اقـترب من مـريم، وسـجد للطفل الـذي كـانت تحمله بين ذراعَيها. وعندما سجد له، وجَّه الكلام إلى كلّ جنوده ورفاقـه، وقـال: " لو لم يكن هذا الطفل إلهاً، لما كانت آلهتنا قد سـقطت على وجهها في حضرته، ولما سجدت أمامه؛ أنها تعترف به هكذا رباً لها. وإذا لم نصـنع ما رأيناه صُنِعَ لآلهتنا، نجازف بـالتعرُّض لسـخطه وغضـبه، ونقع كلّنا في خطر الموت، كما حدث للملك فرعون الـذي احتقر تحـذيرات الـربّ ". وبعد وقت قليل، قال الملاك ليوسـف: " عُد إلى بلاد يهـوذا، لأن الـذين كانوا يبحثون عن الطفل ليُهلكوه ماتوا ".

الإصحاح الخامس والعشرون

إحياء سمكة مجففة

وأتمَّ يسوع عامه الثالث. وفيما رأى أطفالاً يلعبون، أخذ يلعب معهم؛ وإذ تناول سمكة مجفَّفة مُشبَعة ملحـاً، وضـعها في حـوض ملئ بالمـاء، وأمرها بـأن تختلج، فبـدأت السـمكة تختلج. وقـال يسـوع للسـمكة، مخاطباً إياها ثانيةً: " اطرحي الملح الذي فيك وتحركي في

المـاء ". فحصل الأمر هكـذا. وإذ رأى الجـيران مـاذا يحـدث، انبـأوا به الأرملة التي كانت تسـكن مـريم في بيتهـا. وحين علمت بهـذه الأمـور، طردتهم على عجل من بيتها.

الإصحاح السادس والعشرون

موت ابن إبليس

وحدث أن يسوع بعد عودته من مصر، حين كان في الجليل، في بداية عامه الرابع، كـان يلعب يـوم سـبت، مع أطفـال، عند ضـفة الأردن. وإذ جلس يسوع، صنع سبع أحواض صغيرة بـالطمي وصـنع لكـلَّ واحد منها ممرات صغيرة، كان مـاء النهر يأتيها بحسب أمـره ويعـود ثانيـة. عندئذ أقفل أحد الأطفـال، وهو ابن للشـيطان، تدفعه الغـيرة، المخـرج الـذي كان يمرُّ الماء عبره ودمَّر ما صنعه يسوع. فقال له يسوع: " الويل لك! يا ابن الموت، يا ابن إبليس. تجـرؤ على تـدمير العمل الـذي صـنعته! " وعلى الفــور مــات الــذي فعل ذلــك. حينئذ رفع أهل الميت الصــوت بضوضاء ضد مريم ويوسف، قـائلين: " أن ابنكما لعن ابننا وقد مـات ". وعنـدما سـمع يوسف ومـريم ذلـك، أتيا على الفـور نحو يسـوع بسـبب شكاوى الأهل وجمهور اليهود الـذين كـانوا يتجمَّعـون. لكن يوسف قـال سراً لمـريم: " لا أجـرؤ على مخاطبتـه، أنما حذَّريه أنت وقـولي: لمـاذا أثرت ضدنا حقد الشعب، ولماذا نحن معرَّضون لغضب الناس المزعج؟ " وعندما جاءت أمه إليه، رجته، قائلةً: " يا سيَّدي، ماذا فعل الذي مات لتنتهي حياته هكــذا؟ " لكنه أجـاب: " كـان مسـتحقاً المـوت لأنه دمَّر الأعمال التي صنعتها ". وكانت أمه ترجوه، قائلةً: " لا تتـألَّم، يا سـيَّدي، لأن الشــعب يحتجُّ علينا ". أما هــو، فضــرب بقدمه اليمــنى خاصــرتَي الميت، رافضـاً أن يُحـزِنَ أمـه، وقـال لـه: " أنهَضْ، يا ابن الإثم، أنتَ لا تسـتأهل دخـول راحة أبى، لأنك دمَّرت الأعمـال الـتي صـنعتها ". حينئذ نهض الذي كان ميتاً ومضى. لكن يسـوع، بمـوجب قدرتـه، كـان يُجـرى المياه إلى البحيرات الصغيرة عبر الممرات التي صنعها.

الإصحاح السابع والعشرون

يسوع يخلق عصافير من الطين

وحدث، بعدما رأى الشعب كلّ هذه الأمور، أن يسـوع أخذ طينـاً من الأحواض التي

صـنعها وصـنع منه أثـني عشر عصـفوراً. وكـان يـوم سـبت عنـدما فعل يسوع ذلك، وكان معه أطفـال كـثرين. وعنـدما رأى أحد أطفـال اليهـود ماذا كان يفعل، قال ليوسف: " يا يوسف، ألا تـرى الطفل يسـوع يفعل يوم السبت ما لا يحل فعله؟ فقد صنع أثــنى عشر عصــفوراً من الطين

". ولما سمع يوسف ذلك وبخ يوسف يسـوع، قـائلاً: " لمـاذا تفعل يـوم السبت ما لا يحل فعله؟ " ولما سمع يسوع يوسف، صـفَّق بيدَيه وقـال لعصـافيره: " طـيري ". فبـدأت بـالطيران بنـاء على أمـره لهـا. وقـال للعصافير، في حضور جمهور كبير كان يراه ويسمعه: "هيّا وطـيري في الأرض والعالم بأسره، وعيشي! " فصُعق الحضور كلّهم، وقد رأوا آيات كهـذه، إعجابـاً وذهـولاً. وكـان البعض يمتدحونه ويعجبـون بـه؛ وآخـرون يلومونه. وذهب البعض إلى رؤساء الكهنة ورؤساء الفريسيين، وبلغَّوهم أن يسوع، ابن يوسـف، كـان يفعـل، في حضـور شـعب إسـرائيل كلّـه، معجزات كبرى وآيات. وبُلّغ ذلك في أسباط إسرائيل الأثنى عشر.

الإصحاح الثامن والعشرون

ابن حنان الكاهن يدمر سدود المياه

ودمَّر ابن حنان، كاهن الهيكل، الذي كان قرب يوسف، حـاملاً عـوداً بيده، في حضور الشعب كلّه، وبحركة غضب عظيمة جداً، السدود التي صنعها يسوع بيدَيه، وأسال الماء الـذي جذبه يسـوع من مجـرى الأردن. كما أقفل ثم دمَّر القناة التي كان الماء يأتي عبرها. وعندما رأى يسـوع ذلك، قال للطفل الذي دمَّر ما فعله: " يا أكـثر بـذرة شـريرة للشـر، يا ابن الموت، يا خادم الشيطان، حقاً سوف تكون ثمرة بذارك بلا نشاط، وجذورك بلا عافية، وسوف تكون بذورك جافة، لا تعطى ثماراً ". وعلى الفور، وفي حضور الشعب كلّه، ذبل الطفل ومات.

الإصحاح التاسع والعشرون

يسوع يعيد الروح إلى طفل

ثم خاف يوسف، ولازم يسوع، وكان يذهب معه إلى بيته، وأمه معهما. وإذا فجأةً بطفل، خادم إثم، مسرعاً للقائهما، ارتمى على كتف يسـوع، راغباً في شتمه وإيذاءه إذا استطاع

ذلك. لكن يسوع قال لـه: " لن تعـود سـليماً معـافى من الطريق الـتي تعبرها. وعلى الفور ركض الطفل قليلاً ومات. وأطلق أهل الميت، وقد رأوا ما حدث، صيحات، قائلين: " من أين وُلد هذا الطفـل؟ من الواضح أن كـلّ كلمة يقولها لا مفـرَّ منهـا، وغالبـاً ما تتمّ قبل أن يتلفّظ بها ". وجاء أهل الطفل الميت نحو يوسف وقالوا له: " أخرجْ يسـوع من هـذا الموضع، فلا يمكنه أن يسكن معنا في هذه القرية. أو علّمْه أن يبارك لا يلعن ". وجـاء يوسف إذاً نحو يسـوع وحـذَّره، قـائلاً: " لمَ تفعل أمـوراً كهذه؟ أن قوماً كثيرين يتـذمَّرون منك ويحقـدون علينـا، بسـببك، ونحن نعاني، بسببك، إزعاجات الناس ". فقال يسوع مجيبـاً يوسـف: " ما من ابن عاقل سوى الذي ربّاه أبوه تبعاً لعلم هذا الزمن، ولعنة أبيه لا تؤذى

أحداً، سوى الذين يرتكبون الإثم ". عندها تألَّب الجميع على يسوع، وشكوه إلى يوسف. وعندما رأى يوسف ذلك، تملَّكه خوف عظيمة، خائفاً أن يثور شعب إسرائيل ويستخدم العنف. وفي الوقت نفسه، أمسك يسوع الطفل الميت بأذنه ورفعه عن الأرض في حضور الشعب كلّه، الذي رأى يسوع يتحدَّث إليه كما أبّ إلى ابنه. فعادت روح الطفل إليه، ورجع إلى الحياة وكلّهم صُعقوا دهشةً.

الإصحاح الثلاثون

يسوع قبل الشريعة

وسمع معلَّم بين اليهود، اسمه زكّا يسوع يتلفَّظ بتلك الكلمات وإذ رأى الأمور التي كان يفعلها حزن وبدأ يتكلّم بجرأة، من دون تعقُّل ومن دون تحفُّظ في حق يوسف، وكان يقول له: " ألا تريد أن تعهد إلى بابنك ليتهذَّب في العلم الإنساني ومخافة الله؟ لكنني أعلم أنكَ ومريم لديكما من المحبة له أكثر من الاعتبار لرأي قدامى الشعب. كان ينبغي إجلالنا أكثر، نحن كهنة كنيسة إسرائيل كلّها، لتكون له مع الأطفال محبة متبادلة ويتهذَّب بيننا في العقيدة اليهودية ". فأجابه يوسف: " ومَنْ يستطيع الإمساك بهذا الطفل وتهذيبه؟ إذا كنت تستطيع الإمساك به وتهذيبه، فلن نحول أبداً دون أن تعلّمه ما يدرسه الجميع ". وإذ سمع يسوع ما قاله زكّا، أجابه وقال: " على الذين هم مهذَّبون بحسب نظام البشر أن يتقيَّدوا بمباديء الشريعة التي تحدَّثت عنها الآن وكلّ ما أشرت إليه، لكنني غريب عن شرائعكم، فليس لي قريب بشرى. أنتَ الذي تقرأ الشريعة وتعرفها، تظل في الشريعة؛ **أما أنا، فقد**

كنتُ قبل الشريعة. أنما على رغم اعتقادك بأن لا مثيل لكَ في العلم، سوف تتهذّب على يدي، فما من أحد آخر يستطيع أن يعلّم، اللهم إلا الأمور التي تحدّثت عنها فقط. وحده مَنْ هو أهلّ لإعطاء هذا التهذيب يستطيع أن يقوم به. حين أرَبَّى على الأرض، أوقف كلّ إشارةً إلى أصلك. أنتَ تجهل متى وُلِدْتَ؛ **أنا وحدي أعرف متى وُلِدْتَ وما هي مدة حياتك على الأرض** ". عندها صعقت المفاجأة كلّ الذين سمعوا هذه الكلمات وصاحوا، قائلين: " أوه! أوه! هوذا سرٌ عظيم وباهر حقاً. أننا لم نسمع أبداً شيئاً مماثلاً. ما من شيء مشابه قاله آخر، لا الإيمان، ولا الفريسيون، ولا النحويون؛ أنه كلام خارق. أننا نعلم من أين وُلِدَ هذا الطفل، ولا يكاد لا يبلغ الخامسة من العمر، فكيف يتلفَّظ بكلمات كهذه؟ " وأجاب الفريسيون: " أننا لم نسمع أبداً طفلاً بهذا الصَّغر يتلفَّظ بكلمات كهذه ". فقال يسوع، مجيباً إياهم: " أنتم مندهشون لأن طفلاً يقول أشياء كهذه. لمَ إذاً لا تؤمنون بي لما قلته لكم؟ ولأنني قلت لكم أنني أعلم متى وُلِدتم، أنتم مندهشون كلكم. أنني سأقول لكم أشياء أوسع لتزيد مفاجأتكم. **لقد رأيت إبراهيم، الذي تقولون أنه أبوكم، وكلّمتُه،**

ورآني ". وكل المستمعين صمتوا، وما من أحد منهم كان يجرؤ على المبادرة إلى الكلام. وقال لهم يسوع: " كنت بينكم مع أطفال، ولم تعرفوني. وكلّمتكم كما قوماً عاقلين ولم تدُركوا صوتي، لأنكم دوني، وقليلو الإيمان ".

الإصحاح الواحد والثلاثون

دهشة المعلّم لاوي

وقال زكّا، أستاذ الشريعة، ليوسف ومريم: " أعطياني هذا الطفل، وسوف أعهد به إلى المعلّم لاوي، الذي يدرسه الأحرف ويهذّبه ". عندها ملاطفَين يسوع، قاده يوسف ومريم إلى المدرسة حيث كان العجوز لاوي يعلّم الأحرف, وحين دخل يسوع، لزم الصمت. وكان المعلّم لاوي يشير إلى يسوع بحرف، وبادئاً بالحرف ألف، كان يقول له: " أجبْ ". لكن يسوع لا يُدلي بأي جواب. عندها تناول لاوي عوداً، غاضباً، وضربه على رأسه. فقال يسوع: " لمَ تضربني؟ إعلَمْ، في الحقيقة، أن المضروب يعلّم مَنْ يضربه أكثر مما يتعلّم منه. أنني أستطيع تعليمك الأشياء التي تعرضها بنفسك، لكن كلّ الذين يقولون ويسمعون هم عميان؛ أنهم كالفولاذ الطنّأن أو كصنج مُهْتَزًّ لا يُدركان ما معنى الصوت

الصادر عنهما ". وقال يسوع لزكّا: " كلّ حرف، من الألف حتى الطيت، يتميَّز بترتيبه. قُلْ أولاً ما هي الطيت، فأقول لكَ ما هي الألف ". وقال لهم يسوع أيضاً: " أيها الخبثاء، كيف يستطيع الذين لا يعرفون ها هي الطيت؟ قولوا أولاً ما هي الألف، فأصدّقكم عندئذ حين تقولون بيْت ". وبدأ يسوع يسأل عن اسم الأحرف المختلفة وقال: " ليقُلْ معلّم الشريعة ما هو الحرف الأول، ولمَ يحتوي مثلّثات عدة ".

وعندما سمعه لاوي يتكلّم هكذا، صعقته الدهشة. وقال للحضور كلّهم: " أعلى هذا الطفل أن يعيش على الأرض؟ أنه يستحق أن يُعَلّق على صليب عظيم، لأنه يستطيع إطفاء نار السماء. اعتقد بأنه كان قبل الكارثة الكبرى، وأنه كان مولوداً قبل الطوفان. ما هو البطن الذي حمله والأم التي ولدته؟ أو ما هو الثديان اللذان أرضعاه؟ أنني أهرب أمامه، لأنني لا أستطيع الصمود أمام الكلمة التي تخرج من فمه؛ لكن قلبي يصعقه الذهول وأنا أسمع كلاماً كهذا. لا أظنُّ بأن أي إنسان يستطيع فهم كلمته إلا إذا كان الله معه ".

الإصحاح الثاني والثلاثون

شفاء طفل قطعت أصابعه

وعندما كان يسوع في الثانية عشرة من عمره، كان أحد أطفال القرية حيث كان يقيم مع أبَويه ينشر حطباً، وحين كان ينشره، قطع أصابع قدمه اليمنى كلّها. وإذ هرع الجيران حشداً نحوه، جاء يسوع؛

ودهن قدمه، فشفي المريض على الفـور، ولم يبـقَ أي أثر على قدمـه. وقـال له يســوع: " أنهَضْ وأنشُــرْ حطبـاً، واذكــرني ". وإذ رأى الحشد المعجزة التي صنعها يســوع، سـجد له وهو يقـول: " **أننا نؤمن حقـاً بأنه المسيح** ".

الإصحاح الثالث والثلاثون

يسوع يجمع قطع الجَّرة المكسورة

وإذ أرسلت الطوباوية مريم خادمتها لتملأ جرَّة مـاء، وبما أن حشـداً من النساء كان قرب النبع، انكسرت الجرَّة وسط هياج الحشـد. عنـدها توجَّه يسوع إلى النبع؛ وملأ رداءه ماءً وحمله إلى أمه. ومن ثمَّ، متنـاولاً قطـعَ الجــرَّة، وجمعها معــاً ولحمها بكلمته بحيث لم يكن يُــرى أي أثر كسـر. عنـدها قبَّلت الطوباوية مـريم يسـوع وهي تقـول: " مبـاركٌ الله الذي

أعطانا ابناً كهذا! ".

الإصحاح الرابع والثلاثون

معجزة القمح

وذات يــوم قصد حقلاً وحمل إليه قليلاً من القمح الــذي أخــذه من مخزن أمه، وبـذره. ونبت القمح ونمـا، وتكـاثر جـداً. وحـدث أن يســوع حصده بعد ذلك، وجنى منه ثلاثة أكر، ووهب منه الكثير.

الإصحاح الخامس والثلاثون

سجود الأُسود ليسوع

ثمة طريق تخــرج من أريحا وتمضي إلى نهر الأُردن، وكـان يســكنها أبنـاء إسـرائيل، وهنـاك يُقـال أن تـابوت العهد وُضـع. وكـان يسـوع في الثامنة من عمـره، وقد خـرج من أريحا ومضى نحو الأردن. وكـانت إلى جانب الطريق مغارة قرب الأُردن حيث كانت لبـؤة تُرضع صـغارها، وما أحد يسـتطيع سـلوك تلك الطريق من دون خطـر. وإذ قَـدمَ يسـوع من أريحا عالماً بـأن اللبـؤة وضـعت صـغارها في تلك المغـارة، دخلها على مرأى من الجميع. وحين رأت الأسود يسوع، ركضت إليه وسـجدت لـه. وكان يسوع جالساً في المغـارة، والأشـبال تتـدحرج عند قدمَيـه، لاعبـةً ومداعبةً إياه. وكان الشعب الواقف بعيداً، غـير مُبْصر يسـوع، يقـول: " لو لم يكن قد ارتكب أخطـاء عظمِيـة، هو أو أبـواه، لما أسـلم للأسـود. وحين كان الشعب منشغلاً بهذه الأفكار ويتملَّكه الألم، إذا بيسوع يخرج فجـأةً من المغـارة، والأسـود تتقدَّمــه، والأشـبال الصـغيرة تلعب عن قدمَيه. وكان أبوا يسوع. خافضَي الرأس، يقفان بعيداً، مراقبَين ما كـان

يحدث؛ وكان الشعب يقف كذلك بعيداً بسبب الأُسود ولم يكن يجرؤ على الانضمام إليهما. عندها بدأ يسوع يقول للشعب: " كم الحيوانات المفترسة أفضل منكم! أنها تعرف سيِّدها وتمجِّده، وأنتم تتنكَّرون له، أنتم البشر المخلوقون على صورة الله ومثاله! أن الحيوانات تتعرَّف إليّ وتلين؛ والبشر يرونني ولا يعرفونني ".

الإصحاح السادس والثلاثون

انفصال ماء الأردن ليسوع

ثم جاز يسوع الأُردن مع الأسود في حضور الشعب كلّه، فأنفصل ماء الأُردن عن يمينه وعن يساره. وعندها قال يسوع للأسود، بحيث كانت كلماته مسموعة من الجميع: " أذهبي بسلام ولا تؤذي أحداً؛ أنما لا يؤذينَّك أي أنسأن حتى تكوني قد عُدْت إلى الموضع الذي خرجت منه ". وعادت الأسود إلى مأواها، مسبَّحة إياه ليس بصيحاتها فقط، بل أيضاً بوقفة أجسادها، ورجع يسوع نحو أُمه.

الإصحاح الثالث والثلاثون

معجزة تمدد الخشب

وكان يوسف نجاراً وكان يشتغل الخشب، صانعاً أنياراً للثيران ومحاريث وأدوات خاصة بزراعة الأرضي، وأسرَّةً خشبيَّةً؛ وحدث أن شاباً طلب منه يوماً سريراً طوله ستة أذرُع. فأمر يوسف صبياً بقطع خشب بمنشار حديدي بحسب القياس الذي أُرسل إليه. فلم يتقيَّد هذا الأخير بالتوصية التي أُعطيت له، بل صنع أحد الخشبتَين أقصر من الأخرى. وبدأ يوسف يضطرب ويفكِّر بما عليه أن يفعله في هذا الصدد. وحين رآه يسوع يتصبَّب عرقاً على أثر قلقه، تحدَّث إليه لتعزيته وقال له: " تعال، لنأخُذْ طرفَي قطعَتي الخشب ولنضعْهما إلى جانب بعضهما بعضاً، ولنسحَبْهما نحونا؛ فنستطيع هكذا جعلهما متساويتَين ". فأطاع يوسف هذه النصيحة، **لأنه كان يعلم أن يسوع كان يستطيع أن يفعل كلّ ما يريد**. وتناول قطعتَي الخشب من طرف وركَّزهما إلى جدار، وأطال يسوع قطعة الخشب الأقصر، جاذباً إياهما من الجهة الأخرى، وجعلها مساويةً للأطول. وقال ليوسف: " أذهَبْ واعمَلْ واصنَعْ ما وعدت بانجازه ". فصنع يوسف ما وعد به.

الإصحاح الثامن والثلاثون

موت المعلَّم الذي ضرب يسوع

وسأل الشـعب يوسف ومـريم إرسـال يسـوع ليـدرس الأحـرف في المدرسة. فلم يرفضا

القيام بذلك، وتبعاً لنصيحة الشـيوخ، قـاداه إلى معلَّم، ليهذَّبه في العلم الإنساني، وعندها بـدأ المعلَّم تعليمه بطريقة متصـلَّفة، قـائلاً لـه: " قُل ألْفا ". فقـال يسـوع: " قُـلْ لي أولاً ما هي بيْتـا، فـأقول لك من بعد ما هي ألْفا ". فضرب المعلَّم يسوع، غاضباً، وما أن ضربه حتى مات.

وعاد يسوع إلى البيت إلى أُمه. ونادى يوسف مـريم مرتعشـاً وقـال لها: " اعلمي أن نفسي حزينة حـتى المـوت بسـبب هـذا الطفـل. فمن الممكن أن يضرب أحدهم هذا الطفل بخبث ويمـوت ". فقـالت مـريم، مجيبــةً يوســف: " يا رجل الله لا تصــدَّقْ أن ذلك لا يمكن أن يحــدث. صدَّقْ بـالأحرى بثقة أن الـذي أرسـله بين البشر يصـونه من كـلّ خبث، ويحفظه باسمه في منأى من الشر ".

الإصحاح التاسع والثلاثون

سجود معلَّم آخر ليسوع

ثم سأل اليهود مريم ويوسف اصطحاب الطفل بملاطفاتها إلى معلَّم آخر ليتهـذَّب. فقـاده يوسف ومـريم ثانيـةً إلي المدرسـة، خـائفَين من الشعب، ووقاحة الأمراء، وتهديدات الكهنة، **عالمَين أنه لا يسـتطيع أن يتعلّم شيئاً من أنسأن طالما أنه أخذ عن الله وحده العلم الكامل.** وعندما دخل يسوع المدرسـة، يقـوده الـروح القـدس، تنـاول الكتاب من يد المعلّم الذي كـان يـدرَّس الشـريعة، وأمـام الشـعب كلّه الذي كان يراه ويسمعه، وأخذ يقـرأ، لا ما كـان مكتوبـاً في الكتـاب، بل كان يتكلّم بروح الله الحي كان سيلاً من المـاء من نبع جـار وكـان النبع كان يظل مملوءاً أبداً. وكان يعلَّم الشعب هكذا عظمة الله الحي، فخـرَّ المعلَّم أرضاً وسجد له. وكانت جماعة الشـعب الحاضـرة والـتي كـانت تسمعه يتكلّم هكذا، مذهولة. وعندما علم يوسف بذلك، جاء راكضاً نحو يسوع، خائفـاً أن يمـوت المعلّم. وإذ رآه المعلّم قـال لـه: " لم تُعطـني تلميذاً بل معلَّماً، فمَنْ يستطيع الصمود أمام كلامه؟ " عندها تمَّ ما قاله صاحب المزامير: " أن نهر الله امتلأ ماءً. لقد هيَّأت طعامهم، فكـذا هي تهيئته ".

الإصحاح الأربعون

قيامة يوسف الغني

ثم مضى يوسف مع مـريم ويسـوع ليقصـدوا كفر نـاحوم، المدينة البحرية، مبتعدين هكذا

بسبب خبث الناس الذين كـانوا أعـداءه. وحين كـان يسـوع يسـكن في كفر نـاحوم، كـان في المدينة رجل اسـمه يوسف كـان غنيـاً جـداً. لكنه رزح تحت وطأة مرض، وكـان ممـدَّدا ميتـاً على سـريره. فقـال يسـوع ليوسف، وقد سمع في المدينة قوماً يبكون ويُطلقـون صـيحات عظيمة على أثر الحزن الذي كان يسبَّبه لهم ذلك المـوت: " لمَ لا تُنجد بعطفك مَنْ يحمل اسمك نفسه ". فأجاب يوسف: " أي قدرة لي وأي إمكانيات أملك لأقدم له خدمةً كهذه؟ "

وقال يسوع: " خُذ الكفن الـذي فـوق رأسـك، وامض، وضـعْه على وجه الميت، وقُـلْ لـه: ليمجَّدك المسـيح! وعلى الفـور يشـفي، وينهض من فـوق سـريره ". وإذ سـمع يوسف هـذه الكلمـات، ومضى راكضـاً ينفَّذ أوامر يسـوع، ودخل مـنزل الميت، ووضع على وجهه الكفن الـذي كـان يضعه عل رأسه، وقال للميت الذي كـان يرقد على سـريره: "ليمجَّدْكَ يسوع! " وعلى الفور نهض الميت من فوق سـريره. وكـان يبحث عمَّنْ كان يسوع.

الإصحاح الحادي والأربعون

شفاء يعقوب ابن يوسف

وخرجـوا من كفر نـاحوم ليـذهبوا إلى مدينة تُـدعى بيت لحم، وكـان يوسف في بيته مع مــريم، ويســوع كــان معهمــا. وذات **يــوم نــادى يوسف إليه ابنه البكر، يعقوب**، وأرسله إلى بستان الخضــار لجمع خضــار من أجل صــنع حســاء. **وتبع يســوع أخــاه يعقــوب إلى البستان،** ولم يكن يوسف ومـريم يعلمـان بـذلك. وفيما كـان يعقـوب يجمع خضاراً، خرجت أفعى من جحرها ولسعت يد يعقوب، فأخذ يصرخ على أثر الألم العظيم الذي كان يشـعر بـه. وكـان يقـول بصـوت ملـؤه المــرارة، وهو على وشك الغشـيان: " وا أسـفاه! وا أسـفاه! أن أفعى خبيثة جداً جرحتني في يدي ". فهرع يسـوع الـذي في جهة أخـرى نحو يعقوب، وقد سمع شكواه، وأمسك بيده، ولم يفعل شيئاً آخر سـوى أنه نفخ في يد يعقوب وأنعشها. وعلى الفور شفي يعقوب، وماتت الأفعى. وكـان يوسف ومـريم يجهلان ما حصـل، لـذا ركضا إلى البسـتان، وقد سـمعا صـوت يعقـوب وبـأمر من يسـوع، فوجـدا الأفعى ميتة ويعقـوب معافي تماماً.

الإصحاح الثاني والأربعون

يسوع الأوّل إلى المائدة

وعنــدما كــان يوسف يــأتي لتنــاول وجباته **مع أبنائه يعقــوب، ويوسـف، ويوحنـا، وسـمعان وابنتَيه**، كـان يسـوع ومـريم أمه يجتمعان مع أختها مريم، ابنة كليوبـاس، الـتي أعطاها الـربّ الإله لأبيها كليوباس ولحنة، أمها، لأنهما قدَّما للربّ مريم، أُم يسوع. ومـريم دُعيت باسم مريم نفسه لتقوم مقام تعزية لأبويها. وعنـدما كـانوا يجمتعمـون، كان يسوع يقدَّسهم ويباركهم، وكان يبدأ أولاً الأكل والشــرب. ولم يكن أيٌ منهم يجـرؤ على الأكـل، والشـرب، والجلـوس إلى المائـدة، وكسر الخبز، إلى أن يكون قد فعل أولاً هذه الأمور، مقدَّساً إيـاهم. وإذا كـان غائباً صدفةً، كانوا ينتظـرون إلى أن يكـون قد فعل ذلـك. وحين لا يريد المشـاركة في الطعـام، لم يكن يوسـف، ومـريم، وإخوته أبنـاء يوسف يشـاركون فيـه. وكـان إخوته وحياته أمـام أعينهم كمشـاعل، يراقبونه ويخشَونه. وحين كان يسوع ينام، سواء نهاراً، وسواء خلال الليـل، كـان نور الله يسطع عليـه. له كـلّ تسـبيح ومجد إلى أبد إلى الآبـدين! آمين، آمين.



الفصل الثامن

إنجيل الطفولة العربي

وهو كتاب عـربي كتبه مجموعة من المـؤلفين. وقد نشر أولاً باللغة العربية مع ترجمة لاتينية في 1697م، ولكن أصله السـرياني واضح من ذكر عصر الإسـكندر الأكـبر في الإصـحاح الثـاني، ومن معرفة الكـاتب بــالعلوم الشــرقية، ومن معرفة الصــبي يســوع وهو في مصر بالفلك والطبيعيات. ويرجع انتشار استخدام هـذا الإنجيل المنحـول عند العـرب والمصـريين قـديماً إلى أن أهم المعجـزات المـذكورة فيه يفـترض أنها حدثت في أثناء وجوده في مصر. ويقول هذا الإنجيل المنحول (أصـحاح 7)ـ أن المجوس قاموا برحلتهم إلى بيت لحم بناء على نبـوة لزرادشت عن ولادة المسيا.

ويتكون هذا الكتاب، إنجيل الطفولة العربي، من ثلاثة أجزاء:

(1) ميلاد الطفل يسـوع وهو مبـني على إنجيلي مـتى ولوقا القـانونيين إلى جانب إنجيل يعقوب التمهيدي.

(2) معجـزات يفـترض أنها حـدثت أثنـاء الرحلة إلى مصـر، وهي مبنية على تقاليد محلية قديمة، تقوم العذراء فيها بالدور الرئيسي.

(3) معجـــــــزات للطفل يســـــــوع، مبنية على إنجيل الطفولة لتوما الإسرائيلي.

كما يتضـمَّن القسم الأوسط منه قصص من عـدة أسـاطير شـرقية مثيرة ويرى الكثير من العلماء أن لغته الأساسية هي السريانية وتــرجم منه إلى العربية في ثلاث روايات. الشخصية الرئيسـية فيه هي السـيدة مـريم لا يسـوع. وكـان هـذا الكتـاب واسع الانتشـار في شـبه الجزيـرة العربية وكـانت قصصه منتشـرة بين المسـيحيين العـرب بشـكل واضح ومـــؤثر جـــدا لدرجة أنه تم نقل القصص المروية منه كروايـــات ليس لطفولة المســـيح فحسب بل أن ما ذكر فيه عن معجـــزات لطفولة المسيح صارت هي معجـزات المسـيح الرئيسـية عند البعض، مثل خلق طير من طين وغيرها. وفيما يلي نص هذا الكتاب:

" باسم الآب، والابن، والروح القدس، الإله الواحد.

نبدأ بمعونة الله العليّ القـدير ومسـاعدته، كتابة معجـزات مخلِّصـنا، وربنا وربنا يسـوع المسـيح، المـدعو إنجيل الطفولـة، في سـلام الـرب. آمين.

(1) يسوع تكلَّم في المزود:

نجد في كتاب رئيس الكهنة يوسف في زمن يسوع المسيح (ويدعوه البعض قيافا)، حيث يقول أن يسوع تكلَّم حين كان موضوعاً في مزوده وقــال لأمه الســيدة مــريم: أنا الــذي ولدتــه، أنا يســوع، ابن اللــه، الكلمة،كما أعلن لك الملاك جبرائيل، وأن أبي أرسلني لخلاص العالم.

(2) زمن السيدة مريم يحلّ:

في السنة 304 من تاريخ الإسكندر، أصدر أغسـطس أمـراً بـأن يتم تسجيل كلّ واحد في مدينة مولده. فقام يوسف إذاً واخذ السيدة مريم خطيبته، وأتى إلى أورشليم، وأتى إلى بيت لحم ليســجل مع عائلته قي المكان الذي وُلد فيـه، وعنـدما وصلا إلى قـرب مغـارة، قـالت السـيدة مــريم ليوسف أن زمن ولادتها حــلَّ وأنها لا تســتطيع الــذهاب حــتى المدينـة. " وقـالت، لنـذهب إلى هـذه المغـارة ". وكـانت الشـمس في لحظة الغيـاب. فأسـرع يوسف في طلب امـرأة لتكـون بـالقرب منهـا، والتقى بامرأة إسرائيلية عجوز كانت آتية من أورشليم، فقال لها تعـالي يا عزيزتي المرأة: " أدخلي هذه المغارة حيث تجـدين امـرأة في لحظة

3 - المغارة ساطعة بنور فائق:

وبعد غياب الشـمس، وصل يوسف مع المـرأة العجـوز إلى المغـارة ودخلا. فــإذا بالمغــارة ممتلئة بــأنوار أكــثر جمــالا من نــور المصــابيح والشموع وأكثر روعة من نور الشمس. وكان الطفـل، ملفوفـاً بأقمطة وراقـداً في مـذود، يرضع من ثـدي السـيدة مـريم أمـه. وظل الاثنـان مصعوقَين دهشةً لمرأى ذلك النـور، وسـئلت العجـوز السـيدة مـريم: " أأنت أم هذا الطفـل؟" وإذ أجـابت السـيدة مـريم بالإيجـاب، قـالت لها العجوز: " أنت لا تشبهين بنات حواء "، وردَّت السيدة مـريم: " كما أن ليس هناك أحد بين بني البشر شبيهاً بابني، كـذلك أمه لا نظـير لها يبن كل النساء ". وعندئذ قـالت المـرأة العجـوز: " يا سـيَّدتي، أتيت لأتلقى عطية تدوم إلى الأبد ". فأجابتها سـيدتنا السـيدة مـريم: " ضـعي يـديك على الطفل ". وعندما فعلت

المرأة العجوز ذلك، شفيت على الفور، وحين خـرجت، كـانت تقـول: " منذ هذه اللحظة، سأكون أمَةَ هذا الطفـل، وسـأنذرَ نفسي لخدمته كـلّ أيام حياتي ".

4 - الاحتفال بمجد الله:

وجاء الرعاة وعندما أشـعلوا النـار، وكـانوا مبتهجين بدرجة عظيمـة، ظهر لهم جنود السموات، يسبحون ويمجـدون الله العلي، وعنـدما كـان الرعاة يسبحون مثلهم صـارت المغـارة في ذلك الـوقت مثل هيكل في العالم العلوي، حيث كان الملوك السماويون والأرضيون يحتفلون بمجد

الله ومدائحه لأجل ميلاد الربّ يسوع المسيح. ولما رأت المرأة العجـوز الإسرائيلية هذه الآيـات البـاهرة حمـدت اللـه، قائلـةً: " أشـكرك، يا إله إسرائيل، لأن عينَي رأتا ميلاد مخلّص العالم ".

5 - زمن الختان:

وعندما حل زمن الختان، أي اليوم الثامن، وهو الفترة الـتي يجب أن يُختَن فيها الوليد، بحسب الناموس، ختناه في المغارة، وأخـذت المـرأة العجــوز الإســرائيلية قطعة الجلد (أو بحسب آخــرين، حبل الوليــد)، ووضـعتها في إنـاء من المرمر ملئ زيت نـادرين عـتيق. وكـان لها ابن يتـاجر بـالعطور،فأعطته ذلك الإنـاء، وهي تقـول: " لا تـبيع هـذا الإنـاء المليء من عطر نادرين، حتى لو عرضوا عليك فيه ثلاثمائة دينار ". هذا هو الإناء الذي اشـترته السـيدة مـريم الخاطئة وسـكبته على رأس ربنا يسوع المسيح وقدمَيه، ماسـحةً إياهما بشـعرها. وبعد عشـرة أيـام من ميلاده، حملا الطفل إلى أورشليم وعند مـرور أربعين يـوم على ميلاده، حملاه إلى الهيكل ووضعاه أمام الرب، وقدموا عنه الذبائح الـتي أمـرت بها شريعة موسى، حيث قيل: " كل طفل ذكر يفتح رحم يُدعى قـدوس الله ".

6 - سمعان الشيخ والطفل:

ورأى سـمعان الشـيخ الطفل يسـوع سـاطعاً ضـياءً مثل عمـود نـور وعندما كانت السيدة مريم أمه العذراء تحمله بين ذراعَيها وتشعر بفرح شـديد، كـان جمع من الملائكة يشـكّل دائـرة حولـه، مسـبِّحاً بحمـده ومرافقاً له، كما يقف حراس الدنيا إلى جوار الملـك. واقـترب سـمعان بسرعة من سمعان من السيدة مريم باسطاً ذراعيه أمامها وهو يقـول للربّ يسوع،

مقترباً بمسارعة من السيدة مريم وباسـطاً يدَيه نحوهـا: " الآن يا ربّ، تطلق عبدك، حسب قولك، بسلام، لأن عيني رأتا خلاصك الـذي أعددته لكل الشعوب نـورا لكل الأمم ومجـدا لشـعبك إسـرائيل ". وكـانت حنة النبيَّة حاضرةً أيضاً، فشكرت الله، ودعت السيدة مريم بالمباركة.

7 - قدوم المجوس:

وحدث عندما ولد الربّ يسوع في بيت لحم اليهودية، في زمن الملك هـيردوس، جـاء مجـوس من المشـرق إلى أورشـليم، كما تنبَّأ بـذلك زرادشـت، وكـانوا يحملـون معهم هـدايا، ذهبـاً ولبانـاً ومـرّاً، وسـجدوا للطفل وقـدموا له هــداياهم. ثم أخــذت الســيدة مــريم إحدى قطع القماش التي كان ملفوفاً بها الطفل وأعطتها المجـوس الـذين تقبَّلوها عطيَّةً لا متناهية القيمة. وفي تلك السـاعة بالـذات، ظهر لهم ملاك في

هيئة نجم سبق أن أهداهم، فمضَوا مستنيرين بنـوره إلى أن عـادوا إلى وطنهم.

8 - " هذا هو الحق ":

وجـاء إليهم الملـوك والأمـراء إلى التحلُّق وسـألوهم عما رأَوه وعما فعلـوه، وكيف ذهبـوا وكيف عـادوا، ومـاذا احضـروا معهم. فـأراهم المجـوس قطعة القمـاش الـتي أعطتهم إياها السـيدة مـريم؛ ثم أحيَـوا احتفالاً، وأشعلوا نـاراً بحسب عـادتهم، وسـجدوا لقطعة القمـاش تلـك، ورمَـوا بقطعة القمـاش تلك في النـيران، فأحـاطت بها النـيران. وإذ خمـدت النـار، سـحبوا منها قطعة القمـاش كاملـةً ورأوا أن النـيران لم تـترك عليها أي أثـر. وعندئذ اخـذوا يقبِّلونها ويضـعونها على رؤوسـهم وعيونهم، قائلين: " هـذا هو الحق بالتأكيـد! ما هو إذاً ثمن هـذا الشـيء الذي لم تستطع النار التهامه، ولا إتلافه؟" وإذ التقطوه، وضعوه بإجلال عظيم في خزائنهم.

9 - هروب العائلة إلى مصر:

وجمع هيرودس الكهنة والعلمـاء، وقد لاحظ أن المجـوس لم يعـودوا إليه، وقال لهم: " أعلموني أين يجب أن يولد المسيح ". وعندما أجابوه بـان ذلك في بيت لحم، مدينة اليهوديـة، بـدأ هـيرودس يـدبِّر قي فكـره قتل الربّ يسوع. عندما ظهر ملاك ليوسف في

نومه، وقال له: " قُمْ، خُذ الطفل وأُمه، واهرُبْ إلى مصر ". وعند صياح الديك، قام يوسف ومضى.

10 - سقوط الأوثان:

وفيما كان يفكّر في الطريق التي يجب أن يسلك فيهـا، حـلَّ النهـار، بعد أن سلك طريق قليلة جداً. وكـان يقـترب من مدينة كبـيرة كـان بها وثن تقدم له الأوثان الأخرى والآلهة المصرية عطايا ونـذور، وكـان يقف أمام هذا الوثن كـاهن يخدمه حيث كـان شـيطان مـارد غالبا ما يكلمه من هذا الوثن، ويخبره عن سكان مصر وأراضيهم. وكـان لهـذا الكـاهن ابنا في الثالثة من عمره يسيطر عليه عدد كبير من الشـياطين؛ وكـان يتنبَّأ ويعلن أشـياء كثـيرة، وحين كـانت الشـياطين تسـيطر عليـه، كـان يمزَّق ثيابه، ويركض عارياً تماماً في المدينة، راشـقاً النـاس بالحجـارة. وكـان مـأوى تلك المدينة قـرب ذلك الـوثن؛ وعنـدما وصل يوسف والسـيدة مـريم وحلا في ذلك المـأوى، اسـتولى الـذعر على السـكان، وتحلّق الأمراء وكهنة الأوثان كلّهم حول ذلك الوثن، سـائلينه: " من أين هذا الذعر العام، وما هو سبب هـذا الهلع الـذي اسـتولى على بلادنـا؟ " فأجاب الوثن: " هذا الرعب حمله إله مجهـول هو الإله الحقيقي، وليس

احد سواه يليق به التكريم الإلهي، فهو ابن الله الحق. وعند اقترابه زلزلت هذا الأرض، وصدمت وارتعبت، ونحن نشعر بخوف عظيم بسبب سلطانه ". وفي تلك اللحظة سقط ذلك الوثن وتحطّم وكذلك الأوثان الأخرى التي كانت في البلاد، ودفع سقوطها سكان مصر كلّهم إلى الهلع.

11 - شفاء شخص به مس شيطاني:

لكن ابن الكاهن، حين هاجمه الشر الذي كان عرضةً له، دخل مأوى، وكان يشتم يوسف والسيدة مريم، والآخرون كلّهم هربوا؛ وفيما كانت السيدة مريم تغسل أقمطة الربّ يسوع، وتعلّقها على عصا طويلة، أخذ شخص به مس شيطاني أحد تلك الأقطمة ووضعه على رأسه، فشوهدت غربان وحيتان تبتعد. وشفي الطفل حالاً بقدرة الرب يسوع المسيح، وأخذ يُنشد تسابيح للربّ الذي خلّصه ويقدّم إلف حمد لله. وحين رأى أبوه انه شفي، صاح وهو ملئ بالإعجاب: " يا بُنَيَّ، ماذا حدث لك، وكيف شفيت؟" فأجاب الابن: " حين كانت

الشياطين تعذّبني، دخلت مأوى، فوجدت هناك امرأة عظمية البهاء كانت مع طفل، وكانت تعلّق على عصا طويلة أقطمة غسلتها؛ فأخذت واحداً منها ووضعته على رأسي فهربت الشياطين على الفور وتركتني ". فامتلأ الأب فرحاً وصاح: " يا بُنَيَّ، قد يكون هذا الطفل ابن الله الحي الذي خلق السماء والأرض، وما أن مرَّ قربنا، حتى تحطّم الوثن، وسقطت تماثيل كلّ آلهتنا، ودمَّرتها قوة تفوق قوتها ".

12 – خوف يوسف ومريم من المصريين:

وهكذا تمت النبوّة القائلة: " من مصر دعوت ابني ". ولما علم يوسف والسيدة مريم أن ذلك الوثن انقلب وتحطّم، استولى عليهما خوف وهلع، وقالا لبعضهما البعض: " حين كنا في ارض إسرائيل، أراد هيرودس إهلاك يسوع، ولذا أمر بقتل كلّ أطفال بيت لحم وجوارها، ونخشى أن يُحرقنا المصريون أحياءً تماماً، لأنهم علموا أن ذلك الوثن سقط.

13 - ارتعب اللصوص وهروبهم:

ثم رحلا وصلا إلى قرب مأوى لصوص كانوا يجرَّدون المسافرين الذين كانوا يمرّون قربهم من ثيابهم وحوائجهم ويجرّونهم بعد أن يوثقوهم بالقيود. فسمع هؤلاء اللصوص ضجة عظيمة شبيهة بالتي لموكب ملك خارج من عاصمته على صوت الآلات الموسيقية، يحرسه جيش عظيم ومركبات كثيرة، وعندئذ تركوا هناك في ذعرهم كلّ غنيمتهم وسارعوا في الهروب. وعندما نهض الأسرى، وحطموا قيود

بعضـهم البعض وهمُّوا بالابتعـاد، بع أن اسـتعادوا أمتعتهم، وعنـدما رأوا يوسف والسيدة مريم يقتربان، سـألوهما: " أين هو الملك الـذي أرعب موكبه، بجَلْجَلَته، اللصوص حتى هربوا ونجونـا؟" فأجـاب يوسـف: " انه يتبعنا ".

14 - شفاء امرأة شيطانية:

تم أتيا إلى مدينة أخـرى كـان فيها امـرأة بها مس شـيطاني، عنـدما كانت تذهب لاسـتقاء المـاء خلال الليـل، تسيطر عليها الـروح العاصـية والنجسـة. ولم تكن تسـتطيع احتمـال أي لبـاس، ولا السـكن في أي منزل، وفي كلّ المرات الـتي كـانوا يوثقونها بقيـود أو بسلاسـل، كـانت تحطّمها وتهـرب عارية إلى الأمـاكن القفـر؛ وكـانت تقف على الطـرق وقرب القبور،

وتلاحق مَنْ تصادفهم بالحجـارة، حـتى كـانت سـبب حـزن شـديد لأهلها مبعث. ورأتها السـيدة مـريم، فأدركتها الرحمـة، وعلى الفـور فـارق الشيطان تلك المـرأة، وهـرب في هيئة شـاب، وهو يقـول: " الويل لي بسببك، يا مـريم، وبسـبب ابنـك!" وحين تخلّصت تلك المـرأة مما كـان يسبَّب عذاباتها، نظـرت حولهـا، وخجلت من عريهـا، وذهبت نحو أهلهـا، هاربةً من مرأى الناس، وبعدما ارتدت ثيابها، روت لأبيها وأهلها ما حدث لها، وكانوا في عـداد السـكان الأرقى في المدينـة، فاستضـافوا عنـدهم يوسف والسيدة مريم، مبدين لهما احتراماً عظمياً.

15 - شفاء بكماء:

وفي الغـد، انطلق يوسف والسـيدة مـريم، وفي المسـاء وصلا إلى مدينة أخـرى حيث كـان يُحتفَل بعـرس؛ ولكن، بسـبب مكائد الشـيطان الملعون وتعازيم بعض السَّحرة، كانت الزوجة قد صـارت بكمـاء، حـتى أنها لم تعد تسـتطيع فتح فمهـا. وحين دخلت السـيدة مـريم حاملـةً في ذراعَيها ابنها، الربّ يسوع، لمحتها تلك المرأة التي فقدت النطق وعلى الفور بسطت يدَيها نحو يسوع، وحملته في ذراعيها وضمَّته إلى صـدرها وأشبعته ملاطفـةً. وعلى الفـور تحطَّم الوثـاق الـذي كـان يلجم لسـانها وانفتحت أذناها، وبدأت تمجِّد الله الـذي شـفاها وتشـكره. وكـان هنـاك تلك الليلة فرح عظيم بين سكان تلك المدينة، لأنهم كانوا يعتقدون بـأن الله وملائكته نزلوا بينهم.

16 - طرد الروح الملعونة:

وأمضى يوسف والسـيدة مـريم ثلاثة أيـام في ذلك الموضـع، حيث احتُرمهما النـاس كثـيراً وعاملوهما بعظمـة. وإذ كانا مـزوَّدين بمؤونة لسفرهما، رحلا وذهبا إلى مدينة أخرى، ولما كانت مزدهرة وآهلة، أرادا

قضاء الليل فيها. وكان في تلك المدينة امرأة نبيلة، وعندما كانت تـنزل ذات يوم إلى النهر لتغتسل، أنقضت عليها الروح الملعونة، وظهـرت لها في هيئة حيَّة، والتفَّت حول بطنها، وكانت كلّ ليلة تتمدَّد عليها. وعنـدما رأت تلك المرأة، وهي على هـذا الحـال، السـيدة مـريم والـربّ يسـوع الذي كانت تحمله إلى صدرها، توسلت إلى العذراء القديسة أن تسـمح لها بحمل ذلك الطفل وتقبيله. فوافقت السيدة مريم على ذلك، وما أن لمست تلك المـرأة الطفـل، حـتى فارقها الشـيطان وهـرب، ومنذ ذلك الوقت لم تراه

تلك المرأة ثانيةً. وسبَّح كلّ الجيران الربّ وكافأتهم تلك المرأة بسـخاء كبير.

17 - شفاء برصاء:

وفي الغد، أخذت تلك المرأة نفسها ماءً عَطراً لغسل الطفل يسوع، وبعد غسله، احتفظت بذلك المـاء. وكـانت هنـاك صـبيَّة جسـدها مكسو برصاً أبيض؛ فاغتسلت بذلك الماء، وشفيت حالاً. وكان الشـعب يقـول: " لا شك في أن يوسف والسيدة مريم وهذا الطفل هم آلهـة، فلا يمكن أن يكونـوا بشـراً عـاديين ". وحينما تهيَّأ للرحيـل، اقـتربت منهما تلك الفتاة، التي شفيت من البرص، ورجتهما أن يسمحا لها بمرافقتهما.

18 - شفاء طفل أبرص:

ووافقا على ذلك فـذهبت معهما ووصـلوا إلى مدينة حيث قصر أمـير جبّار، ولم يكن ذلك القصر بعيداً عن مأوى. فقصـدوه، وعنـدما اقـتربت الصبيَّة من زوجة الأمير، وجدتها حزينةً وتزرف الدموع؛ وعنـدما سـألتها عن سبب كآبتها. أجابتها هذه الأخـيرة: " لا تدهشي لرؤيـتي مستسـلمةً للأسى؛ فأنا فريسة مصـيبة عظيمة لا أجـرؤ على روايتها لأي إنسـان ". وردَّت الصبيَّة سريعاً: " إذا اعترفت لي بما هو مصابك، فربما تجدين له عندي الدواء ". فقالت لها امـرأة الأمـير: " لا تبـوحي بهـذا السر لأحـد. لقد تزوجت أميراً يمتد سلطانه، مثل سلطان ملك على أقطار واسـعة، وبعـدما عشت معه طـويلاً، لم يُـرزَق مـني بـأي نسـل. وأخـيراً حبلت، لكنني وضعتُ طفلاً أبرصَ؛ وبعدما رآه، لم يشأ الاعتراف به من صُـلبه، وقال لي: " أقتلي هـذا الطفل أو أعطه لمرضـعة تربَّية في موضع بعيد حتى لا يسمع به أبداً. واستردي مالك، لأنني لن أراك ثانية أبـداً ". لهـذا استسلم للألم نائحة على المصبية التي أصـابتني، وأبكي زوجي وطفلي ". فأجابتها الصبية: " ألَمْ أقل لك أن عنـدي حقـاً الـدواء الـذي وعـدتك به؟" أنا أيضاً أصبت بالبرص، لكنني شـفيت بفضل من اللـه، الـذي هو يسـوع، ابن السـيدة مـريم ". وعنـدما سـألتها المـرأة أين هو ذلك الإله الذي تتحدَّثين عنه، أجابت الصـبيَّة: " انه في هـذا المـنزل بالـذات حيث

نحن. فردَّت الأميرة سـريعاً: وكيف يمكن أن يحـدث ذلـك، أين هـو؟ ". فأجابتها الصبيَّة: " ها هما يوسف والسيدة مـريم، والطفل الـذي معهما هو يسوع، وهو الذي شـفاني من آلامي. فقـالت المـرأة وبـأي وسـيلة، استطاع

- 137 -

شفاءك؟" ألَنْ تقولي لي ذلك؟" فأجابت الصبيَّة: " لقد أخـذت من أُمه مــاءً أغتسل به وســكبته على جســدي فــاختفي برصي ". وهنا نهضت زوجة الأمير واستقبلت يوسف والسـيدة مـريم في بيتهـا، وأعَـدَّت لهما وليمة رائعة دُعي إليها جمع غفير. وفي الغد، أخذت مـاءً عطـراً لتغسل الربّ يسوع، وغسلت بالماء نفسه ابنها الذي حملته معها، وعلى الفــور شفي ابنها من برصه. وعندئذ أخذت تُنشد تسابيح الله، وتحمـده قائلـة: " طـوبى للأم الـتي ولـدتك، يا يسـوع! أن المـاء الـذي رش به جسـدك يشفي البشر الذين هم من أبناء جنسك ". وقدمت للسيدة مريم هــدايا نفيسة وصرفتها معاملةً إياها بإجلال عظيم.

19 - زوال سحر عن زوج:

ثم جاءا إلى مدينة أخرى كان عليهما قضاء الليل فيها. وذهبا إلى عند رجل كــان متزوِّجــاً منذ حين، لكنــه، لم يكن يســتطيع التمتُّع بامرأته بسبب إصابته برقية مؤذية؛ لكنّهما حين أمضيا الليل بـالقرب منـه، زال الســحر. وحين طلع النهــار، تمنطقا لاســتئناف المســير، لكن الــزوج منعهما من ذلك وأعد لهما وليمة كبرى.

20 - مأساة ثلاث نساء:

وفي الغد رحلا، وفيما كانا يقتربان من مدينة أخـرى، رأيا ثلاث نسـاء يبتعدن عن قبر وهن يذرفن دموعاً غزيرة. ولما لمحتهن السـيدة مـريم قالت للصبية التي كانت ترافقهما: " إسـأليهن من هن وما هو المصـاب الـذي حل بهن ". لكنهن لم يقـدمن جوابـاً على السـؤال الـذي طرحته عليهن الصبية، بل أخذن يسألنهم من جهتهن، قـائلات: " من أنتم، وإلى أين تـذهبون؟ فالنهـار يميل والليل يتقـدَّم ". فأجـابت الصـبيَّة: " نحن مســافرون ونبحث عن مــأوى نقضي فيه الليل ". فــرددن ســريعاً: " رافقونا وامضـوا الليل عنـدنا ". وتبعـوا أولئك النســاء، ودخلـوا مـنزلاً جديداً، مزيناً ومجهزاً بأثاث مختلف. وكان ذلك في موسم الشتاء، ولما دخلت الصبية غرفة أولئك النساء، وجدتهن لا يزلن يبكين وينحن، وكـان إلى جـانبهن بغـل، مكسو بغطـاء حريـري، وموضـوع أمامه عَلَـف، وكن يُطعمنه ويقبِّلنه. عندها قالت الصبية: " آه يا معلّمتي، كم هو جميل هذا البغل"، فأجبن باكيات: " هذا البغل الذي ترينه هو أخونــا، وولد من أمنا نفســها. لقد تــرك لنا أبونا ثــروات طائلة ولم يكن لنا ســوى هــذا الأخ الوحيد

الذي كنا نسعى إلى تأمين زواج مناسب لـه. لكن هنـاك نسـاء تسـيطر عليهن روح الحسد رمَينه بسـحر، بغـير علمنـا، وذات ليلـة، قبل بـزوغ النهـار بقليـل، وأبـواب منزلنا مُقفلـة، وجـدنا أخانا وقد تحـول إلى بغل وكما ترينه الآن. فلبثنا مستسلمات للحزن، إذ لم يعد لدينا أبونا ليعزّينا؛ واستشرنا كلّ العلماء في العالم وكلّ الرُّقاة وكـلّ السَّـحرة ولجأنا إلى الجميع، ولم يستطع واحد منهم أن يفعل شيئاً من أجلنـا. لـذا، في كـلّ المرات التي يعتصر الحزن قلوبنا، ننهض ونمضي مع أمنا هذه، إلى قبر أبينا، وبعد أن نبكى هناك، نعود ".

21 - عودة الشباب إلى طبيعته:

وعندما سمعت الصبيَّة هـذه الأمـور قـالت: " تشجَّعن وتـوقفن عن البكاء، فدواء آلامكن قريب، وهو معكن وفي وسط مسكنكن؛ لقد كنت برصاء، لكنني بعدما رأيت هذه المرأة وهـذا الطفل الصـغير الـذي معها والذي يُسَمى يسوع، وبعدها سـكبتُ على جسـدي المـاء الـذي غسـلته أمه بـه، شـفيت. إنـني أعلم أيضـاً انه يسـتطيع وضع حد لمصـابكن؛ إنهضن، واقتربن من السيدة مريم، وبعد مرافقتها إلى عندكن، بحن لها بالسر الـذي أفصـحتن لي عنـه، متوسَّـلات إليها الرأفة بكن ". وعنـدما سمعت أولئك النسـاء كلمـات الصـبيَّة هـذه، سـارعن إلى الـذهاب إلى جوار السيدة مريم واصطحبنها إلى عندهن وقلن لها باكيات: " يا سيدة مريم، معلّمتنا، ارحمي خادماتك، فعائلتنا محرومة من ربَّها وليس لـدينا أب أو أخ أو من يخـرج أمامنـا. هـذا البغل الـذي ترينه هو أخونـا، وقد حوّلته نساء، برُقاها المؤذية، إلى هذا الحـال. نرجـوك إذاً أن تـرأفي بنا ". وعندئذ رفعت السـيدة مـريم الطفل يسـوع، وقد أدركتها الرحمـة، ووضعته على ظهر البغل وكانت تبكي، كما النساء، قـالت: " واأسـفاه! يا بُنَيَّ إشف هذا البغل بتـأثير من سـلطانك العظيم واجعَـلْ هـذا الرجل يسـتعيد العقل الـذي حُرِمَه ". وما كـادت هـذه الكلمـات تخـرج من فم السـيدة مـريم حـتى اسـتردَّ البغل على الفـور الشكل البشـري وظهر بقسمات شاب جميل، ولم يبـقَ أي تشـوُّه. وهـو، وأمه وأختـاه سـجدوا للسيدة مريم، ورافعين الطفل فوق رؤوسهم، قبَّلـوه قـائلين: " طـوبى لأمـك، يا يسـوع، ملّخص العـالم! طـوبى للعيـون الـتي تتمتَّع بسـعادة حضورك ".

22 - عرس وفرح:

وقالت الأُختان لأُمهـا: " أن أخانا اسـتردَّ شـكله الأول، بفضل تـدخُّل الربّ يسوع والمشورة

الطيبة لهـذه الصـبيَّة الـتي نصـحتنا بـاللجوء إلى السـيدة مـريم وابنهـا. والآن، بما أن أخانا ليس متزوَّجاً، نرى أن من المناسب أن يـتزوَّج هـذه الصبيَّة ". وعندما قدَّمن هذا الطلب ووافقت عليه، أعددن لهذا العـرس عدَّة رائعة، وتحوَّل الألم فرحاً وحـلَّ الضـحك مكـان البكـاء، ولم يفعلن سوى الابتهاج والغنـاء في شـدَّة رضـاهن، متحلّيـات بثيـاب بديعة وحليّ ثمينة. وكن في الوقت نفسه يسبَّحن اللـه، قـائلات: " يا يسـوع، يا ابن اللـه، الـذي حـوَّل حزننا رضـىً ونحيبنا صـيحات حبـور!" ومكث يوسف والسيدة مريم عشـرة أيـام في ذلك الموضـع؛ ثم رحلا مفعمَين بآيـات احـترام كـلِّ تلك العائلـة، الـتي بعـدما ودَّعتهـا، عـادت باكيـةً، والصـبيَّة خصوصاً ذرفت دعوماً.

23 - لصّا اليمين والشمال:

ثم وصلا إلى قـرب صـحراء، وإذ قيل لهما أن لصوصـاً يعيثـون فيها فساداً، استعداً لعبورها خلال الليل. وإذ بهما يلمحان فجأة لصَّين نائمين وقربهما مجموعة من اللصـوص الآخـرين كـانوا رفـاق هـذَين الـرجلَين، وكـانوا أيضـاً غـارقين في النـوم. وكـان اسم هـذَين اللصَّـين تيطـوس ودومــاخوس. وعندئــذ، قــال الأول للآخــر: " أرجــوك أن تــدع هــذَين المسافرَين يذهبان في سلام، خوفاً من أن يلمحهما رفاقنا ". وإذ رفض دوماخوس ذلك له تيطوس: " إقبَلْ مـني أربعين دراخمة وخُـذْ حـزامي رهنـاً ". وقدَّمه له في الـوقت نفسـه، راجيـاً إيـاه ألا ينـادي وألا يُطلق الإنذار. وقالت السيدة مريم لهـذا اللص؛ وقد رأته مسـتعداً جـداً لتأدية خدمة لهما: " ليحمك الله بيمينه ويمنحك مغفرة خطاياك ". وقال الربّ يسوع للسيدة مـريم: " بعد ثلاثين عامـاً، يا أمي، سيصـلبني اليهـود في أورشليم، وهذان اللصان سيُعلقان على خشبة إلى جانبَيَّ، تيطوس إلى يميني ودومـاخوس إلى شـمالي، وذلك اليـوم سـيتقدَّمني تيطـوس إلى الفـردوس ". وعنـدما تكلّم هكـذا، أجابته أمـه: " ليبعد الله عنك مصـاباً كهــذا يا بُنَي" ورحلا من ثمَّ تجــاه مدينة مليئة بالأوثــان، وعنــدما كانا يقتربان منها، استحالت كومة رمل.

24 - تفجُّر نبع في المطرية:

ثم أتيا شجرة جمَّيز تُدعى اليوم مَطَرِيَّة، ففجَّر الربّ يسوع في ذلك الموضع نبعاً غسـلت فيه السـيدة مـريم قميصـها. والبلسم الـذي ينُتجه ذلك البلد آت من العَرَق الذي سال من أطراف يسوع.

25 - لقاء فرعون:

وعندئذ قصداً ممفيس، وبعدما لقيا فرعون، مكثا ثلاثة أعوام في مصر، وصنع الربّ يسوع هناك كثيراً من الآيات، غير المدوَّنة في انجيل الطفولة ولا في الإنجيل الكامل.

26 - العودة إلى اليهودية:

وبعد ثلاثة أعوام غادرا مصر، وعادا إلى اليهودية، وعندما أصبحا قريبَين منها خشي يوسف دخولها، لأنه علم للتو أن هيرودس مات وخلفه ابنه أرخيلاوس؛ لكن ملاك الله ظهر له وقال: " يا يوسف، إمض إلى مدينة الناصرة وأقمْ فيها مسكنك ".

27 - أمراض بيت لحم:

وعندما وصلا إلى بيت لحم، ظهرت هناك أمراض خطيرة وصعبة الشفاء، كانت تضرب عيون الأطفال ويموت بها كثيرون. وكان لامرأة ابن على وشك الموت بذلك المرض، فحملته إلى السيدة مريم، فوجدتها تحمي (تغسل) الربّ يسوع. فقالت هذه المرأة: " أيتها السيدة مريم، أنظري ابني الذي يتألم بمرارة ". ولما سمعتها السيدة مريم قالت لها: " خُذي قليلاً من هذا الماء الذي غسلت به ابني واسكبيه على ابنك ". وصنعت المرأة كما نصحتها السيدة مريم، فنام ابنها، بعدما اضطرب جداً، وعندما استيقظ، وجد نفسه متعافياً تماماً. وذهبت المرأة إلى السيدة مريم وهي ممتلئة فرحاً فقالت لها: " أحمدي الله لشفائه ابنك ".

28 - شفاء طفل ثان:

وكان لهذه المرأة جارة ابنها مصاب بالمرض نفسه وكانت عيناه مغلقتَين تقريباً؛ وكان يصرخ ويبكى ليل نهار. فقالت لها التي شفي ابنها: " لمَ لا تحملي ابنك إلى السيدة مريم كما حملت إليها ابني عندما كان على وشك الموت، وشفي بهذا الماء الذي استحمَّ به

يسوع؟" فذهبت هذه المرأة الثانية أيضاً تأخذ من هذا الماء، وبمجرد أن سكبت منه على ابنها شفي حالا. وجاءت بابنها في صحة تامة إلى السيدة مريم، التي نصحتها بحمد الله وعدم رواية ما حدث له لأحد.

29 - عقوبة الغيرة:

وكان في المدينة نفسها امرأتان متزوَّجان من رجل واحد، ولكلٍّ واحدة ابن مريض. وكان اسم واحدة مريم وابنها كَليوباس هذه المرأة قامت وحملت طفلها إلى السيدة مريم، أم يسوع، وقدَّمت لها عباءة جميلة جداً، وهي تقول لها: " يا سيدة مريم، أقبلي مني هذا العباءة، وفي المقابل، أعطني أحد أقمطتك ". ووافقت السيدة مريم على ذلك

وصنعت أُم كليوباس من هذا القماط قيمصاً ألبسته ابنها. فـألفي نفسه معافي ومات طفل غريمتها في اليوم نفسه، ونشأت من ذلك اختلافات كبيرة بين هـاتَين المـرأتين؛ وكانتا تقومـان، كـلٌّ بـدورها، خلال أسـبوع، بالأعمال المنزلية، وعندما جاء دور مريم، أم كليوبـاس، كـانت منشـغلة بتحمية الفـرن للخَـبز، وإذ احتـاجت إلى طحين، خـرجت، تاركة طفلها قرب الفرن. وإذ رأت غريمتها أن الطفل كان وحيـداً، حملته وألقته في الفرن المشتعل وهربت. ولما عادت مريم، كانت دهشـتها عظيمة حين رأت طفلها في وسط الفرن حيث كان يضحك، لأن الفـرن بـرد فجـأةً، كما لو أنه لم يُحَمَّ أبداً، وارتابت بـان غريمتها رمته هنـاك. فسـحبته منه وحملته إلى العـذراء مـريم، وروت لها ما حـدث. فقـالت لها السـيدة مريم: " اصمتي، لأنني أخشى عليك إنْ أذعت هذه الأمـور ". ثم راحت الغريمة تستقي من البئر، وإذ رأت كليوباس يلعب قربهـا، ولم يكن في الجوار أي مخلوق بشـري، حملته وألقته في البـئر. ورأى رجـال قـدموا للتزود بالماء، الطفل جالساً من دون أي أذى، على صـفحة المـاء، ولما نزلـوا حبـالاً، سـحبوه ملأهم إعجـاب بهـذا الطفل إلى حد أنهم أدَّوا له الإكرام نفسه كما لإله. وحملته أمه باكيةً إلى السيدة مريم وقالت لهـا: " يا معلَّمتي، أنظري ما فعلت غريمـتي بـابني، وكيف أوقعته في البـئر. آه! سـوف تنتهي من دون شك إلى تسـبب موته ". فأجابتهـا: " أن الله يجازي الشر الذي ألحق بك ". وبعد أيام قليلـة، ذهبت الغريمة تسـتقى من البئر ماءً فأعـاق الحبل قـدمَيها، بحيث سـقطت في البـئر، وعنـدما هُرعوا لنجدتها، وجـدوا أنها حطَّمت رأسـها. ومـاتت بطريقة مشـؤومة، وتمَّ فيها قول الحكيم: " حفروا بئراً ورمَوا

التراب إلى فوق، لكنهم وقعوا في الحفرة التي حفرها ".

30 - شفاء برتلماوس:

وكان لامرأة أخرى من المدينة نفسها طفلان، مريضان كلاهما، واحد مات والآخر على وشك الموت؛ فأخذته على وشك المـوت؛ فأخذته أمه بين ذراعَيها وحملته إلى السيدة مريم ذارفة سيلاً من الـدموع، وقـالت لها: " يا معلَّمـتي، تعـالي لنجـدتي وأشـفقي عليَّ؛ كـان لي ابنـان، وقد فقـدت أحـدهما وأُعـاين الآخر لحظة موتـه. أنظـري كيف ألتمس رحمة الربّ ". وأخذت تصرخ: " يا ربّ، ملؤك الرأفة والرحمـة؛ لقد رزقتـني ابنَين، واسـتدعيت أحـدهما إليـك، فـاترُك لي الآخر على الأقل ". فأشفقت عليها السيدة مريم، شاهدةً على ألمها الشديد، وقالت لهـا: " ضـعي طفلك في سـرير ابـني وغطّيه بثيابه ". وحين وُضع الطفل في السـرير إلى جـانب يسـوع، انفتحت ثانيـةً عينـاه المطبقتـان بـالموت، وطلب خبزاً، منادياً أمه بصوت عال، وحين زُوَّد منه، أكله. عندها قـالت أمه: " يا سيدة مريم، أعـرف أن فضـيلة الله تسـكنك، إلى حد أن ابنك

يشفي الأطفـال بمجـرد أن يلمسـوه ". والطفل الـذي شـفي هكـذا هو برتلماوس نفسه المحكي عنه في الإنجيل ".

31 - شفاء برصاء:

وكـان في الموضع نفسه امـرأة برصـاء قصـدت السـيدة مـريم، أُم يسوع، وقالت لها: "يا معلّمتي، أشفقي عليّ ". فأجابتها السيدة مريم: " أي عون تطلبين؟ أذهبٌ أم فضـة، أم تريـدين الشـفاء من برصـك؟"، وردّت هـذه المـرأة سـريعاً: " مـاذا تسـتطيعين أن تفعلي من أجلي؟" فقالت لها السيدة مريم: " انتظري قليلاً حتى أكـون قد غسـلت طفلي ووضعته في سريره ". وانتظرت المرأة، وبعدما أرقدته، ناولت السـيدة مريم المرأة وعاءً مليئا بالمـاء الـذي غسـلت به طفلهـا، وقـالت لهـا: " خـذي قليلاً من هـذا، واسـكبيه على جسـدك ". وما أن فعلت المريضة ذلك، حتى وجدت نفسها متعافية، فحمدت الله.

32 - شفاء أميرة:

ثم مضت، بعدما لبثت ثلاثة أيام قرب السيدة مريم، وأتت إلى مدينة كان يقنطها أمير تزوَّج ابنة أمير أخر؛ لكنه عنـدما رأى امرأتـه، لمح بين عينَيها آثار البرص، في شكل

نجمة، فأعلن أن زواجهما كان باطلاً وغير شرعي. وإذ رأت هذه المرأة الأميرة مستسلمة لليأس، سألتها عن سبب دموعها، فأجابتها الأميرة: " لا تسأليني، فمصابي عظيم إلى درجة لا أستطيع معها البـوح به لأحد ". وألحت المـرأة للإطلاع عليـه، قائلـةً أنها قد تعـرف دواءً ما يوصف لـه. عندها رأت آثار البرص الظـاهرة بين عينَي الأمـيرة: " أنا أيضـاً، قـالت، أُصبت بهذا المـرض نفسه وقصـدت بيت لحم في عمـل. وهنـاك دخلت مغارة حيث رأيت امرأة اسمها السيدة مريم، ولها طفل يّـدعى يسـوع. فأشفقت عليَّ، إذ رأتـني مصـابة بـالبرص، وأعطتـني من المـاء الـذي غسلت به جسد ابنها. فسـكبتُ هـذا المـاء على جسـدي وشـفيتُ على الفور ". وعندئذ قالت لها الأميرة: " قومي وتعالي معي واريني السيدة مريم ". ومضَت إليها حاملةً هدايا نفيسة. وعنـدما رأتها السـيدة مـريم، قـالت: " لتحـلَّ عليك رحمة الـربّ يسـوع ". وأعطتها قليلاً من المـاء الذي غسلت فيه طفلها. وبمجـرد أن سـكبت الأمـيرة منه عليهـا، حـتى وجـدت نفسـها متعافيـة، فحمـدت الـربّ، كما حمد الـرب أيضـاً كـلّ الحاضرين. وإذ علم الأمير أن امرأته شفيت، استقبلها لديـه، وحمد الله محتفلاً بعرس ثان.

33 - صبيَّة يعذِّبها الشيطان:

وكان في المكـان نفسه صـبيَّة يعـذّبها الشـيطان؛ فقد كـانت الـروح الشريرة تظهر لها في شكل تنين عظيم يريد افتراسها؛ وكان قد امتصَّ كلّ دمها بحيث كـانت تشـبه جثّـة. وفي كـلّ المـرات الـتي كـان ينقضُّ عليها، كانت تصرخ، وتقول، ضـامَّةً يـديَها فـوق رأسـها: " الويـل، الويل لي، فما من أحد يمكنه إنقــاذي من هــذا التــنين المريع ". وكــان أبوها وأمها وكلّ الذين يحيطـون بهـا، وهم شـهود على شـقائها، يستسـلمون للحزن ويذرفون دموعاً، خصوصاً عندما كـانوا يرَونها تبكي وتصـيح: " يا أخـوتي وأصـدقائي، أليس هنـاك أحد ينقـذني من هـذا الـوحش؟"، وإذ سمعت ابنة الأمير التي شفيت من البرص، صوت هذه الشقيَّة، صعدت إلى سطح قصرها ورأتها، يداها مضمومتان فوق رأسـها، ذارفـةً دعومـاً غزيرة، وكان كلّ الذين يحيطـون بها في أسـىً عظيم. فسـألت عما إذا كانت أم الشخص الذي به مس شيطاني لا تزال حيَّة. وحين أجيبت بأن أباها وأمها كانا كلامها على قيد الحيـاة، قـالت: " اسـتدعوا أمها إلى ". وحين جاءت، سألتها: " أهي إبنتك الشخص الذي به مس شيطاني على هذه الصورة؟"، وإذ أجابت الأم بنعم، ذارفةً دعوماً، قالت ابنة الأمـير: " لا تبوحي بما سوف

أسـرُّ به إليـك؛ كنت برصـاء لكن السـيدة مـريم، أُم يسـوع المسـيح، شـفتني. إذا أردت أن تكـون لابنتك السـعادة نفسـها، فقوديها إلى بيت لحم، وتوسَّلي بإيمـان مسـاعدة السـيدة مـريم، واعتقد بأنك سـتعودين مملـوءةً فرحـاً لأن ابنتك سـتعود متعافية ". فنهضت الأم على الفـور، ومضت، وقصدت السـيدة مـريم، وعرضت لها الحـال الـتي كـانت فيها ابنتها. وبعـدما سـمعتها، أعطتها قليلاً من المـاء الـذي غسـلت فيه ابنها يسـوع، وقـالت لها أن تسـكبه على جسد الـتي بها مس شـيطاني. ثم أعطتها قطعةً من أقطمة الطفل يسوع، وقالت لها: " خذي هـذا وأريه لعدوَّك، في كلّ المرات التي ترينه فيها ". وثمَّ صرفها في سلام.

34 - هرب الشيطان:

وعندما عادتا إلى مدينتهما بعد مغادرتهما السيدة مريم، وعندما حـلّ الوقت الذي كان فيه الشيطان معتاداً على تعذبيها، ظهر لها في شـكل تنين عظيم؛ فاستولى الذعر على الصبيَّة، لمنظره، لكن أُمها قالت لها: " لا تخشي شيئاً، يا ابنتي، دعيه يقترب أكثر منك وأريه قطعة القمــاش هذه التي أعطتنا إياها السيدة مريم، وسوف نـرى مـاذا يمكنه أن يفعل ". وحين أصبحت الروح الشريرة، التي اتخذت شـكل ذلك التـنين قريبة جداً، وضعت المريضة، وهي ترتجف بشدة من الخوف، قطعة القمـاش على رأسها وبسطتها، وفجـأة خـرجت منها ألسـنة لهب كـانت تثب نحو رأس التنين ونحو عينَيه، وسُمع صوت يصرخ: " ماذا يوجد بيـني وبينـك، يا يسوع، ابن السيدة مريم؟ أين أجد ملاذاً ضـدك؟"، وهـرب الشـيطان

بــرعب، تاركــاً تلك الصــبيَّة، ومنذ ذالك الــوقت لم يعد يظهر لها أبــداً. وهكذا وجدت نفسها وقد شفيت، وحمدت الله معترفة بالجميل، وهكـذا أيضاً كلُّ الذين كانوا حاضرين عند حدوث هذه الأعجوبة.

35 - شفاء يهوذا الإسخريوطي:

وكان في تلك المدينة نفسها امرأة أخرى يعذب الشيطان ابنها. وكان اسمه يهوذا، وفي كلّ المرات التي كانت الروح الشريرة تسيطر عليـه، كـان يسـعى إلى عضّ من هم قربـه، ولما كـان وحـده، كـان يعضُّ يدَيه وأطرافـه. ولما سـمعت أمّ هـذا الشـقي بالسـيدة مـريم وابنها يسـوع، نهضـت، وحملت ابنها إلى السـيدة مـريم، ممسـكةً إيـاه في ذراعَيهـا. وأثناء ذلك كان

يعقـوب ويوسف قد قـادا الطفل إلى الخـارج ليلعب مع الآخـرين، وكانا جالسَين خارج المنزل ويسوع معهما. فـاقترب يهـوذا أيضـاً وجلس إلى يمين يسوع، وحين بدأ الشيطان يثيره كالعادة، سـعى إلى عضّ يسـوع، ولما لم يكن يسـتطيع الوصـول إليـه، كـان يوجّه إليه ضـربات في جنبه الأيمن، بحيث أخذ يسـوع يبكي. لكن الشـيطان خـرج من ذلك الطفل في تلك اللحظة، في هيئة كلب. وذلك الطفل كان يهوذا الإسخريوطي، الذي خان يسوع، والجنب الذي ضربه شقَّه اليهود بطعنة حربة.

36 - يسوع يحرِّك الصور:

وعندما أتمَّ يسوع عامه السابع، كان يلعب يوماً مع أطفال آخرين من عمره، وكانوا يتسلّون، ويصنعون من التراب المبلـول صـور حيوانـات متنوَّعة، ذئاباً، وحميراً، وطيوراً، وكان كلُّ واحداً متباهيـاً بعملـه، ويجتهد لرفعه فوق مستوى عمل رفاقه. عندها قال يسوع: " أنـني آمر الصـور التي صنعتها بالسـير، فتمشي ". ولما سـأله الأطفـال عما أن كـان هو ابن الخالق، أمر الربّ يسوع الصور بالسير فتقدّمت على الفـور. وحين كان يأمرها بالعودة، كانت تعود. وقد صنع صـور طيـور وعصـافير دوريّ كـانت تطـير حين يأمرها بـالطيران وتتوقّف حين يقـول لها أن تتوقّف، وحين كان يقّدم لها شـراباً وطعامـاً، كـانت تأكل وتشـرب. وحين غـادر الأطفـال، وروَوا لأهلهم ما رأوا، قـال لهم هـؤلاء: " ابتعـدوا من الآن فصاعداً عن مجلسه، فهو ساحر، وكفوا عن اللعب معه ".

37 - معجزة صبغ الأقمشة:

وذات يوم والربّ يسوع يلعب ويركض مع الأطفال الآخرين، مرَّ أمام دكان صبّاغ اسمه سالم؛ وكان في ذلك الدكان أقمشة ملك لعـدد كبـير من سكان المدينـة، وكـان سـالم يسـتعد لصـبغها بـألوان متنوّعـة. ولما دخل يسوع ذلك الدكان، تناول كلّ تلك ورماها في حوض ممتلئ بالنيلة

(صـبغة زرقــاء). ولما رأى ســالم الأقمشة تالفــةً اخذ يصــرخ، ويُطلق صيحات ويوبِّخ يسـوع، قـائلاً: " مـاذا فعلت، يا ابن السـيدة مـريم؟ لقد آذيتني أنا ومواطنيّ؛ فقد كان كلّ واحد يطلب لوناً مختلفـاً، وأنت جئت بغتةً، وأتلفت كلّ شئ ". فأجاب الربّ يسـوع: " أي قطعة قمـاش تريد تغيير لونها، أغيَّره ". وراح على الفور يسحب الأقمشة من

حوض النيلة، وكان كلّ منها مصـبوغاً بـاللون الـذي يـرغب فيه الصـبَّاغ. فعظَّم اليهود، شهود هذه المعجزة، قدرة الله.

38 - يسوع يساعد يوسف:

وكان يوسف يجوب المدينة كلّها، مصطحباً معه الربّ يسوع، وكـانوا يدعونه لصنع أبواب، أو غرابيل، أو خزائن، وكـان الـربّ يسـوع معه في كلّ مكان. وفي كلّ المرات التي كان يجب أن يكون العمل الذي يقــوم به يوسف أطول أو أقصر، أو أعرض أو أضيق، كان الربّ يسوع يبسط يده، فيغدو الشـيء على الفـور كما اشـتهاه يوسـف، بحيث انه لم يكن يحتاج إلى تهذيب شئ بيده.

39 - عرش الملك:

كان يوسف مـاهراً في مهنتـه. وذات يـوم، اسـتدعاه ملك أُورشـليم وقال له: " أُريد، يا يوسف، أن تصنع لي عرشـاً بحسب قيـاس الموضع الذي اعتدت الجلوس فيه ". فأطاع يوسف، وبدأ العمل على الفـور، ثم أمضى عامَين في القصر لصنع ذلك العرش. وعنـدما وضع العـرش في المكان الذي يجب أن يكون فيه، تبيَّن نقص طولَين في القياس المحدَّد من كل جهة. عندها غضب الملك على يوسـف، الـذي لم يسـتطع الأكل ونـام صـائماً، خائفـاً حنق الملـك. ولما سـأله الـربّ يسـوع عن سـبب خشيته، أجاب: " أن العمل الذي اشتغلت عليه عـامَين كـاملَين ضـاع ". فأجابه الـربّ يسـوع: " كُـفَّ عن خوفك ولا تيـأس؛ خُذ هـذه الجهة من العرش وأنا الأخـرى، لنجذبه إلى القيـاس الصـحيح ". ولما فعل يوسف ما أمره به يسوع، وشدَّ كلٌّ واحد بقوته من جهته، أطاع العرش وارتدى بالضبط القياس المطلوب. فأصيب الحاضرون بالـذهول، وقد رأوا هـذه المعجـزة، وبـاركوا اللـه. وكـان ذلك العـرش مصـنوعاً من خشب كـان موجوداً في عهد سليمان، ابن داود، وكان لافتاً بعقَـدة الممثَّلة أشـكالاً وصوراً متنوّعة.

40 - الأطفال الكباش:

وفي يوم آخر، مضى الـربّ يسـوع إلى السـاحة، ولما رأى الأطفـال مجتمعين ليلعبـوا، انضـمّ إليهم، لكن هـؤلاء أختبـأوا، لما لمحوه، فقصد الربّ يسوع باب منزل وسأل منزل

نساء كن واقفات عند المـدخل أين هم أولئك الأطفـال. ولما أجبنه بأنه لا يوجد واحد منهم في المـنزل، قـال الـربّ يسـوع لهن: " مـاذا تـرين تحت هذا العَقْد؟" فأجبن بأن تلك كبـاش في الثالثة من العمـر، فصـاح الربّ يسوع: " أخرجي يا كباش، وتعالي نحو راعيك ". وخـرج الأطفـال على الفور، متحولين كباشاً، وكانوا يقفزون حوله، وعنـدما رأت النسـاء ذلك استولى عليهن الرعب. وسجدن للربّ يسوع قـائلات: " يا يسـوع! يا ابن السيدة مريم، يا ربنا، أنت حقـاً راعي إسـرائيل الصـالح؛ أشـفقْ على خادماتك اللواتي هن في حضرتك واللـواتي لا يـرتبن، يا ربّ أتيت لتشفي، لا لتُهلك ". وإذ أجاب الرب يسوع بعد ذلك بـان أبنـاء إسـرائيل هم بين الشعوب مثل إثيوبيين، قالت النساء: " يا ربّ، أنت تعـرف كـلّ الأمور، ولا يفوت علمك اللامتناهي شئ؛ أننا نسألك ونأمل برحمتك، أن تشاء حقاً ردَّ هؤلاء الأطفال إلى شكلهم القـديم ". وعنـدما قـال الـربّ يسـوع: " تعـالَوا، يا أطفـال، لنـذهب ونعلب ". اسـتعادت تلك الكبـاش شكل الأطفال على الفور في حضور النساء.

41 - يسوع يتَّوج ملكاً:

وفي شهر آذار، جمع يسـوع الأطفـال وصـفَّهم باعتبـاره ملكهم: وقد بسـطوا ثيـابهم أرضـاً ليُجلسـوه عليهـا، ووضـعوا على رأسه إكليلاً من الزهـور، واصـطفوا إلى يمينه وشـماله كالأتبـاعُ الـذين يرافقـون ملكـاً. وعندما مرَّ أحدهم من هناك، كان الأطفال يوقفونه بالقوّة، ويقولون له: " تعال واسجُدْ للملك، لتفوز بسفر سعيد ".

42 - الطفل والحيَّة:

وفي أثنـاء ذلك وصل رجـالٌ يحملـون طفلاً على محَفَّة. وكـان ذلك الطفل في الجبل مع رفاقه ليحضر حطب، ولما عـثر على عشَّ حجـال (طائر) دسَّ فيه ليسحب منه البيض، لكن لسعته حيَّةً كـانت مختبئة في وسط العشَّ، فنادى أصحابه لنجدته. لكنهم حين وصـلوا وجـدوه ممـدَّداً على الأرض شـبه ميت؛ وعند ذلك جـاء قـومٌ من عائلتـه، ونقلـوه إلى المدينة، ولما وصـلوا إلى الموضع الـذي كـان الـربّ يسـوع جالسـاً فيه على العرش مثل ملك، كان الأطفال الآخرون يحيطون به بمثابة بلاطه، وهؤلاء ذهبوا لاستقبال الذين يحملون الطفل الذي لسعته الحية وقـالوا لهم: " تعالوا وحيّوا الملك ". ولما لم يشاؤوا الاقتراب بسبب

الحزن الذي كانوا يعانونـه، قـادهم الأطفـال بـالقوة. وحين مثلـوا أمـام الـربّ يسـوع، سـألهم لمـاذا يحملـون ذلك الطفـل؛ فأجـابوا بـأن حيَّةً لسعته، فقال الربّ يسوع للأطفال: " هيّا بنا ولنقتّلْ تلك الحيَّة ". وكـان أهل الطفل الذي كان على وشك المـوت، يتوسـلون الأطفـال الآخـرين

أن يدَعوهم يذهبون، لكن هـؤلاء أجـابوا: " أَلم تسـمعوا ما قاله الملـك: هيّا بنا ولنقتُل الحيَّة، وعليكم الامتثـال لأوامــره؟". وعلى الــرغم من معارضـتهم، أعـادوا المحَفَّة على أعقابهـا. وعنـدما وصـلوا إلى قــرب العشَّ، قال الربّ يسوع للأطفال: " ألا تختبئ الحيَّة هنـا؟" ولما أجـابوه هم بنعم، خرجت الحيَّة على الفور، وقد ناداها الـربّ يسـوع، وخضـعت له. فقال الربّ: " أذهبي وامتصَّي السمّ كلّه الذي نفثتيه في عروق هذا الطفل ". وعندئذ استعادت الحيَّة وهي تزحف السـمَّ كلّه الـذي تقيَّأتـه، وانشـقَّت على الفـور بعد ذلك ومـاتت، وقد لعنها الـربّ. ولمس الـربّ يسوع الطفل بيده، فشُفي. ولما أخذ يبكي، قال الربّ يسوع: " لا تبك، فستكون تلميذي ". وكـان ذلك الطفل سـمعان الكنعـاني المـذكور في الإنجيل.

43 - شفاء يعقوب:

وفي يـوم آخـر، كـان يوسف قد أرسل ابنه يعقـوب ليجمع الحطب، وانضمَّ إليه الربّ يسوع لمسـاعدته، ولما وصلا إلى الموضع الـذي كـان فيه الحطب، أخذ يعقوب يلتقط منـه، وإذا بـأفعى تلسـعه، فبـدأ يصـرخ ويبكي. ولما رآه الـربّ يسـوع في هـذه الحـال دنا منــه، ونفخ فــوق الموضع الذي لُسِعَ فيه، فشفي يعقوب حالاً.

44 - قيامة زينون:

وذات يوم، كان الربّ يسوع مع يلعب مع أطفال على سطح، فـترك أحد هؤلاء نفسه يسقط ومات على الفور. ولما وصل أهل الميت قـالوا للـربّ يسـوع: " أنت هو الـذي دفع ابننا من أعلى السـطح ". ولما انكر ذلك، ردَّدوا بصوت أعلى: " ابننا مات وها هو الذي قتله ". فأجاب الربّ يسوع: " لا تتهموني بجريمة لا تستطيعون تقـديم أي إثبـات عليهـا؛ إنما لنسأل هـذا الطفل ليَقُـلْ ما حقيقة الأمر ". ونـزل الـربّ يسـوع ووقف قرب رأس الميت وقال بصوت عـال: " يا زينـون، يا زينــون، مَنْ دفعك من أعلى السطح؟" فأجاب الميت: " يا

ربّ، لســتَ أنتَ ســبب ســقوطي، بل هو فلان مَنْ أســقطني ". وإذ أوصى الربّ الحاضرين بالانتباه إلى هذه الكلمات، حمد كلّ الذين كانوا حاضرين الله على هذه المعجزة.

45 - الماء في معطف يسوع:

وأمرت السيدة مريم ذات يوم الربّ يسوع بالذهاب للاستقاء من بئر. وعندما أدى هذا العمل، ورفع على رأسه الجرَّة وهي مملؤة، انكسرت. ومن ثم فقد بسط الـربّ يسـوع معطفه وحمل المـاء الـذي جمعه فيه إلى أمه، فصُعقَت إعجاباً، وكانت تحفظ في قلبها كلّ ما تراه.

46 - تيبُّس ابن حنون:

وفي يوم آخر، كـان الـربّ يسـوع يلعب عند حافَّة المـاء مع أطفـال آخرين، وقد شقُّوا قنوات ليُجـروا فيها المـاء، وقد كونـوا بركـاً صـغيرة، وصنع الربّ يسوع من التراب اثني عشر عصفوراً ووضعها حول بركته، ثلاثة من كلّ جهة. وكان اليـوم سـبت، فجـاء بغتة ابن حنـون، اليهـودي، وقال لهم وقد رآهم مشغولين هكذا: " كيف يمكنكم أن تصـنعوا صـوراً من الوحل يوم سـبت؟ " وأخذ يخـرِّب عملهم. وإذ بسط الطفل يسـوع يدَيه فـوق الطيـور الـتي صـنعها، طـارت مزغـردةً. وعنـدما اقـترب ابن حنون، اليهودي، من البركة التي حفرها يسـوع، ليخربهـا، اختفي المـاء، فقال له الربّ يسوع: " أنتَ ترى كيف جـفَّ هـذا المـاء؛ سـيحدث هـذا الأمر نفسه بحياتك ". وعلى الفور يبس الطفل.

47 - سقوط طفل:

وفي يوم آخر، وبينما الربّ يسوع يدخل مساءً مسكن يوسف، أصابه طفلٌ كان يركضُ نحـوه بصـدمة عنيفة إلى درجة أن الـربّ يسـوع وقع تقريبـاً، فقـال لـذلك الطفـل: " كما دفعتـني، أسـقُطْ ولا تنهض ". وفي الحال سقط الطفل أرضاً ومات.

48 - عند المعلَّم زكّا:

وكان في أُورشليم رجل، اسمه زكّا، كان يعلَّم الأطفال النشء. وكان يقول ليوسف: " لمَاذا يا يوسف، لا تُرسل إليَّ يسوع ليتعلَّم الحروف؟" ووافق يوسف على هذا الأمر،

واتفق مع السـيدة مـريم على ذلـك. وعندئذ قـادا الطفل إلى المعلَّم، ولما رآه هذا الأخير، كتب الألف باء وقال له أن ينطق ألـف. وحين فعل ذلك، طلب منه أن يقول بيْت. فقال له الربّ يسـوع: " قُـلْ لي أولاً ما معنى حرف ألف، وعندها انطق بيْت ". وكان المعلم يتهيّأ لتأديبـه، لكن الربّ يسوع أخذ يشـرح له معـنى حـرفي ألـفَ وبيْت وما هي الحـروف ذات الشـكل المسـتقيم، والحـروف المائلـة، والحـروف الصـوتية، والحروف المزدوجة، والحروف الـتي ترافقها نقـاط، وأخـيراً، الحـروف التي تفتقر إليها، ولمَاذا يتقدَّم هذا الحرف آخر، وأخيرا قال أشياء كثيرة لم يسمع بها المعلَّم أبداً ولم يقرأها في أي كتاب. وقال الـربّ يسـوع للمعلَّم: " انتبه إلى ما سـأقوله لك ". وأخذ يتلو بوضـوح وجلاء أَلَـف، بيْت، جيْميل، دالتْ، حتى نهاية الألف باء. وأعجب المعلَّم بـذلك، وقـال: " اعتقد أن هذا الطفل وُلد قبل نوح ". وأضـاف، ملتفتـاً نحو يوسـف: " لقد جئتـني بطفل لأُعملَّه، في حين أنه يعلم أكـثر من كـلّ الأحبـار ". وقال للسيدة مريم: " أن ابنك لا يحتاج إلى تعليمنا على الإطلاق ".

49 - عند معلَّم أعلم:

ثم قاداه إلى معلَّم أكثر علماً، وبمجرد أن لمحه، حتى سأله: " قل أَلف ". وعندما قال ألف، أمره المعلّم بأن ينطق بيْت. فأجابه الربّ يسوع: " قُلْ لي ماذا يعني الحرف ألف، وعندها أنطق بيْت ". فرفع المعلّم يده، غاضباً ليضربه، فيبست يده على الفور، ومات. عندها قال يوسف للسيدة مريم: " من الآن فصاعداً لا يجب أن نترك الطفل يخرج من البيت، فأي شخص يعارضه يسقط ميتاً.

50 - محاورة الأحبار والشيوخ والعلماء:

وعندما بلغ الثانية عشرة، ذهبا به إلى أُورشليم وقت العيد، ولما انتهي العيد، عادا؛ لكن الربّ يسوع بقي في الهيكل، بين أحبار أبناء إسرائيل وشيوخهم وعلمائهم، الذين كان يسألهم في نقاط علمية مختلفة، وبدوره، يجيبهم، وقد سألهم: " ابن مَنْ هو المسيح؟" فأجابوا: " انه ابن داود ". وأجاب يسوع: " لماذا إذاً يدعوه داود بالروح القدس ربَّه، قائلا: قال الربّ لربّي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك تحت قدميك ". عندئذ سأله أحد رؤساء الأحبار، قائلا: " هل قرأت الكتب المقدسة؟" فأجاب الربّ يسوع: " لقد قرأت

الكتب وما تحتويه "، وكان يشرح لهم الكتاب المقدّس، والشريعة، والوصايا، والقوانين، والأسرار التي تحتويها كتب الأنبياء، والتي لا يستطيع عقل أي مخلوق فهمها. وقال رئيس الكهنة: " لم أرَ أبداً ولا سمعت تعليماً كهذا؛ ماذا تفكرون بما سيكون عليه هذا الطفل؟".

51 - في علم الكواكب:

وكان هناك فيلسوف، عالم فلك، سأل الربّ يسوع عما إذا كان قد درس علوم الكواكب. وعرض يسوع مُجيباً إياه عدد الأفلاك والأجسام السماوية، وطبيعتها وتعارضاتها، وشكلها الثلاثي، والرباعي والسداسي، وسيرها وحركتها العكسية، وحساب الأعياد ودرس التأثيرات وأموراً في البشر وأموراً أخرى لم يسبْرها عقل أي إنسان.

52 - في الجسد والنفس:

وكان هناك أيضاً في ما بينهم فيلسوف عالم جداً في الطب والعلوم الطبيعيّة، وعندما سأل الربّ يسوع عما إذا كان قد درس الطب، عرض له الرب يسوع الفيزياء وما وراء الطبيعة، والفيزياء العليا والفيزياء السفلى، وخاصيَّات الجسم والسوائل ومفاعيلها، وعدد الأطراف والعظام، والإفرازات البولية، والشرايين والأعصاب، والأمزجة المختلفة، الحار والجاف، البارد والرطب، وما هي تأثيراتها؛ وما هي

أفعـال النفس في الجسـد، وأحاسيسـها وخاصـيَّاتها، وخصـائص الكلام، والغضب، والرغبة، والتجمُّع والتبعثر وأمـوراً أخـرى لم يسـتطع فكر أي مخلوق شرحها. عندها نهض ذلك الفيلسوف وسجد للربّ يسـوع قـائلاً: " يا ربّ، من الآن فصاعداً سأكون تلميذك وخادمك ".

53 - العودة إلى الناصرة:

وبينما كانوا يتحـدَثون هكـذا، جـاءت السـيدة مـريم بغتة مع يوسـف، وكانت أيـام تبحث عن يسـوع منذ ثلاثـة؛ ولما رأته جالسـاً بين الأحبـار، سائلا إياهم ومجيباً إياهم بالتتالي، قالت له: " يا بُنَيَّ، لمَ تصرفت هكـذا معنـا؟ أن أبـاك وأنا بحثنا عنـك، وغيابك سـبَّب لنا الكثـير من الألم ". فأجاب: " لماذا كنتما تبحثان عـني؟" ألا تعلمـان أنه ينبغي أن أبقى في بيت أبي؟" لكنهما لم يفهما الكلمـات الـتي وجَّهها إليهمـا. عندئذ سـأل الأحبار السيدة مريم إذا كان هو

ابنها، ولما أجابتهم بنعم، صاحوا: " أيتها المحظوظة السيدة مريم، التي ولدت طفلاً كهذا ". وعـاد معهما إلى الناصـرة، وكـان خاضـعاً لهما في كلّ الأمور. وكانت أمه تحتفظ بكل كلماته في قلبها. وكان الربّ يسـوع ينمو في القامة، والحكمة والنعمةً أمام الله و أمام الناس.

54 - كشف الرسالة:

ومنذ ذلك اليـوم بـدأ يحجب معجزاته وخفايـاه وأسـراه والاهتمـام بالناموس، إلى أن أتم عامه الثلاثين، وعنـدما أعلن أبـوه رسـالته علانية من أعلى السماء على ضفاف الأردن: " هذا هو ابني الحـبيب الـذي به سررت ". عندما ظهر الروح القدس في شكل حمامة بيضاء.

55 - " أعطانا الوجود والحياة ":

هذا هو الذي نعبده بأتضاع، لأنه الوجود والحياة، وأخرجنا من أحشـاء أُمهاتنا؛ واتخذ من أجلنا جسد الإنسان، وافتـدانا وغمرنا برحمته الأبديـة، ومنحنا وجوده بنعمته ومحبته. له المجد، والعزَّة، والمديح والسيادة إلى أبد الآبدين. آمين.

خاتمة إنجيل الطفولة كاملاً، بعون الله الأسمى، وفقاً لما نجد.



الفصل التاسع[1]
إنجيل مولد مريم

كُتب هذا الكتاب المنحول المُسمى بإنجيل ميلاد مريم أولاً باللاتينية، حوالي سنة 800م، وأن كان البعض يرى أن استخدامه بـدأ في القـرن السادس، كما كـان البعض يظن، ولمـدة طويلـة، أن كاتبه هو القـديس جيروم في القرن الخـامس. ويوجد منـه، الآن، حـوالي ثلاثمائـة وثلاثين مخطوطاً، ويعتمد في رواياته على نفس الأفكار والخطـوط الموجـودة في الجزء الأول من الكتاب الأبوكريفي المُسمى بإنجيل متى المنحول، وأن كان يختلف عنه في الأسلوب وزيـادة عـدد المعجـزات، وهـذا يـدل على أن كاتب هذا يختلف عن كاتب ذاك، فيقول هـذا الكتـاب إن مـريم العذراء غادرت الهيكل وهي في الرابعة عشرة من عمرهـا، بينما يقـول إنجيل متى المنحول، الذي يدعي أنه ابن مريم، إنها غـادرت الهيكل في الثانية عشرة من عمرها بعد أن عاشت فيه تسع سنين.

ويركز هذا الكتاب كثيراً على زيارة الملائكة للعـذراء القديسة مـريم يومياً أثناء مدة إقامتها في الهيكل. وكانت روايات هذا الكتاب منتشـرة بغزارة بين المسيحيين العرب في شـبه الجزيـرة العربية وأثـرت كثـيرا على الكتب والتفاسير الدينية، كما كـان لهـذا الكتـاب تـأثيراً كبـيراً في أوربا، خاصـة، في الأدب والفن في العصـور الوسـطى فأخذ منه كـاتب كتـاب " الأسـطورة الذهبية "، الـذي أنتشر بغـزارة في القـرن الثـالث عشر في أوربا قبل اختراع الطباعة، أفكاره عن هـذه الفـترة من حيـاة العذراء، ويبدوا أن بعض رواياته عن ميلاد العذراء، والمـذكورة أيضا في إنجيل متى المنحول، ترجع لتقاليد أقـدم حيث نجد الرواية السـائدة في الكنـــائس الروســـية والقبطية والســـريانية، لميلاد وطفولة العـــذراء متشابهة كثـيراً مع رواياتـه ومثيلاتها في الكتـاب المُسـمى بإنجيل مـتى المنحــول، وأن كــانت تخلــوا من المبالغــات الــتي وردت في هــذين الكتابين. وتتميز روايات هذا الكتـاب بخلوها من تـأثير الهرطقـات الـتي توجد في معظم الكتب الأبوكريفيــــة، ولكن ذلك لا ينفي أنه كتـــــاب أبوكريفي منحول.

الإصحاح الأول

يواقيم وحنة

نشأت الطوباوية والمعظَّمة مـريم الدائمة البتوليّـة، من سـلالة داود الملكية ومن عائلته، وُلـدت في مدينة الناصـرة، وتـربت في أورشـليم، في هيكل الربّ. وكان والدها يُسَمَّي يواقيم وأمهـا، حنـة. وكـانت عائلة أبيها من الجليل ومن مدينة الناصـــرة؛ ولكن عائلة أُمها كــانت من بيت

[1] نعتمد في هذه الفصل بصورة جوهرية على ترجمة الأستاذ اسكندر شديد من سلسلة الكنيسة في الشرق.

لحم. وكانت حياتهما بسيطة وبارَّة أمام الربّ؛ ورعة ولا عيب فيها أمام الناس، ولأنهما قسـما دخلهما كلَّه ثلاثة أقسـام، كانا يُنفقـان الأول على الهيكـل، والثـاني، يوزَّعانه على الغربـاء والفقـراء، ويحتفظـان بالثـالث لحاجاتهما وحاجـات عائلتهمـا. وهكـذا مضى نحو عشـرين عامـاً وهما يعيشان في بيتهما، عزيزين عند الله والناس، في زواج عفيف من دون أن يُرزقا أولاداً. وقد نـــذرا، إذا وهبهما الله نســلاً، أن يكرســاه لخدمة الربّ، وعلى هـذه النية اعتـادا التوجُّه إلى هيكل الـربّ في كل عيد من العام.

الإصحاح الثاني

التوجه بيواقيم

وحدث عندما اقترب عيد التكريس أن يواقيم صعد إلى أُورشـليم مع بعض الأفراد من سبطه،. وكان إيساشار(Issachar)، في ذلك الوقت، رئيساً للكهنـة. وعنـدما رأى يـواقيم حـاملاً تقدمته بين رفاقه الآخـرين، أبعده واحتقر هباته، سائلاً إيـاه كيف يجـرؤ، وهو الـذي لم ينجب نسـل، على الظهور أمام مَنْ ليسوا كذلك، وقـائلاً أن هباته لا يمكنها أن تكـون مَرْضيَّة عند الله، طالما أن الله قضى بأنه غير جـدير بـان يُـرزَق أولاداً؛ والتوراة تُثبت: ملعون مَنْ لم يلد ذكراً في إسـرائيل؛ وقـال أن ما على يواقيم إلا أن يبدأ أولاً بالاغتسال من وصمة تلك اللعنة بان يُـرزق ولـداً، وانه يستطيع من ثمّ المثول أمام الربّ مع تقدماته. فاعتزل يواقيم إلى جوار الرعاة الـذين كـانوا مع قطعانه في مراعيـه، يملأه الارتبـاك لهـذا التجريح المهين؛ لأنه لم يُرد العودة إلى بيتـه، خوفـاً من أن يُذله أفـراد سبطه الذين كانوا معه بالتجريح نفسه الذي سمعه من فم الكاهن.

الإصحاح الثالث

بشارة يواقيم

والحال هذه بعدما مرَّ بعض الوقت، ظهر له ملاك الربّ بنور عظيم، ذات يوم كان

وحده. وإذ أقلقته هذه الرؤيا، سكّن الملاك خوفه، قائلاً لـه: " لا تَخَـفْ، يا يـواقيم، ولا تقلق في حضـوري؛ فأنا ملاك الـربّ، وقد أرسـلني إليك لأُبشّرك بان صلواتك استُجبت، وان صَدَقاتك صعدت حـتى عرشـه. فقد رأى خجلك، وسمع التجريح بالعقم الذي وُجَّه إليك ظلماً. والحـال هـذه، أن الله يعـاقب الخطيئة لا الطبيعـة؛ لـذا عنـدما يجعل أحـداً ما عـاقراً، فليس ذلك إلا لتبيان آياته من بَعْـدُ وإظهـار أن الطفل المولـود هبة من اللـه، وليس ثمـرة شـهوة فاسـدة. أفلم تكن سـارة، أم قومك الأولى، عـــاقراً حـــتى الثمـــانين من عمرهـــا؟ ومع ذلك ولـــدت في آخر عهد الشيخوخة إسحق الموعـود ببركة الأمم كلّهـا. كـذلك راحيـل، المرَضـيَّة جداً عند الـربّ والمحبوبة للغاية من الرجل القـديس يعقـوب، ألم تكن عـاقراً زمنـاً طـويلاً، ومع ذلك ولـدت يوسـف، الـذي أصـبح سـيَّد مصر ومحرَّر أُمم عدة مشرفة على المـوت جوعـاً. وبين زعمـائكم، مَنْ كـان

أقوى من شمشون، أو أقدس من صـموئيل؟ ومع ذلك ألم يكن للاثـنين أمَّان عـاقران؟ فـإذا كـان العقل لا يقنعك بكلامي، فصـدق قـوة الأمثلة التي تُثبت أن حالات الحمل المؤجلّة طويلاً والولادات من عـاقر ليست إلا أروع في العـادة. هكـذا سـتلد امرأتك حنة ابنـةً، وستسـميَّها مـريم، وستكرَّسـها للـربّ منذ طفولتهـا، كما نـذرت ذلـك، وسـتكون مملـوءة بالروح القدس، حتى من أحشـاء أُمهـا. أنها لن تأكل ولن تشـرب شـيئاً نجساً؛ ولن تكـون لها أي علاقة بعامة الشـعب في الخـارج؛ بل سـتبقى في هيكل الربّ، خوفاً من إمكان الارتياب أو قول شيء ما مجحف في حقها. لذا، مع تقدمها في العمر، وكما أنها بنفسها ستولد من أم عــاقر، كذلك سـتلد هـذه العـذراء الـتي لا نظـير لها ابن العلّي، الـذي سـيُدعى يسوع، ويكون مخلّص الأُمم كلّها تبعاً لأصل هذا الاسم. وها هي العلامة الـتي تحصل عليها عن الأمـور الـتي أُبشَّـرك بهـا. حين تصل إلى البـاب الذهبي الموجود في أُورشليم، ستجد هنـاك حنة زوجتـك، الـتي سـتأتي لاستقبالك، والتي سيكون لها من الفـرح برؤيتك مقـدار ما كـان لها من القلق لغيابك ". وبعد هذه الكلمات، ابتعد عنه الملاك.

الإصحاح الرابع

بشارة حنة

ثم ظهر لحنة، زوجة يواقيم، وقال لها: " لا تخافي، يا حنة، ولا تخافي، يا حنة، ولا تظني بـان ما ترينه شـبح. فأنا الملاك نفسه الـذي حمل إلى حضـرة الله صـلواتك وصَـدَقاتك، والآن أنا مُرسل إليك لأبشَّـرك بـولادة ابنة لك، ستُدعى مريم، وتكون مباركة بين كلّ

النساء. وستكون ممتلئة بنعمة الـربّ بعد ولادتها على الفـور؛ وسـتبقى ثلاثة أعوام في الـبيت الأبـوي لتفُطَم؛ وبعد ذلك لن تخـرج من الهيكـل، حيث تُصـرَف لخدمة الـربّ حـتى سن الرشـد، خادمــةً الله ليل نهــار بصــيامات وتضــرُّعات؛ وســوف تمتنع عن كل ما هو نجس، ولا تعــرف رجلاً أبـداً، أنما وحـدها من دون مثيـل، من دون عيب، من دون فسـاد، هذه العذراء، من دون علاقة برجل، ستلد الربّ، مخلّص العالم بنعمتــه، باسمه وبعمله. انهضي إذاً، واذهـبي إلى أُورشـليم، وعنـدما تصـلين إلى الباب الذهبي، المُسمَّى هكـذا لأنه مُـذَهَّب، تحصـلين على علامة عـودة زوجك الذي تُقلقك حاله الصحية. وحين تحدث إذاً هـذه الأمـور، اعلمي أن الأمور التي أُبشَّرك بها ستتم بالتأكيد ".

الإصحاح الخامس

ولادة مريم

وامتثلا إذاً لأمر الملاك هما الاثنـان، فصـعدا إلى أُورشـليم، منطلقَين من المكــان الـذي كانا فيـه. وعنـدما وصلا إلى الموضع المعيَّن بنبـوءة الملاك، وجدا نفسهما هناك الواحد قبالة الآخر. عندها سبَّحا كما يتوجب عليهما الربّ الذي يرفع المتَّضـعين، فـرحَين معـاً برؤية بعضـهما بعضـاً ثانيةً ومطمئنَّين بيقين النَّسل الموعود. لذا عادا إلى بيتهمـا، وقد سـجدا

للربّ، حيث انتظرا بثقة وفـرح الوعد الإلهي. وحبلت حنة إذاً، ووضـعت ابنةً، وتبعاً لأمر الملاك، دعاها أبواها باسم مريم.
الإصحاح السادس
العذراء في الهيكل
وعندما انقضى أجَل الثلاثة أعوام وتمَّ زمن فطامها، رافقا إلى هيكل الربّ تلك العذراء مع تقدمات. والحال هذه، كـان حـول الهيكل عشـرة درجة ينبغي صعودها، وفقاً لمزامـير الـدرجات الخمسة عشـر. فبما أن الهيكل كـان مبنيـاً على جبـل، كـان ينبغي صـعود درجـات للـذهاب إلى مــذبح المحرقة الــذي كــان خارجــاً. وقد وضع الأبــوان إذاً الصــغيرة الطوباوية العـذراء مـريم على الدرجة الأولى. وفيما كانا يخلعـان ثيـاب السفر ويرتديان أجمل منها وأنظف تبعاً للعـادة، صـعدت عـذراء الـربّ الـــدرجات كلّها واحــــدةً واحــــدةً من دون أن تُعطي اليد لاقتيادها أو عضـدها، بحيث أن بـذلك وحـده كـان من الممكن الاعتقـاد بأنها بلغت عمراً ممتازاً. فقد كان الربّ يصـنع أمـوراً عظيمة منذ طفولة عذرائـه، ويُري مسبقاً بهذه الآية

مــــاذا ســـــيكون جلال الروائع الآتيـــة. وإذ احتفلا بالذبيحة إذاً بحسب الشـريعة، ووفَيا بنـذرهما، أرسـلاها إلى داخل الهيكل لـتربى هنـاك مع العذارى الأخريات، وعادا إلى بيتهما.
الإصحاح السابع
القبول بنذر مريم
والحال هذه، كنت عـذراء الـربّ وهي تتقـدَّم في العمـر، تتقـدَّم في الفضيلة، وفقاً لتعبـير صـاحب المزامـير، " أبوها وأمها تخلَّيا عنهـا، لكن الله اعتنى بها ". فكلّ الأيام كـان يزورها الملائكـة، وكـلّ الأيـام كـانت تتمتَّع بالرؤيا الإلهية الـتي كـانت تحفظها من كل الشـرور وتُسـبغ عليها كل الخــــيرات. لــــذا بلغت الرابع عشر من دون أن يتمكّن ليس فقط الأشرار من اكتشاف شيء يستحق اللوم فيها، بل وكل الخيِّرين الــذين كانوا يعرفونها كانوا يجدون حياتها وطريقة تصرُّفها جديرتَين بالإعجـاب. عنـدها أذاع رئيس الكهنة علانيـةً أن العـذارى اللـواتي يُـرَبَّين بعناية في الهيكل واللواتي بلغن هذا العمر مكتملاً العودة غلى بيوتهن للزواج تبعاً لعادة الأمة ونضج العمر. وإذ أطـاعت الأخريـات هـدا الأمر مسـارعات، كانت عذراء الربّ، مريم، الوحيدة التي أجابت بأنها لا تستطيع التصرُّف على هذا النحو، وقـالت: " أن أبوَيها لم ينـذراها فقط لخدمة الـربّ، بل أنها أيضاً كرَّست للربّ عذريتها التي لم تكن تريد أبداً انتهاكها بــالعيش مع رجل ". واســـــتولى على رئيس الكهنة قلق عظيم، فلم يكن يعتقد بان من الواجب مخالفة نذرها (وهو ما سيكون ضد التوارة، التي تقول: " أنذروا وأدُّوا")، ولا أن من الواجب المجازفة بإدخال عادة غــير جارية لــدى الأمــة؛ فـأمر بـان يكـون رؤسـاء أورشـليم والمواضع المجـاورة موجودين في الاحتفال المقبل، من اجل ان يُعـرَف عـبر المجلس مـاذا

يجب أن يُفعَل في حـال استشـارة الله في ذلـك. وانشـغل الجميع إذاً بالتضرُّع، مَثَلَ رئيس الكهنة تبعاً للعادة لاستشـارة اللـه. وسـمع الجميع على الفور صوتاً خرج من وسيط الوحي ومن مكان الاستعطاف، قـائلاً أن من الواجب، تبعـاً لنبـوءة اشـعياء، البحث عن احد ما ينبغي أن يُعهَد بهذه العذراء إليه وتُزَفَّ إليه. فمن المعروف أن اشعياء قال: " ستخرج عـذراء من أصل يَسّـى، ومن هـذا الأصل ترتفع زهـرة يحـلُّ عليها روح الربّ، روح الحكمة والفطنة، روح المشورة والقوة، روح العلم والورع، وستكون مملوءة بروح مخافة الربّ ". وأمر رئيس الكهنة إذاً، اسـتناداً إلى هذه النبوءة بان يحمل كلُّ من البـالغين وغـير المـتزوَّجين من بيت داود ومن عائلته قلماً إلى المذبح، فسوف يُعهد بالعذراء

وتُـزَوَّج مَنْ قلمـه، بعد أن يُحمَـل، يُنبت زهـرةً، وعلى رأسه يحـلُّ روح الربّ في هيئة حمامة.

الإصحاح الثامن

الحمامة على رأس يوسف

وكان بين أعضاء بيت داود وعائلته، رجل كبير السن، اسمه يوسـف، وفيما كـان الجميع يحملـون قلمهم تبعـاً للأمر المُعطى، هو وحـده خبّأ قلمه. لذا ظنّ رئيس الكهنة بأن من الـواجب استشـارة الله مجـدَّداً، إذ لم يظهر شئٌ موافـقٌ الصوتَ الإلهي، فأجـاب الـربّ بـأن مَنْ يجب أن يتزوج العذراء كان الوحيد من كل الذين اختيروا الـذي لم يحمل قلمـه. واكتُشف يوسف إذاً. فحين حمل قلمـه، وحلَّت على رأسه حمامـة، آتية من السـماء، غـدا واضـحاً للجميع أن العـذراء يجب أن تُـزَوَّج منـه. وإذ احتفل بالخطوبة تبعـاً المألوفـة، عـاد إلى مدينة بيت لحم، لـترتيب بيته وتجهيز الأمور الضـرورية للعـرس. لكن عـذراء الـربّ، مـريم، مع سـبع عـذارى أُخريـات من عمرها ومفطومـات معهـا، تلقَّتهنَّ من الكـاهن، رجعت إلى الجليل إل بيت أبوَيها.

الإصحاح التاسع

السلام الملائكي والبشارة

والحال هذه، في تلك الأيـام، أي في أول زمن وصـولها إلى الجليـل، أرسل إليها الله الملاك جبرائيل ليبشِّرها بأنها ستحبل بالربّ ويشرح لها طريقة الحمل ونظامه. وإذ دخل نحوهـا، ملأ الغرفة الـتي كـانت تمكث فيها بنور عظيم، وقال لها، مسلِّماً عليها باحترام عظيم:

" السـلام عليـك، يا مـريم، يا عـذراء الـربّ، المَرْضـيّة جـداً عند اللـه، الممتلئة نعمةً؛ الربّ معك؛ مباركة أنت فوق كلّ النسـاء، مباركة فـوق كل الرجال المولودين حتى الآن ". والعذراء الـتي كـانت تعـرف جيـداً وجـوه الملائكة، والتي كانت معتادةً النـور السـماوي، لم تـرتعبْ لرؤية ملاك، ولا دهشت لسطوع النور، لكن خطابه وحده أقلقهـا، وتسـاءلت عما يمكن أن يكون هذا السلام الخارق جـداً، وما يعنيه أو أي خاتمة ينبغي أن تكـون لـه. فقال لها الملاك، مُلهَماً إلهياً، ومواجهاً هذه الفكـرة: " لا تخـافي يا مـريم،

كما لو أنـني أُخفي بهـذا السـلام أمـراً ما مناقضـاً لعفّتـك. فعلى رغم انك عذراء، سوف تحبلين بلا خطيئة وتلدين

- 159 -

ابناً. وسيكون هذا عظيمـاً، لأنه سيسـود من البحر حـتى البحـر، ومن النهر حتى أطـراف الأرض. وسـوف يُـدعى ابن العلّي، لأنه بولادته مُتَّضـعاً على الأرض سيملك عظيماً في السماء. وسيعطيه الربّ الإله كرسيَّ داود أبيه، ولن يكـــون لملكه انقضـــاء. انه هو نفسه ملك الملـــوك وربّ الأربـــاب، وسيدوم عرشه إلى أبد الآبدين ". وصدَّقت العـذراء كلمـات الملاك هـذه. لكنها أجابت، راغبـةً في معرفة الطريقـة: " كيف يمكن لـذلك أن يحصـل، فكما أنـني لن اعـرف رجلاً، وفقـاً لنـذري، كيف أسـتطيع أن ألد من دون التوقف عن أن أكون عذراء؟" فقال لها الملاك رداً على ذلك: " لا تظني، يا مـريم، بـان عليك أن تحبلي بطريقة بشـرية. فسـوف تحبلين مع بقائك عذراء، من دون علاقة بأي رجل؛ وعذراءَ، تُرضعين. فالروح القدس سيحلّ فجـأةً فيـك، وقـوة العليّ تظلّلك ضد كل احتـدامات الـدنس. فقد وجـدت حظـوةً أمـام الـربّ، لأنك آثـرت العفّـة. لـذا مَنْ يولد منك سـيكون وحـده قدوساً، لأنه وحده يكون محمولاً ومولوداً بلا خطيئة، وسيُدعي ابن الله ". عندها قالت مريم، باسطةً يدَيها ورافعةً عينَيها: " ها هي أمَة الربّ (لأنــني لست أهلاً لاسم مـــــولاة): ليكن لي بحسب كلمتك" . (لوقـــــا: 1،38.) (سـيكون طـويلاً للغاية وحـتى مُضـجراً آن ننتقل هنا كل ما سـبق أو تلي ولادة الربّ. لذا، متجـاوزين ما هو مطّول في الإنجيـل، لنُنْه بما ليس بهـذا التفصيل فيه.)

الإصحاح العاشر

حلم يوسف

كـان يوسف إذاً آتيـاً من اليهودية في الجليـل، ينـوي أن يتَّخذ امـرأة له العـذراء الـتي كـان مخطوبـاً لهـا. فقد انقضت ثلاثة اشـهر، وكـان الرابع يقـترب منذ الـزمن الـذي احتفل فيه بالخطوبـة. إلا أن بطن الخطيبة وقد تضخّم شيئاً فشيئاً، بـدأ يظهر أنها كـانت حبلى، وما كـان ممكنـاً أن يخفي ذلك على يوسف. فإذا دخل إلى قرب العذراء بحرية أكبر باعتباره زوجهـا، وتكلم بإلفة اكـبر معهـا، لمح أنها كـانت حبلى. لهـذا بـدأ عقله يضـطرب ويرتـاب، لأنه لم يكن يعلم ما عليه أن يفعـل. فمن جهـة، لم يُـرد الوشـاية بها، لأنه كان باراً، ومن جهة أخرى، التشنيع بها بطنَّ الزَّنا، لأنه كان ورعـاً. لهـذا كـان يفكّر بفسخ زواجه سـراً وردَّها خفيـةً. وإذ كـانت تساوره هـذه الأفكــار، إذا بملاك الــربّ يظهر له في الحلم، قــائلاً: " يا يوســف، يا ابن داود، لا تحمل أي خشــية، ولا تحتفظ بــأي ظنَّ زنا ضد العــذراء، ولا تفكّر بشئ مجحف في حقهــا، ولا تــتردّد في اتخاذها امــرأة. فــالمولود منهــا، ويعذّب الآن

- 160 -

عقلك، هو صنع، لا رجـل، بل روح القـدس. فوجـدها بين كـلّ العـذارى، ستلد ابن الله، وستدعوه باسم يسوع، أي المخلّص، فهو الذي سيخلّص شــعبه من خطايــاهم ". واتخذ يوسف إذاً العــذراء امــرأة، ممتثلاً لأمر

الملاك؛ إلا انه لم يعرفهـــا، بل حافظ معها على تعفُّف كامـــل. وكـــان الشـــهر التاسع منذ الحبل يقـــترب، حين مضي يوسف إلى مدينة بيت لحم حيث أصله، آخذاً امرأته والأشياء الأخرى التي كـانت ضـروريةً لـه. والحال هـذه، حـدث، حين وصـلوا إلى هنـاك، وقد تم زمن الوضـع، أنها ولــدت ابنها البكــر، كما علَّم ذلك الإنجيليــون القديســون، ربنّا يســوع المسيح، الـذي، وهو الله مع الآب، والابن والـروح القـدس، يحيا ويملك إلى أبد الآبدين.



الفصل الحادي عشر

إنجيل بطرس المنحول[1]

هذا الكتاب الأبوكريفي لم يعرف عنه أحد شيء خارج ما ذكره عنه آباء الكنيسة ابتداء من نهاية القرن الثاني وإلى نهاية القرن الرابع وبداية الخامس، حتى عثرت عليه بعثة آثار فرنسية في مقبرة قديمة يفترض أنها لراهب في أخميم والتي كانت تدعى قديما بنابوليس panopolis، سنة 1886م، ووُضع في متحف القاهرة، ونُشر سنة 1892م في ذكرى البعثة الأثرية الفرنسية. وترجع المخطوطة التي وجدت لهذا الكتاب لما بين القرن الحادي عشر والقرن الثامن وهي باللغة اليونانية. ويروي هذا الكتاب روايات عن المحاكمة والصلب والقيامة والصعود، ويتفق في الكثير من روايته مع ما جاء الإنجيل القانوني بأوجهه الأربعة وأن كان في المضمون أكثر منه النص الحرفي. ويبدوا واضحاً أن كاتبه أعتمد بدرجة كبيرة على ما سمعه في الكنائس وليس على قراءة الإنجيل المكتوب، ولكنه أضاف إضافات كثيرة تدل على أنه تأثر كثيرا بالفكر الدوسيتي الغنوسي، بل وتبرر بعض المواقف التي نشأت بعد انتشار المسيحية بعشرات السنين، مثل التساؤل حول ظهور المسيح للتلاميذ فقط، فيقول أن الجنود الرومان وشيوخ اليهود الذين كانوا يحرسون القبر مع الجنود الرومان رأوا الملائكة التي نزلت من السماء ورأوا المسيح وهو قائم من الأموات وخارج من القبر. بل ويصور المسيح لحظة القيامة بصورة دوسيتية خيالية فيقول: " **رأوا ثانيه ثلاثة رجال خارجين من القبر واثنين منهم يساندان واحداً وتبعهم صليب. <u>ووصلت رؤوس الاثنين السماء ولكن رأس ذلك المُنقاد</u> <u>منهم باليد تجتاز السموات</u>**!! ". وهي صورة خيالية تدل على فكر دوسيتي غنوسي.

وقد درس آباء الكنيسة هذا الكتاب الذي كان موجوداً فقط في كنيسة مدينة روسوس السورية في شمال غرب أنطاكية وقد وبخ القديس سيرابيون أسقف أنطاكية شعب هذه الكنيسة لاستخدامهم له وحرم قراءته. وفيما يلي الآباء الذين تكلموا عنه:

(1) سيرابيون أسقف أنطاكية (190-2-3م)؛ والذي يقول عنه المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصري أنه كتب العديد من المؤلفات منها: " ومؤلف (λογος) أخر ألفه عما يسمى بإنجيل بطرس. وقد كتب هذا المؤلف الأخير لتفنيد الأباطيل التي يتضمنها (ذلك الإنجيل) نظرا لأن البعض في جماعة روسوس قد انجرفوا في تعاليم هرطوقية (

[1]) New Testament Apocrypha Vol. 1. p. 184.

بسـببه. ويحسن اقتبـاس بعض فقـرات (ετεροδοξους - heterodox) موجزة من مؤلفه لأظهر آراءه عن الكتاب. وقد كتب ما يلي:

لأننا أيها الأخوة نقبل كلا من بطـرس وسـائر الرسل كالمسـيح، **ولكننا نرفض بشدة الكتابـات المنسـوبة إليهم زوراً، عـالمين أن مثل هـذه لم تسـلم إلينـا.** لما زرتكم كنت اعتقد أنكم متمسـكون بالإيمـان الصــحيح. وإذ كنت لم أقــرأ بعد **الإنجيل الــذي أبــرزوه تحت اسم بطرس** قلت: أن كـان هـذا هو المصـدر الوحيد للـنزاع بينكم فليقـرأ. أما الآن وقد علمت مما قيل لي أن أفكارهم قد انحرفت إلى بدعة ما، فـإنني سأسرع في الحضور إليكم ثانية، فإنني سأسرع في الحضـور إليكم ثانيـة. لذلك توقعوا مجيـئي أيها الأخـوة. ولكنكم سـوف تـرون مما كتب لكم أيها الأخـــــوة أننا قد عرفنا طبيعة بدعة مركيـــــانوس (- Μαρκιανος Marcianus)،وأنه ناقض نفسه بنفسه إذ لم يفهم ما قاله. لأننا إذ حصـلنا على هذا الإنجيل من أشخاص آخرين درسوه دراسة وافيـة، أي من خلفـاء أول من استعملوه، الذين نسميهم دوكاتي (Δοκητας - docetics)،(لأن معظم أرائهم تتصل بتعليم هذه العقيدة)، فقد استطعنا قراءته ووجدنا فيه أشياء كثيرة تتفق مع تعـاليم المخلص الصـحيحة، **غير أنه أضـيف لتلك التعاليم إضافات أشرنا إليكم عنها فيما بعد** " (ك6 ف12).

(2) أوريجانوس (253م)؛ والذي يقول عن أخـوة المسـيح: " وللتقليل من شــأن ما يظهر أنه قــريب بدرجة كبـيرة من أقاربه يقولــون: أليست أمه تدعى مـريم، وأخوته يعقـوب ويوسي وسـمعان ويهـوذا؟ أليس كل أخواته معنا؟ ويفترضون لذلك أنه ابن يوسف ومـريم. ولكن البعض اعتمـادا على ما جاء في **الإنجيل المنسوب لبطرس** يقولون أن أخـوة يسـوع كـانوا أبناء ليوسف من زوجة سابقة تزوجها قبل مريم "

(ON MATTHEW 10.17, commentary on Matthew 13.55)

(3) ويقول عنه المؤرخ الكنسي يوسابيوس القيصـري: " أننا نـرى أنفسـنا مضـطرين لتقـديم هـذه القائمة لنتمكن من معرفة كل من هـذه الأسـفار (أي الأسفار القانونية) وتلك التي

يتحــدث عنها الهراطقة تحت اسم الرســل، الــتي تشــتمل مثلا **أناجيل بطرس وتوما ومتيـاس وخلافهم**، وأعمـال أنـدراوس ويوحنا وسـائر الرسل. هذه لم يحسب واحد من كتاب الكنيسة أنها تستحق الإشارة إليها في كتابـاتهم. وعلاوة على هـذا فـأن أسـلوب الكتابة يختلف عن أسـلوب الرســل، ثم أن تيــار التفكــير في محتوياتها والقصد منها يختلفــان كل الاختلاف عن التعاليم المستقيمة الحقيقية. مما يــبين بكل وضـوح أنها من مصنفات الهراطقة. ولهذا فلا يصح وضعها حتى ضـمن الأسـفار المرفوضة ، بل يجب نبذها كلها ككتابات سخيفة ماجنة ". (ك3ف25 :6و7)

ونظرا لأن الكتاب كتب بيد كـاتب هرطـوقي ولأنه بـني ما كتبه بالدرجة الأول على ما جـاء في الأناجيل الأربعة القانونيـة، ولكن بشـكل سـماعي دون أن يقرأ الأناجيل ذاتها، لذا سقط في العديد من الأخطاء؛ فهو يقول:

(1) أن هيرودس كـان هو القاضي هو الـذي سـلم يسـوع لليهـود ليصـلب، وينفي عن بيلاطس ذلـك. وهو هنا يحـاول تبرئة الرومـان نهائيا من صـلب المسيح.
(2) زعم أن بيلاطس، مع شـيوخ اليهـود، رفض أن يغسل يديـه، وأنه قـام وترك الأمر لهيرودس.
(3) قال أن يوسف الرامي كان صديقا لبيلاطس.
(4) وأنه التمس جسد يسوع قبل الصلب.
(5) وأن بيلاطس أرسل يلتمس جسد يسوع من هيردوس.
(6) أن الجنود دفعوا يسوع ودعوه بابن الله.
(7) وأنهم أجلسوه على كرسي القضاء سخرية منه.
(8) وأنهم قالوا لنكرم ابن الله بهذه الكرامة.
(9) وأن يسوع كان هادئا أثناء عملية صلبه وأنه لم يشعر بآلام الصليب، وهذا بسبب فكره الدوسيتي الغنوسي الذي يقـول أن المسـيح لم يتخذ جســدا حقيقيا بل أنه ظهر على الأرض في شــكل وهيئة جسد ولــذا فعندما كان يمشي لم يكن يترك أثـارا لقدميـه، وأنه لا يمكن أن يشـعر بأي الم لأنه ليس له جسد مادي بل جسد سمائي.
(10) قال أن أحد اللصين قال أن المسيح هو مخلص البشر.
(11) وزعم بأنهم وضعوا ملابس يسوع أمامه.

(12) وأن هذا اللص لام الجموع ووبخهم.
(13) قوله أنهم أمروا أن لا تكسر رجليه حتى يموت بعذابات كثيرة.
(14) قوله أنهم ذهبوا إلى مكان الصلب بمشاعل.
(15) الزعم بأن المسـيح صـرخ قـائلا " قـوتي قـوتي لمـاذا تركتـني؟ " وهذا يعبر عن فكره الغنوسي القائل بأن المسيح الإله ترك يسوع الذي حل فيه وقت الصلب. وهذا يتناقض مع فكره القائل أن لم يشعر بــآلام الصليب!!!
(16) زعمه بأن يسوع مات بعد هذه الصرخة مباشرة.
(17) قوله أنهم سحبوا المسامير من يدي الرب.
(18) قوله أن الأرض تزلزلت بعد لمس جسد الرب للأرض.
(19) وأن اليهود فرحوا عندما أشرقت الشمس ثانية.
(20) وقال أن يوسف الرامي رأى كل ما صنعه يسوع من خير.
(21) وأن يوسف غسل الجسد.
(22) وقال " ثم أدرك اليهود والشيوخ والكهنة مدى الشر العظيم الذي فعلـوه لأنفسـهم وبـدءوا ينوحـون ويقولـون: الويل على خطايانا، فقد اقتربت الدينونة ونهاية أورشليم ".

(23) وزعم بأن اليهود كانوا يبحثون عن التلاميذ كفاعلي شر وكراغــبي إشعال النار في الهيكل.
(24) وأن التلاميذ كانوا صائمين وجلسـوا ينوحـون ويبكـون ليلاً ونهـاراً حتى السبت.
(25) وزعم أن شيوخ اليهود أدركوا بر المسـيح بعد موته " انظـروا كم كان هو باراً "!!
(26) ذكره لاسم قائد المائة " بيترونيوس ".
(27) زعمه أن شـيوخ اليهـود كـانوا يحرسـون قـبر الـرب مع الجنـود الرومان.
(28) وأن القبر ختم بسبعة أختام.
(29) وأنهم، الجنود وشيوخ اليهود، نصبوا خيمة أمام القبر.
(30) وان جمهور كبير من اليهود جاء لرؤية الحجر الذي وضع على باب القبر.
(31) وأن الجنود كانوا يحرسون القبر في ورديات أثنين أثنين.
(32) وأن صوت عظيم رن من السماء قبل قيامة المسيح مباشرة.
(33) وأن ملاكين نزلا من السماء أمام أعين الجنود وشيوخ اليهود.

(34) كما جاءت كل رواية القيامة فيه مختلفة عما جـاءت في الأناجيل القانونية الأربعة. وركز على رؤية الجنـود وشـيوخ اليهـود للـرب القـائم من الأمـوات ولم يذكر، في هذا الجزء الموجود لدينا منه أي ظهـور للتلاميـذ، وربما يكـون قد ذكر ذلك في الجزء المفقود منه خاصة وأنه انتهى عند ذهاب بطرس ورفاقه للعيد.

(35) كما زعم أن القيامة والصعود تما في يـوم واحـد، أو على الأقل لم يفصل ما بين القيامة والصعود كحادثين منفصلين بينهما أربعين يوماً.

(36) وقـال أن الملاك قـال أن يسـوع قـام وذهب هنـاك حيث أُرسـل، أي إلى السماء.

ويرى العلماء أنه يرجع إلى بداية القرن الثاني (ما بين100 إلى 125م). ويبدأ الجــزء الموجــود منه بغسل أيــدي بيلاطس وهو يــبرئ نفسه من دم المســيح ويشتمل على محاكمة المسيح وصلبه وموته وقيامته وينتهي بعد القيامة بحديث يدل على إن له بقية مفقودة والعبارة الأخيرة منه مبتورة. وهذا نصه كاملاً:

"1:1 ولكن لم يغسل أحد من اليهــود يديه، لا هــيرودس ولا أيــاً من قضــائه، وعندما رفضـوا أن يغسـلوا أيـديهم قـام بيلاطس 2 ثم أمر هـيرودس الملك أن يأخذ الرب وقال لهم: ما أمرتكم أن تفعلوه افعلوه.

3:2 وكـان يقف هنـاك يوسف صـديق بيلاطس وصـديق الـرب، ولمعرفته أنهم كانوا على وشك أن يصـلبوه، جـاء إلى بيلاطس وألتمس جسد الـرب ليدفنه، 4 فأرسل بيلاطس إلى هيرودس وألتمس جسده 5 فقال هيرودس: أخي بيلاطس حـتى إذا لم يلتمس الجسد أحد سـوف ندفنه، خاصة وأن السـبت بـدأ يحل لأنه

مكتوب في الناموس لا تغرب الشمس على جثه إنسان ميت. وأسلمه للشـعب في اليوم الذي قبل الخبز غير المختمر (الفطير)، عيدهم.

6:3 وأخذوا الرب ودفعوه بسرعة وقالوا: لنسـوق ابن الله الآن إذ صـار لنا الآن سلطان عليه. 7 وألبسوه ثوب أرجـوان وأجلسـوه على كرسـي للقضـاء وقـالوا لحكم بعدل يا ملك إسرائيل وأحضر واحداً منهم إكليلا من الشوك ووضـعه على رأس الرب. 9 وآخرين من الواقفين بصـقوا على وجهه، وآخـرين لطمـوه على خديه وآخــرين ضـربوه بقصبة والبعض سـخروا منه قـائلين: " فنكــرم ابن الله بمثل هذه الكرامة ".

10:4 وجاءوا بلصين وصلبوا الرب في الوسط بينهمـا، أما هو فعقد سـلامه كما لو أنه لم يشعر بألم 11 وعندما نصبوا (رفعوا) الصليب كتبوا عليه العنوان: هـذا هو ملك إسرائيل

12 ونزعـوا عنه ملابسه أمامه واقتسـموها بينهم واقـترعوا عليها. 13 ولكن أحد اللصين وبخهم قائلاً: أننا نتعذب بسبب الأعمال الشريرة التي صـنعناها، ولكن هذا الرجل، الذي صار مخلصاً للبشر، مـاذا صـنع من شر؟ 14 وكـانوا حانقين عليه وأمروا أن لا تكسر رجليه حتى يموت بعذابات كثيرة.

15:5 ولما صــار منتصف النهــار غطت الظلمــة كل اليهودية وكــانوا قلقين ومضطربين لئلا تغرب الشمس وهو ما يزال حياً، لأنه مكتوب لهم: لا تغـرب الشمس على أحد تحت حكم الموت، 16 وقال واحد منهم: أعطوه ليشـرب خل مع مر، فمزجوهما وأعطوهما له ليشـرب. 17 وأتمـوا كل شئ وأكملـوا مكيال خطاياهم على رؤوسهم، 18 وذهب إلى هناك كثيرون بالمشاعل فقد ظنوا أنه كان ليلاً، فذهبوا للنوم أو تعثروا. 19 ونادى الرب وصرخ: قــوتي يا قــوتي، أنت تركتـني، ولما قــال هـذا كف. وفي تلك السـاعة أنشق حجـاب الهيكل في أورشليم إلى أثنين.

21:6 ثم سحبوا المسامير من يدي الرب وأنزلوه على الأرض فتزلزلت كل الأرض وحــدث خــوف عظيم، ثم أشــرقت الشــمس ووجــدوا أنها السـاعة التاسعة. 23 فأبتهج اليهود وأعطوا جسده ليوسف ليدفنه حيث أنه رأى كل ما صنع (يسوع) من خـير. 24 وأخذ الـرب وغسّـله ولفه بكتـان ووضـعه في قبره الذي كان يُدعى بستان يوسف.

25:7 ثم أدرك اليهـود والشـيوخ والكهنة مـدى الشر العظيم الـذي فعلـوه لأنفسهم وبدءوا ينوحون ويقولون: الويل على خطايانا، فقد اقتربت الدينونة ونهايــة أورشــليم. 26 وحــزنت أنا ورفقــائي ولأننا جرحنا في قلوبنا أخفينا أنفسنا إذ كانوا يبحثون عنا كفاعلي شر وكراغـبي إشـعال النـار في الهيكل. 27 وبسبب كل هـذه الأشـياء كنا صـائمين وجلسـنا ننـوح ونبكى ليلاً ونهـاراً حتى السبت.

28:8 ولكن الكتبة والفريســيين والشــيوخ اجتمعــوا معــاً الواحد مع الآخر عندما سمعوا أن كل الشعب كان ينوح ويقرع صدوره ويقول: إذا كان بموته

قد حدثت كل هذه العلامات العظيمـة، انظـروا كم كـان هو بـاراً. 29 وكـان الشيوخ خائفين وذهبـوا إلى بيلاطس وتوسـلوا إليه وقـالوا: 30 أعطنا جنـود لنحرس قبره لمده ثلاثة أيام لئلا يأتي تلاميذه ويسـرقونه ويظن الشـعب أنه قام من الأموات ويفعلـوا بنا شـراً. 31 فأعطـاهم بيلاطس بيـترونيوس قائد المئـة مع جنــود لحراسه القـبر. وجـاء معهم إلى القــبر شـيوخ وكتبه. 30 ودحرج كل الذين

- 167 -

كانوا هناك معاً حجـراً عظيمـاً ووضـعوه على مـدخل القـبر مع قائد المئة والجنود. 33 وختموه بسبعه أختام ونصبوا خيمه وحرسوه.

34:9 وبـاكراً في الصـباح عنـدما كـان السبت ينسـحب جـاء جمهـور من أورشـليم وتخومها لـيروا القــبر الـذي خُتم. 35 ثم في الليلة الـتي كـان ينسحب فيها يوم الرب عندما كان الجنود يقومون بحراسـتهم اثنـان اثنـان في كل ساعة رن صوت عظيم في السـماء. 36 ورأوا السـموات مفتوحة ونزل رجلان من هناك بنور عظيم واقتربوا من القبر. 37 وبدأ الحجر الذي وضع على باب القبر يتدحرج من ذاته وجاء على جـانب وفُتح القـبر ودخل الشابان.

38:10 وعندما رأى أولئك الجنود ذلك أيقظوا قائد المئـة والشـيوخ. لأنهم كانوا هناك للمساعدة في الحراسة. 39 وبينما كـانوا يعلنـون الأمـور الـتي رأوها **رأوا ثانيه ثلاثة رجــال خــارجين من القــبر واثــنين منهم يسـاندان واحداً وتبعهم صـليب. 40 ووصـلت رؤوس الاثـنين السماء ولكن رأس ذلك المُنقاد منهم باليد تجتاز السموات.** 41 وسمعوا صوت من السماء يقـول: لقد بشـرت الراقـدين. 42 **وسُـمعت إجابة من الصليب: نعم.**

43:11 لذلك أستشار هؤلاء الرجـال أحـدهما الآخر عما إذا كـانوا يـذهبون ليخبروا بيلاطس بهذه الأمور. 44 وبينما كانوا يفكـرون في ذلك شـوهدت السـماء تُفتح ثانيه ونــزل رجل ودخل القــبر. 45 وعنــدما رأى قائد المئة والذين كانوا معه ذلك أسرعوا ليلاً إلى بيلاطس تاركين القـبر الـذي كـانوا يحرســونه وأخــبروا بيلاطس بكل شئ رأوه، وكــانوا مضــطربين بدرجة عظيمة وقالوا: حقاً كان ابن الله. فأجـاب بيلاطس وقـال: أنا بـرئ من دم ابن الله، أنتم الذين قررتم هذا. 47 فاقتربوا منه متوسـلين إليه وطـالبوه أن يأمر قائد المئة والجنود أن لا يخبروا أحد بما رأوه. 48 لأنهم قـالوا: أنه من الأفضل لنا أن نكون مذنبين بالإثم العظيم أمـام الله ولا نقع في أيـدي شعب اليهـود فـنرجم. 49 فـأمر بيلاطس قائد المئة والجنـود أن لا يقولـوا شيئاً.

50:12 وبـاكر في صـباح يـوم الـرب ذهبت مـريم المجدليـة وهى تلميـذه للرب. خوفاً من اليهـود لأنهم كـانوا متقـدين بالغضب، ولأنها لم تفعل عند قبر الرب ما كانت النساء تريد أن يعملنه للموتى الـذين يحبـونهم وأخـذت معها صـديقاتها وجئن إلى القـبر حيث وضع، 52 وخفن أن يـراهن اليهـود

وقـالوا: على الـرغم من أننا لم نسـتطع أن نبكى وننـوح في اليـوم الـذي صلب فيه، فلنفعل ذلك الآن على قبره. 53 ولكن من سـيدحرج لنا الحجر الذي وُضع

على باب القبر، إذ يجب أن ندخل ونجلس بجانبه ونفعل ما يجب؟ 54 لأن الحجر كـان عظيمـاً. ونخشى أن يرانا أحد. وإذا لم نسـتطع أن نفعل ذلك، دعونا على الأقل، نضع على بابه ما أحضـرناه لـذكراه ولنبك وننـوح حـتى نعود إلى البيت ثانيه.

55:13 فذهبن ووجدن القـبر مفتوحـاً واقـتربن ووقفن ورأين هنـاك شـاباً جالساً في وسط القبر جميلاً ولابساً رداء أبيض لامعـاً فقـال لهن 56 من أين أتيتن؟ من تطلبن؟ أتطلبن الـــذي صـــلب، لقد قـــام وذهب. وإذا لم تصدقن قفن في ذلك المكان وانظـرن الموضع الـذي كـان يرقد فيـه، لأنه ليس هو هنـا. لأنه قـام وذهب هنـاك حيث أُرسل. 57 ثم هـربت النسـوة خائفات.

58:14 وكان اليوم الأخير للفطـير وذهب الكثـيرون عائـدين إلى منـازلهم حيث أن العيد انتهى. 59 ولكن نحن، الأثنا عشر تلميـذاً للـرب نحنا وبكينا وكل واحد حـزن لما حـدث وعـاد لمنزله. 60 ولكن أنا سـمعان بطـرس وأخي أندراوس أخذنا شـباكنا وذهبنا إلى البحر وكـان معنا لاوي ابن حلفي الذي الرب 000 " دعاه من دار الجباية (؟)000 ".

وينتهي هنا الكتاب بصوره مبتورة تدل على أن جزأ قد ضاع منه.

وهذا الكتـاب، المـدعو " إنجيل بطـرس "، كما نـرى، يتفق مع روايـات الأناجيل القانونية، الحقيقة، في معظم تفاصـيل المحاكمة والصـلب ويثبت بـــدون شك أن كل ما كُتب في القـــرنين الأول والثـــاني ســـواء في داخل الكنيسة وعلى رأسها تلاميذ المسيح ورسـله أو حـتى في دوائر الهراطقـة يؤكد صحة وحقيقة وتاريخية الإيمان المسيحي وصحة الأناجيل الأربعة وأنه حتى الهراطقة اعتمدوا عليها في كتابة كتبهم المزيفة.



الفصل الحادي عشر

إنجيل نيقوديموس المنحول[1]

يرجع نص هذا العمل المنحول إلى القرن الخامس الميلادي وأن كان هو مُستَمَدّ من كتابات وتقاليد سابقة. نجده في أصله اليوناني، والسرياني، والأرمني، والقبطي، والعربي واللاتيني. ويرى تشندورف، مكتشف المخطوطة السينائية، اعتماداً على إشارات في وردت في كتبات يوستينوس وترتليانوس، أنه يرجع إلى القرن الثاني وهو زمن يكفي لانتشار الأسطورة. وهو يُعتبَر دفاعاً ضد اتهامات الحكم الروماني أيام ماكسيميليان دازا (311-312م). ويزعم هذا الكتاب المنحول، أن مسيحي اسمه حنانياس، اكتشف قصة وضعها نيقوديموس بالعبرية، تتناول محاكمة يسوع أمام بيلاطس، وترجمها إلى اليونانية عام 425م. هذه القصة تروي محاكمة وموت يسوع ودفنه بصورة متلاحقة، كما تروي رواية لنقاش حدث في المجلس الأعلى اليهودي موضوعه القيامة، كما تروي وصف لنزول يسوع إلى الجحيم على لسان شاهَدين. ويتكون النص من قسمين القسم الأول من النص مصدره على ما يبدو أعمال بيلاطس، التي ذكرها آباء الكنيسة. ثم يقدم رواية لنزول المسيح إلى الجحيم. وكان هذا الكتاب المنحول هو الملهم الأساسي لدانتي الريجيري في كتابته الملحمة الإلهية المكونة من ثلاثة أجزاء الفردوس والمطهر والجحيم.

ويبدو واضحا، كما تلخص لنا دائرة المعارف الكتابية خلاصة ما جاء في هذا الكتاب المنحول، أن الكاتب " كان مسيحياً يهودياً وقد كتب لهذه الفئة من الناس، المسيحيين من أصل يهودي، " وكان متلهفاً على إثبات ما سجله بشهادات من أفواه أعداء يسوع، وبخاصة رجال الدولة الذين كان لهم دور في الأحداث السابقة واللاحقة لموت المسيح. فبيلاطس بشكل خاص كان في جانب يسوع - وهو ما لابد أن يدهش له قراء الأناجيل القانونية - كما جاء كثيرون ممن صنع معهم معجزات الشفاء، ليشهدوا في جانب يسوع - وهذه خطوة طبيعية يذهب إليها أي كاتب متأخر متصوراً ما يمكن أن يجرى في محاكمة رسمية. ورغم إلمام الكاتب بالعادات اليهودية، فإنه أخطأ كثيراً في معلوماته الطبوغرافية عن فلسطين. فمثلاً يقول إن يسوع صلب في نفس البستان الذي ألقي عليه القبض فيه (أصحاح 9)، ويذكر أن جبل

[1] تُرجم هذا الكتاب عن عدة ترجمات إنجليزية وأن كنا قد اعتمدنا في ترجمته أيضاً وبدرجة كبيرة على ترجمة الأستاذ اسكندر شديد السابق ذكرها.

مملك أو ملك في الجليل (بينما هو في جنــوبي أورشــليم) ويخلط بينه وبين جبل الصعود.

والجزء الثاني من الإنجيل - وهو نزول المسيح إلى العالم السفلي - هو رواية لتقليد قديم لم يذكر في الأناجيل القانونية، مبني على ما جـاء في (1بط3:ـ 19): " ذهب فكـرز للأرواح الـتي في السـجن "، ويـروي قديســان ممن قــاموا في قيامتــه، كيف كانا محبوســين في الهــادس (مكـان الأرواح) عنـدما ظهر الغـالب (المسـيح)عند مدخلـه، فتكسـرت الأبـواب النحاسـية، وأطلق سـراح المسـجونين، وأخذ يسـوع معه إلى الفردوس نفـوس آدم وإشـعياء ويوحنا المعمـدان وغـيرهم من الرجـال الذين ماتوا قبله000

وأقل من ذلك أهمية ما ظهر من إضـــافات ملفقة في العصـــور المتــــأخرة، وألحقت بإنجيل نيقوديمـــــوس، مثل خطــــاب بيلاطس للإمبراطور طيباريوس، وتقرير بيلاطس الرسمي 000 وموت بيلاطس - الـذي حكم على يســوع - أشــنع ميتــة، إذ قتل نفسه بيديــه. ويطلق الكاتب لخياله العنان في حديثه عن يوسف الرامي.

ودراسة كل هذه الوثـائق الـتي ذكـرت آنفـاً، تـبرر ما يقوله مؤلفو " موســوعة ما قبل نيقيه " من أنها بينما تقــدم لنا " لمحــات غريبة عن حالة الضمير المسيحي وأساليب التفكير في القـرون الأولى من العصر المســيحي، فــإن الانطبــاع الــدائم الــذي تتركه في أذهاننا هو الإدراك الصادق لسمو وبساطة وجلال الأسفار القانونية بدرجة لا تدانى ".

مقدَّمة حنانياس

أنا، حنانياس، عبريّ الأُمة، كاهن الشريعة لدى العبرانيين، وقد درست الناموس وتعلمت من الأسفار الإلهية عن ربنا يسوع المسيح، واقـتربت منه وحسـبت مسـتحقا للمعمودية المقدسـة، وبحثت عن الأمـور الـتي حدثت وقام بها اليهود لسيدنا يسوع المسيح في حكم بيلاطس البنطي، وأعدت إلى الذاكرة قصة تلك الوقائع التي كتبت بالحروف العبرية،

وبنعمة الله ترجمتها بـالحروف اليونانيـة، لأُعـرِّف بها كل الـذين ينـادون باسم سيَّدنا يسوع المسيح، وفعلت ذلك في أيام إمبراطورية فلافيوس ثيؤدوسيوس، في العام السابع عشر وفي حكم فلافيوس فالنتينيــانوس السادس.

انتم جمعياً، الذين تقـرأون هـذه الأمـور وتترجمونها في كتب أخـرى، تذكروني وصلوا من أجلي، لينعم الله عليّ ويغفر لي كـلّ الخطايا الـتي ارتكبتها.

السلام للذين يقرأون والذين يسمعون هذه الأمور ولخدامهم. آمين.

الجزء الأول
أعمال بيلاطس
(محاكمة الرب يسوع وصلبه وقيامته)

حدث ذلك في العام الثامن عشر من إمبراطورية طيباريوس قيصر، إمبراطور الرومان، وهيرودس ملك الجليل، في العام التاسع عشر من حكمه، في الثامن من غُرَّة أبريل، وهو اليوم الخامس والعشرون من شهر مارس، أيام قنصلية رُوفَّين ورُوْبلِّيون؛ في العام الرابع من الأولمبياد الثانية بعد المئتين، حين كان يوسف الذي هو قيافا رئيس لكهنة اليهود؛ في ذلك الوقت كتب نيقوديموس، بالأحرف العبرية، قصة كل ما حدث وقت صلب الربّ وبعد آلامه.

1- يسوع يحاكم أمام بيلاطس وسجود الأعلام له:

أنا حنانيا رئيس الكهنة والكتبة اجتمعنا، قيافا، سومني، دوثان وغيمالائيل، يهوذا، لاوي، نفتالي، إسكندر، كورش وأمراء اليهود الآخرين، قابلوا بيلاطس، واتهموا يسوع بأعمال شريرة كثيرة قائلين: " أننا نعرفه ابن يوسف النجّار، ومولوداً من مريم، وهو يقول انه ملك وابن الله؛ وأكثر من ذلك، انه ينتهك، حرمة السبت ويريد تدمير شريعة آبائنا ".

فقال بيلاطس: " ما هي الأعمال الشريرة التي يرتكبها والتي تدمر الناموس؟" فأجاب اليهود: " أن الشريعة تمنعنا عن الشفاء يوم السبت؛ ولكن هذا الرجل بأعماله الشريرة

شفي يوم السبت، عرجاً وصُماً، كسحاء ومشلولين، عمياناً، برصاً وممسوسين ".

وقال لهم بيلاطس: " وأي شر عمل؟" فأجابه اليهود: " انه ساحر؛ وباسم بعلزبوب، رئيس الشياطين، يخرج الشياطين، وكلّ الأمور تخضع له ". وقال بيلاطس: " ليس بفعل روح نجسة، بل بفعل قدرة الله، طرد الشياطين ". وقال اليهود لبيلاطس: " نرجو سموّك أن تأمر بمثوله أمام محكمة، لتستمع إليه ".

وإذ نادى بيلاطس رسولاً، قال له: " لِيؤت بيسوع إلى هنا وليُعامَلْ بلطف ". فمضى الرسول، وإذ وجد يسوع، سجد له، وبسط أرضاً الرداء الذي كان يلبسه، قائلاً: " يا سيِّد، أدخُلْ سائراً عليه، لأن الحاكم يطلبك ". فقال اليهود لبيلاطس بصيحات عظمية، وقد رأوا ما فعله الرسول: " لمَ لم تُبلغْه، بصوت بشير، الأمر بالمجئ بدلاً من أن ترسل إليه رسولاً؟ فالرسول سجد له، وقد رآه، وبسط أرضاً أمامه الرداء

الذي كان يحمله بيده، وقال له: " يا سيَّد، الحـاكم يسـتدعيك ". فقـال بيلاطس للرسول، منادياً إياه إليه: " لمَ تصرّفت هكذا؟"

فقال الرسول: " عندما أرسلتني إلى أُورشـليم لـدى إسـكندر، رأيت يسوع جالساً على حمار، وأطفال العبرانيين يصيحون، ممسكين سُـعَفاً بأيـديهم: " سـلام، يا ابن داود ". وكـان آخـرون يبسـطون ثيـابهم على دربه، قائلين: " سلام للذي في السماوات؛ مبارك الآتي باسم الربّ! ". وأجاب اليهود الرسـول صـائحين: " أن أطفـال العبرانـيين هـؤلاء كـانوا يعبَّرون بالعبريـة؛ فكيف فهمتَ، أنتَ اليونـاني، كلمـات قيلت في لغة ليست لغتك؟" فأجاب الرسـول: " سـألت احد اليهـود وقلت لـه: مـاذا يصـيحون بالعبريـة؟ فشـرح لي ذلك ". عنـدها قـال بيلاطس: " ما هو الهتاف الذي ينطقون به بالعبريـة؟ فأجـاب اليهـود: " هوشـعنا ". وقـال بيلاطس: " ما هو معنـاه؟" فأجـاب اليهـود: " معنـاه: يا ربّ سـلام! ". وقال بيلاطس: " انتم أنفسكم، تؤكدون أن الأطفال كانوا يعبَّرون هكذا؛ فبماذا الرسول مذنب إذاً؟ ". فصمت اليهود.

وقال الحاكم للرسول: " أُخرُجْ، وأدخلْه بـأي طريقة تشـاء ". ومضى الرسول نحو يسوع، وفعل نفس ما فعله في المرة السابقة، وقال لـه: " يا سيَّد، أُدخُلْ، فالحاكم يناديك ". وإذ دخل يسوع، انحنت الصور الـتي كان يحملها حملة الأعلام فوق راياتهم من تلقائها

وسـجدت ليسـوع. وعنـدما رأى اليهـود أن الصـور انحنت من تلقائها لتسـجد ليسـوع احتجـوا بقـوة على حملة الأعلام. عنـدها قـال بيلاطس لليهود: " عجباً، انتم لا تحيّون يسوع، الذي انحنت الصور للسـلام عليـه، لكنكم تصـيحون في وجه حملة الرايـات، كما لو أنهم بأنفسـهم أحنّـوا أعلامهم وسجدوا ليسوع ". فقال اليهود: " لقد رأينـاهم يتصـرّفون على هذه الصورة ". وأنادى الحاكم حملة الأعلام، وسألهم لماذاَ فعلوا ذلـك. فأجابوا بيلاطس: " نحن يونانيون وعبيد الهياكـل؛ فكيف نسـجد لـه؟ أن الرايات التي نمسكها انحنت من تلقائها وسجدت له ".

وقال بيلاطس لرؤساء المجمع وشيوخ الشعب: " اختـاروا بأنفسـكم رجالاً أقوياء وصلاباً فيمسكون الرايات، ولـنرى إنْ كـانت سـتنحني من تلقاء ذاتها ". واختار شيوخ اليهود اثني عشر رجلاً أقوياءً جداً، ووضـعوا الرايات في أيديهم، ووقفوا في صفوف (كل منهـا) من سـتة رجـال أما عرش الحـاكم. وقـال بيلاطس للرسـول: " خذ يسـوع إلى خـارج مقـرّ القضاء، وأدخلْه بعد ذلك ". وخرج يسوع من المقرّ مع الرسـول. وتوجّه بيلاطس إلى الذين يمسكون الرايات، وقال لهم مُقْسماً بتحية قيصر: " إذا انحنت الرايات حين يدخل، فسـوف اقطع رؤوسـكم!" وأمر الحـاكم بإدخـال يسـوع مـرةً ثانيـة. وفعل الرسـول كما فعل من قبل وتوسل

لِيسوع أن يدخل ماشيا على منديلـه، الـذي بسـطه على الأرض. وفعل يسوع ذلك، وعندما دخل، انحنت الرايات وسجدت له.

2 - بيلاطس يتعاطف مع يسوع:

ولما رأى بيلاطس ذلك، استولى عليه الرعب، وبدأ النهوض من فوق كرسيه. ولما كان يفكِّر بالنهوض من فوق كرسـيه، أرسـلت إليه امـرأة بيلاطس، المـدعوة بروكولـة، لتقـول لـه: " لا تفعل شـيئاً في حق هـذا الرجل البار، لأنني تألَّمت كثيراً هذه الليلة بسببه ". وقال بيلاطس لكل اليهود، وقد سـمع ذلـك: " تعلمـون أن زوجـتي تخـاف الله وتهتم كثـيرا بعــادات اليهــود معكم ". فقــالوا له " نعم نحن نعــرف ذلك ". فقــال بيلاطس لقد أرســلت إليّ قائلة " لا تفعل شــيئاً في حق هــذا الرجل البار، لأنني تألّمت كثيراً هذه الليلة بسببه ". فأجـاب اليهـود بيلاطس: " ألَم نَقُــلْ لك انه ســاحر؟ وها هو قد أرسل رؤيا إلى زوجتك ". وقــال بيلاطس ليسوع، مناديـاً إيـاه: " ألا تسـمع ما يقولونه عليـك؟ ولا تجيب بشئ؟ ". فأجاب يسوع: " لو لم تكن لهم القدرة على الكلام، لما كانوا يتكلمون، لأن كل إنسان له القدرة على فمه ليقول

أشياء خيَّرة أو شريرة ".

فأجاب شيوخ اليهود وقالوا ليسوع: " ماذا نقول؟ أولاً، انك وُلدت من الزَّنا؛ ثانياً، وسبب مولـدك في بيت لحم قُتـلَ الأطفـال؛ ثالثـاً، أن أبـاك يوسف وأمك مريم هربا إلى مصر، لأنهما لم يكونا يثقان بالشعب ".

وكان بعض اليهـود الموجـودين هنـاك، والـذين كـانوا أقـلّ شـراً من الآخــرين، يقولــون: " لا نقــول أنه وُلد من الزَّنــا، لأننا نعلم أن مــريم خُطبَت ليوسف، ولم يولد من الزَّنا ". فقال بيلاطس لليهود الذين كـانوا يقولون أن يسوع وُلد من الزَّنـا: " هـذا الكلام كـاذب، فقد كـانت هنـاك خطوبة كما يشــهد بــذلك أشــخاص من بينكم ". فقــال حنانيا وقيافا لبيلاطس: " الجمهور كلّه يصرخ انه وُلـدَ من الزَّنـا، وانه سـاحر. هـؤلاء دخلاء (متهوَّدون) وتلاميذه ".

فــدعا بيلاطس حنانيا وقيافا إليه وقــال لهم: " ما معــنى دخلاء (متهوَّدون)؟ " فأجابا: " الذين وُلدوا أغريق وأصبحوا الآن يهـوداً ". وهنا قـال لعـارز وأسـتيريوس، وانطونيـوس، ويعقـوب، وصـموئيل، وإسـحق وفيــنيس، وكريســبوس وأغريبــا، وأميــنيوس ويهــوذا: " لســنا دخلاء (متهوَّدين)، بل نحن أبناء اليهـود، ونقـول الحقيقـة؛ فقد حضـرنا خطوبة مريم ".

فدعى بيلاطس إليه بيلاطس الرجال الأثنى عشر الذين قـالوا أنه لم يوُلد من زنـا، وقـال لهم: " آمـركم، بسـلام قيصـر، أن تُعلنـوا أن كنتم

تقولون الحقيقة، وإذا كـان هو لم يولد من الزَّنا ". فقـالوا لـبيلاطس: " شريعتنا تحظُّر علينا القَسم، فذلك خطيئة؛ مُرْ هؤلاء بأن يُقسموا بسلام قيصر بأن ما نقوله كاذب، فنكون قد استحققنا الموت " فقال بيلاطس لحنانيا وقيافا: " لماذا لا تجيبا على ذلك؟ فقالوا لبيلاطس: " هل تُصدَّق هـؤلاء الرجـال الأثنا عشر الـذين قـالوا انه لم يولد من الزَّنـا، بـدلاً منا جمعياً الذين نقول انه ساحر، ويزعم انه ملك وابن الله؟"

وأمر بيلاطس الشـعب كله بـالخروج فيما عـدا الرجـال الاثـني عشر الذين قالوا أن يسوع لم يولد من الزَّنا، وأقام يسوع جانباً، وقال لهم: " لأي سـبب يريد اليهـود إهلاك يسـوع ". فأجـابوه: " أنهم يحسـدونه لأنه يشفي يوم السبت ". قال بيلاطس: " يريدون إذاً إهلاكه من اجل عمل صالح؟" فأجابوا: " نعم، يا سيَّد ".

3 – مملكتي ليست من هذا العالم:

وخرج بيلاطس من مقرّ القضاء، وهو ممتلئ بالغضب، وقال لليهود: " استشهد الشـمس على أنـني لم أجد شـيئاً يسـتوجب العقـاب في هـذا الرجل ". فأجاب اليهود الحـاكم: " لو لم يكن سـاحراً، لما سـلّمناه لك ". فقال لهم بيلاطس: " خذوه أنتم وأحكموا عليه بحسب ناموســكم ". فقـال اليهـود لـبيلاطس: " لا يجـوز لنا أن نقتل أحد ". فقـال بيلاطس لليهود: " هل منعكم الله وسمح لي؟ ".

وعاد بيلاطس إلى مقرّ القضاء ونادى يسوع وحده وقـال لـه: " أأنتَ ملك اليهود؟" فقال يسوع لبيلاطس، مجيباً: " أمنْ عنـدك تقـول ذلـك، أم آخرون قالوه لكَ عني؟" أجاب بيلاطس يسوع: " ألعلي أنا يهـودي؟ أن أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك إليّ؛ فماذا فعلت؟". أجـاب يسـوع: " مملكتي ليست من هذا العالم؛ لو كانت مملكتي من هذا العالم، لقـاوم خدّامي، ولما أُسلمْتُ لليهود؛ لكن مملكتي ليست هنا ". قـال بيلاطس: " أنتَ إذاً ملك؟". فأجاب يسوع: " أنتَ تقول ذلك، نعم، أنا ملـك. لهـذا وُلْدتُ ولهذا أتيتُ لأشهد للحق، وكلّ من هو في الحق سيسـمع صـوتي ". قـال بيلاطس: " ما هو الحـق؟ ". فأجـاب يسـوع: " الحق يـأتي من السـماء ". قـال بيلاطس: " ألا يوجد حق على الأرض؟ ". فقـال يسـوع لبيلاطس: " أنظُرْ كيف أن مَنْ يقولون الحق على الأرض يحـاكمهم مَنْ لهم السلطان على الأرض ".

4 – بيلاطس يبرىء نفسه من دم المسيح:

وخرج بيلاطس، تاركاً يسوع داخل مقـرّ القضـاء، ومضى إلى اليهـود وقـال لهم: " أنـني لا أجد فيه أي إثم ". أجـاب اليهـود: " لقد قـال: " أستطيع تدمير الهيكل في ثلاثة أيـام أقيمه ". فقـال لهم بيلاطس: " أي هيكل؟ ". وأجاب اليهود: " الذي بناه سـليمان في سـتة وأربعين عامـاً،

وقــال انه يســتطيع هدمه وإعــادة بنائه في ثلاثة أيــام ". فقــال لهم بيلاطس: " أنا برئ من دم هذا الرجل البار؛ أنظروا ما عليكم أن تفعلوا ". فقال اليهود: " دمه علينا وعلى أولادنا ".

فـدعى بيلاطس إليه الشـيوخ والكهنة واللاويين، وقـال لهم سـراً: " لا تتصرّفوا هكذا؛ فبرغم اتهاماتكم، لم أجد فيه شيئاً يستحق المـوت، في ما تأخذون عليه من شفاء وانتهاك حرمة

السبت ". وقال الكهنة واللاويون والشيوخ لبيلاطس: " إذا جدّف إنسان على قيصر ماذا يستحق؟". فقال لهم: " يستحق الموت ". فقـالوا له " وهذا الرجل جدّف على الله ".

عندها أمر الحاكم اليهود بالخروج من مقرّ القضاء، ونادى يسوع وقال له: " ماذا أفعل معك؟ ". فقال يسوع لبيلاطس: " تصـرّف كما يتـوجّب عليك ". فقــال بيلاطس ليســوع: " كيف عليّ أن أتصّــرف؟ ". أجــاب يسوع: " أن موسى والأنبياء تنبّأوا بهذه الآلام وبقيامتي ". وقـال اليهـود وقد سمعوه يقول ذلك لبيلاطس: " أتريد الاستماع أكثر إلى تجديفاتــه؟ أن شـــريعتنا توضح أن الرجل إذا أخطأ في حق قريبـــه، يتلقّى أربعين ضربةً إلا واحدة، وان المجدِّف يعاقب بالموت ".

فقـال لهم بيلاطس: " إذ كـان كلامه تجـديفياً، فخـذوه وقـودوه إلى مجمعكم، وحاكموه بحسب شريعتكم ". وقال اليهـود لـبيلاطس: " نريد أن يُصلب ". فقـال لهم بيلاطس: " لم يفعل شـيء ليصـلب ". وعنـدما اسـتدار بيلاطس رأى يهـوداً يبكـون، فقـال: " ليس كل الجمع يريد أن يموت ". فقال الشيوخ لبيلاطس: " أتينا مع الجمع كلّه ليموت ". وقال بيلاطس لليهود: " ماذا فعل ليستحقّ الموت؟" فأجـابوا: " لأنه قـال انه ملك وابن الله ".

5 - نيقوديموس يدافع عن يسوع:

ولكن جاء رجل واقـترب من الحـاكم، اسـمه نيقوديمـوس، وقـال: " أرجــوك أن تســمح لي، برأفتــك، أن أقــول بضع كلمــات ". فقــال له بيلاطس: " تكلّمْ ". قال نيقوديمـوس: " قلت لشـيوخ اليهـود، وللكتبـة، وللكهنــة، واللاويين، ولكــلّ جمــوع اليهــود في المجمــع: أي شــكوى توجّهونها ضد هذا الرجـل؟ لقد كـان يصـنع معجـزات كثـيرة وبـاهرة، لا يصنع مثلها أحد؛ ولم يصنع مثلها أبداً. فاصـرفوه ولا تفعلـوا به أي شـر؛ فـإذا كـانت هـذه المعجـزات من اللـه، فسـتكون ثابتـة؛ وإذا كـانت من البشر، فسوف تنقض. أن موسـى، الـذي أرسـله الله إلى مصـر، صـنع معجزات أمره الله بالقيـام بها في حضـرة فرعـون، ملك مصـر، وكـان هنـاك سـاحران، هما يَمْـنيس ومَمْـبريس، وقد حـاولا القيـام بمعجـزات موسى نفسها، لكنهما لم يستطعيا تقليدها كلّهـا، وأعتبرهما المصـريون

إلهَين. لكن، لأن المعجـزات الـتي صـنعاها لم تكن من اللـه، هلكـا، هما ومَنْ آمنوا بهما. والآن، إصـرف هـذا الرجـل، لأنه لا يسـتحقّ المـوت ". وقال اليهـود لـنيقوديموس: " لقد أصـبحت تلميـذه، وتتكلم من اجله ". فقال لهم نيقوديموس: " هل

الحاكم الذي يتكلّم أيضاً لمصلحته هو تلميذه؟ أَلَمْ يكلِّفه قيصر بـالحكم بالعـدل؟ ". وكـان اليهـود يشـتعلون غضـباً، ويُصـرُّون بأسـنانهم ضد نيقوديمـوس، وقـالوا لـه: " آمنْ بـه، وتقاسَـمْ مصـيره نفسه ". فقـال نيقوديموس: " آمين. فلأتقاسَمْ مصيره نفسه، كما تقولون ذلك ".

6 – شهادة الذين صُنعت لهم معجزات ليسوع:

وتقـدّم آخر من اليهـود وسـأل الحـاكم أن يـأذن له بـالكلام، فقـال بيلاطس: " ما تريد أن تقولـه، قُلْه ". وتكلّم ذلك اليهـودي هكـذا: " منذ ثمانية وثلاثين عاماً، كنت طريح فراشي وكنت في استمرار فريسة آلام عظمية وفي خطر الموت. وجاء يسوع، وشـفي كثـيرين من الـذين بهم مس شـيطاني والنـاس المصـابين بعاهـات متنوَّعـة. وقد حملـني بعض الشبّان في سريري ونقلوني إليه. وإذ رآني يسوع ثارت شـفقته، وقـال لي: " قُمْ، إحملْ سريرك، وامش. وعلى الفـور شـفيت تمامـاً؛ وحملت سريري ومشيت ". وقال اليهود لبيلاطس: " إسـاله في أي يـوم شـفي ". فأجاب: " يوم السبت ". فقال اليهود: " أما كنا نقول انه كان يشفي المرضى ويطرد الشياطين يوم السبت؟ ".

وتقـدّم يهـودي آخر وقـال: " كنت أعمى منذ الـولادة؛ وكنت أسـمع الكلام ولا أرى أحداً. ومرّ يسـوع، فخاطبته صـارخاً بصـوت عـال: يا ابن داود، إرحَمْــني! فأشــفق عليّ، ووضع يــده على عينَيَّ، وعلى الفــور استعدت النظر ".

وتقدّم آخر وقال: " كنت متقوَّساً، فقوَّمني بكلمة ".

وتقدّم آخر أيضاً وقال: " كنت أبرص فشفاني بكلمة ".

7 – شهادة فيرونيكة نازفة الدم:

وقالت امرأة اسمها فيرونيكـة: " منذ اثـني عشر عامـاً كنت مصـابة بنزف دم، فلمست طرف ردائه وعلى الفور توقّف نزف دمي ". وقــال اليهود: " بحسب شريعتنا لا يجوز لامرأة الإدلاء بشهادة ".

8 - بيلاطس يرتعب:

وأخذ بعض الآخرين من جمع اليهود يصرخون، رجـالاً ونسـاءً: " هـذا الرجل نبيّ،

والشـــياطين تخضع لـــه! ". فقـــال لهم بيلاطس: " لمـــاذاً لا تخضع الشياطين لكهنتكم؟ ". فأجابوا: " لا ندري ". وقال آخرون لبيلاطس: " لقد أقام لعـازر، الـذي كـان ميتـاً منذ أربعة أيـام، وأخرجه من القـبر ". فارتعب الحاكم عندما سمع ذلك، وقال لليهود: " ماذا يفيدنا سفك الدم البري؟ ".

9 – جلد يسوع وصلبه وإطلاق باراباس:

ونادى بيلاطس نيقوديموس والاثني عشر رجلاً الذين كانوا يقولون أن يســوع لم يولد من الزِّنــا، وخــاطبهم بيلاطس هكــذا: " مــاذا أفعــل، فسينشب تمــرد في صــفوف الشــعب؟ ". فأجــابوا: " لا نــدري، لـيرّوا بأنفسـهم ". واسـتدعى بيلاطس جمـوع اليهـود، وقـال لهم: " تعلمـون أنني، بحسب العادة، أطلق لكم سجين في يوم عيد الفطير. ولدي الآن في السـجن قاتل شـهير، يُـدعى بارّابـاس، ولا أجد في يسـوع شـيئاً يستحق الموت. مَنْ تريدون أن أُطلقَ لكم؟ ". فأجـابوا كلّهم صـارخين: " أطلقْ لنا بارّاباس!" فقال بيلاطس: " ماذا أفعل إذاً بيسوع، الملقَّب بالمسـيح؟" فصـرخوا كلّهم: " ليُصْـلَبْ! ". وقـال اليهـود أيضـاً: " إذا أطلقتَ من يــزعم انه ملك وابن الله فلا تكــون صــديق لقيصــر؛ فهل تريده أن يكون ملكاً بدلاً من قيصر ".

وهنا قال لهم بيلاطس، وهو منفعل وغاضـب: " لقد كنتم دومـاً أُمـةً عاصية، وقاومتم مَنْ كانوا مؤيدين لكم ". فقال اليهود: " مَنْ هم الذين كانوا مؤيدين لنا؟ ". أجاب بيلاطس: " إلهكم، الذي نجّـاكم من عبودية المصـريين القاسـية، وقـادكم عـبر البحر كما فـوق باليابسـة، والـذي أعطاكم، في الصحراء، المَنَّ ولحم السلوى طعامـاً لكم، والـذي أخـرج من صـخر مـاءً لإروائكم، وبـالرغم من أفضـاله الكثـيرة، فلم تكفّّوا عن الثـــورة ضد إلهكم، لـــذا أراد إهلاككم. فصـــلّى موسى من أجلكم، لئلا تهلكوا. وتقولـون الآن أنـني أكـره الملك ". ونهض للخـروج عن كرسي القضاء. لكن اليهود كلّهم صرخوا: " نعلم أن قيصر ملـكٌ وليس يسـوع. لأن المجوس قـدّموا له هـدايا كما يقـدم لملـك. وإذ علم هـيرودس من المجوس أن ملكاً وُلـدَ، أراد إهلاكـه. فأخـذه أبـوه، يوسف وأمَّه، عنـدما علم بذلك، وهربوا إلى مصر. وقتل هيرودس أطفال اليهود الذين وُلدوا في بيت لحم ".

وإذ سـمع بيلاطس هـذه الكلمـات، ارتعب، وعنـدما عـاد الهـدوء في صفوف الشعب الذي

كان يصرخ، قال: " هل الحاضر هنا هو الذي كان يطلبه هـيرودس؟ ". فأجابوا: " انه هو ". فتناول بيلاطس ماءً وغسل يدَيه أمام الشـعب وهو يقول: أنا برئ من دم هذا البار؛ فكّروا بما تفعلون ". وأجـاب اليهـود: "

دمُه علينا وعلى أولادنـا! ". وهنا أمر بيلاطس باقتيـاد يسـوع إلى أمـام كرسي القضاء الذي كـان يجلس عليـه، وتـابع بهـذه العبـارات، مُصـدراً الحكم على يسوع: " أن أمتك انكرتـكَ ملكـاً. وبنـاءً عليه آمُـرُ أولاً بـأن تُجلَد بحسب تشريعات الرؤساء القـدامى ". وأمر بعد ذلك بـأن يُصـلَب في المكان الذي أُوقف فيه، مع شقَّيين، اسماهما ديْسماسْ وجسْتاسْ.

10 – صلب يسوع بين لصين:

وخرج يسوع من مقرّ القضاء واللصّان معه. وعندما وصل إلى المكان المدعو جُلْجُثَة، عـرّوه من ثيابه وألبسـوه قطعة قمـاش، ووضـعوا على رأسه إكليل شـوك، وجعلـوا بين يدَيه قصـبة. وصـلبوا معه اللصـَّين إلى جانبَيه، ديماس إلى يمينه وجسْتاس إلى يساره. وقال يسوع: " يا أبتاه، إغفرْ لم واعف عنهم، لأنهم لا يعلمون مـاذا يفعلـون ". وتقاسـموا ثيابه بينهم. وكان الشعب حاضراً، والرؤساء والشيوخ والقضاة يسـخرون من يسوع، قـائلين: " لقد أنقذ الآخـرين، فليُنقـذْ نفسـه؛ إذا كـان ابن اللـه، فلينزلْ عن الصليب ". وكان الجنود يهزأون به، ويقَّدمون له شـرابا خلاً ومـرّاً، قـائلين: " إذا كنت ملك اليهـود، أنقـذْ نفسك بنفسك ". **وطعن جنـديّ، اسـمه لُوجـان جبنـه، متنـاولاً حربـةً، فخـرج منه دمٌ وماء.** وأمر الحـاكم بـأن يُكتَب، على لافتـة، اسـتناداً إلى تهمة اليهـود، بأحرف عبرانية، ويونانية ولاتينية: " هذا هو ملك اليهود ".

وقال له أحد اللصَّين اللـذين كانا مصـلوبَين، واسـمه جسْـتاس: " إذا كنت المسيح، فأنقذْ وإيانا ". وأنّبه ديماس قائلاً: " ألا تخشى الله، وأنتَ تحت الحكم نفسه؟ أننا نتلقّى العقاب العادل على ما ارتكبناه، أما هــو، فلم يفعل شــيئاً من الســوء ". وعنــدما وبّخ رفيقــه، قــال ليســوع: " أُذكُـرْني، يا سـيَّد، في ملكوتك ". فأجابه يسـوع: " الحق الحـق، أقـول لك، أنك ستكون معي اليوم في الفردوس ".

11 – يا أبتاه في يدَيك استودع روحي:

وفي نحو الساعة السادسة من النهار، انتشرت ظلمات على الأرض كلّها حـتى السـاعة التاسـعة. وأظلمت الشـمس، وإذا بحجـاب الهيكل ينشقّ من أعلى إلى أسفل قسمَين. ونحو الساعة التاسعة، صاح يسوع بصــوت عــال: " إيلي، إيلي، لما شَــبَقْتني"، أي: " إلهي، إلهي، لمــاذا تركتني؟ ". وبعد ذلك قال يسوع: " يا أبتاه في يدَيك اسـتودع روحي ". ولما قال ذلك وأسلم الروح. وعندما رأى قائد المئة ما حدث مجّد اللـه، قـائلاً: " لقد كـان هـذا الرجل بـاراً ". وعـاد الحاضـرون كلّهم، قـارعين صـدورهم, وقد أقلقهم ما رأوا. ونقل قائد المئة ما حـدث إلى الحـاكم؛ ولما سمعه الحاكم استولى عليه حزن شـديد، ولم يـأكلا ولا شـربا ذلك

اليوم. واستدعى بيلاطس اليهود وقال لهم: " هل رأيتم مـاذا حـدث؟ ". فأجابوا الحاكم: " كان هناك خسوف للشمس كالمعتاد ".

وكان كل معارفه وكذلك النسوة اللواتي تبعنه من الجليل واقفين من بعيد. وإذا برجل اسمه يوسـف، وهو رجل صـدّيق وصـالح، ولم يشـارك في اتهامـات اليهـود ورداءاتهم، وكـان من الرّامـة، وهي من اليهوديـة، وكان ينتظر ملكوت اللـه، هـذا الرجل طلب من بيلاطس جسد يسـوع. ولما أنزله عن الصليب، لفّه في كَفَن نقيًّ جـداً، ووضـعه في قـبر جديد تماماً كان قد بناه لنفسه، ولم يُدفَن فيه أحد.

12 – محاكمة اليهود لنيقوديموس ويوسف الرامي:

ولما علم اليهود أن يوسف طلب جسد يسوع، كانوا يبحثون عنه وعن الرجال الاثني عشر الذين صـرّحوا بـأن يسـوع لم يولد من الزّنـا، وعن نيقوديمـوس والآخـرين، الـذين مثلـوا أمـام بيلاطس، وشـهدوا لأعمـال يسوع الصالحة. وكـان الجميع مختبـئين، لكن نيقوديمـوس وحـدة أظهر نفسه لهم، لأنه كان رئيساً لليهـود، وقـال لهم: " كيف دخلتم المجمـع؟ ". فأجـــابوه: " وأنتَ، كيف دخلت المجمع وقد شـــهدت عنـــه؟ فليكنْ نصـيبك معه في الـدهور الآتية ". فأجـاب نيقوديمـوس: " آمين، آمين، آمين ".

وأظهر يوسف نفسه كذلك وقـال لهم: " لمـاذا أنتم سـاخطون عليَّ لطلبي من بيلاطس جسد يسوع؟ فها أنا قد وضعته في قـبري الخـاص، ولففته بكفن نقيًّ جداً، وأقمتُ حجراً عظيماً

إلى جـانب المغـارة. لقد أسـأتم التصـرُّف ضد البـار الـذي صـلبتموه، وطعنتموه بحربة ".

ولما سـمع اليهـود ذلـك، أمسـكوا بيوسف وسـجنوه، حـتى انقضى الاحتفال بالسبت. وقالوا له: " نحن لا نستطيع أن نفعل شيئاً ضدك في هذا الوقت، لأن يوم السبت قد حل. نعلم أنكَ غير مسـتحق لقـبر، لكننا سنترك لحمك لطيور السماء ووحوش الأرض ". فأجاب يوسف: " هـذه الكلمات شـبيهة بكلمـات جوليـات المتغطـرس، الـذي قـاوم الله الحيّ وضربه داود. فقد قال الله بصوت النبي: " لي النقمة أن أجـازي يقـول الـرب ". فغسل بيلاطس، القاسي القلب، يدّيه في سـطوع الشـمس، صائحاً: " أني بـريء من دم هـذا البـار ". وقد أجبتم: " دمه علينا وعلى أولادنا ". أنا أخشي الآن أن يثقل غضب الله عليكم وعلى أولادكم، كما قلتم ذلك ".

وعندما سمع اليهود يوسف يتكلّم هكذا استشاطوا غضـباً، فأمسـكوا به، وسجنوه في زنزانة لا نافـذة فيهـا. وأقـام فيهـا. وأقـام حنانيا وقيافا

حراساً على البـاب ووضـعا ختمهما على المفتـاح. وتـداولا مع الكهنة واللاويين ليتجمّعوا كلّهم يوم السبت،وفكّروا بأي ميتة يعاقبون يوسـف. وحين اجتمعـوا، أمر حنانيا وقيافا بـأن يـؤتى بيوسـف، وإذ نزعا الختم، فتحا الباب، فلم يجـدا يوسف في الزنزانة الـتي سـجناه فيهـا. فأصـيب المجلس كلّه بالـذهول، لأنهم وجـدوا البـاب مختومـاً. وانسـحب حنانيا وقيافا.

13 – قيامة المسيح ورواية الجنود:

امتلأ الجميع دهشةً، ودخل المجمع احد الجنود الذين أُقيمـوا لحراسة القبر، وقال: " ونحن ساهرين على قبر يسـوع، زلـزلت الأرض، ورأينا ملاك الـربّ يـنزع حجر المـدفن ويجلس عليـه. وكـان وجهه يلمع مثل الصـاعقة؛ وثيابه بيضـاء مثل الثلج. ولبثنا مثل أمـوات من الـرعبً. وسـمعنا الملاك يقـول للنسـوة الآتيـات إلى مـدفن يسـوع: " لا تخفن، أعلم أنكن تطلبن يسـوع المصـلوب؛ لقد قـام، كما تنبّأ بـذلك. تعـالين، وانظرن الموضع الذي كان موضوعاً فيه، فخرجن وسارعن إلى تلاميذه وقالوا لهم انه قام من بين الأموات، وانه سيسبقكم إلى الجليل؛ هنـاك ترَونه ".

فاسـتدعى اليهـود كل الجنـود الـذين كـانوا مكلفين بحراسة يسـوع، وقـالوا لهم: " مَنْ هن تلك النسـوة اللـواتي كلّمهن الملاك؟ لمـاذا لم تقبضوا عليهن؟ ". فأجاب الجنود: " لا ندري مَنْ

كانت تلك النسوة فقد كنا كأموات، من فرط ما كان الملاك يـوحي إلينا بالخوف؛ فكيف كان يمكننا القبض على تلك النسوة؟".

وقال اليهود: " حي هو الربّ! أننا لا نصدّقكم ". وأجاب الجنودُ اليهود: " لقد رأيتم يسوع يصنع كثيراً من المعجزات، ولم تصدّقوا ذلـك؛ فكيف تصـدّقون كلامنـا؟ أنكم أجبتم بـالقول: " حي هـوَ الـربّ!"، لأنه حي هو الربّ الذي سجنتموه. فقد علمنا أنكم سـجنتم يوسف ذاك الـذي طيَّب جسد يسوع، في زنزانة وختمتم بابها، وعندما جئتم تطلبونه، لم تجدوه. سلّمونا يوسف الذي سجنتموه، فنسلّمكم يسوع، الـذي كنا نحرسه في المـدفن ". وأجـاب اليهـود: " سنسـلّمكم يوسـف؛ سـلّمونا يسـوع، لأن يوسف في مدينة الرّامة ". وأجـــاب الجنـــود: " وكما أن يوسف في الرّامة، كذلك يسوع في الجليل، مثلما سمعنا الملاك يعلن ذلك للنسوة ".وعندما سمع اليهود ذلك خافوا، وقـالوا في ما بينهم: " عنـدما يعـرف الشعب هذا الحديث، يؤمن الجميع بيسوع ". ومن ثم فقد جمعوا مبلغـاً ضخماً من المـال، وأعطـوه للجنـود، قـائلين: " قولـوا أن تلاميذ يسـوع جاءوا ليلاً وسرقوا جسده ونحن نيام. وإذا علم الحـاكم بيلاطس بـذلك،

نهدَّئه نحـــوكم، ولن يُتَعـــرَّض لكم ". فأخذ الجنـــود المـــال، وقـــالوا ما أوصاهم به اليهود.

14 – صعود يسوع إلى السماء:

وجاء كاهن اسـمه فيْنيْـه، وعـدّاس الـذي كـان معلَّم مدرسـة، ولاويّ اسمه أجَّيْه، وهم الثلاثة من الجليل إلى أورشليم، وقالوا لرؤساء الكهنة ولكل الذين كانوا في المجمع: " أن يسوع الذي صلبتموه، رأينـاه يتكلّم مع أحد عشر من تلاميـذه، وقد كـان جالسـاً في وسـطهم، على جبل الزيتون وقال لهم: " فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمـدوهم باسم الآب والابن والـــروح القـــدس. من يؤمن ويعتمد يخلص ". وحين قـــال ذلك لتلاميذه، رأيناه يصعد إلى السماء ".

وعند سماع رؤساء الكهنة والشيوخ واللاويـون لأولئك الرجـال الثلاثة ذلك، قالوا: " مجِّدوا إله إسرائيل، واشـهدوا على أن ما رأيتم وسـمعتم صحيح ". فأجـابوا: " حيّ هو ربّ آبائنـا، إله إبـراهيم، وإله إسـحق، وإله يعقوب! لقد سمعناه يتكلّم مع تلاميذه، ورأيناه يصـعد إلى السـماء؛ أننا نقـول الحقيقـة. إنْ صـمتنا على أننا سـمعنا يسـوع يلقي ذلك الخطـاب على

تلاميذه، وعلى أننا رأيناه يصـعد إلى السـماء، نـرتكب خطيئة ". فنهض رؤساء الكهنة على الفور وقالوا لهم: " لا ترووا لأحد ما قلتم عن يسوع ". وأعطـوهم مبلغـاً ضـخماً من المـال. وأرسـلوا ثلاثة رجـال معهم ليعيدوهم إلى بلدهم، ولا يكون لهم أي مقام في أورشليم.

واجمتع اليهود كلّهم وانهمكوا في ما بينهم بتأملات خطيرة، قائلين: " ما الذي حدث في إسرائيل؟ ". فقال لهم حنانيا وقيافا معزِّيَين إياهم: " هل علينا أن نصدِّق الجنود الـذين كـانوا يحرسـون قـبر يسـوع، والـذين قالوا لنا أن ملاكاً دحرج باب القبر؟ فربما يكون تلاميذه هم الذين قالوا لهم ذلك وأعطوهم مالاً كثيراً لحملهم على التعبير هكذا والتغاضي عن خطف يسوع. اعملوا أن حتى لا يصدق أحد كلام هؤلاء الغربـاء مطلقـاً، لأنهم أخذوا منا مبلغاً كبيراً، وقـالوا في كل مكـان ما نصـحناهم بقولـه. وربما ينكثوا وعدهم لنا كما نكثوا بتلاميذ يسوع ".

15 – شهادة نيقوديموس ويوسف ليسوع:

ونهض نيقوديموس وقال: " يا أبناء إسرائيل تتكلّمون في الاستقامة، بالرغم أنكم سمعتم كـلّ ما قاله أولئك الرجـال الـذين كـانوا يُقسـمون بشـريعة الـربّ. قـالوا: " لقد رأينا يسـوع يتكلّم مع تلاميـذه على جبل الزيتون ورأيناه يصعد إلى السـماء ". ويعلّمنا الكتـاب المقـدَّس أن إيليا المغبوط خُطف إلى السـماء، و قـال لهم أليشع عنـدما اسـتنطقه أبنـاء

الأنبياء الذين كـانوا يسـألونه: " أين أخانا إيليـا؟ ". انه خُطـفَ. فقـال له أبناء الأنبياء: " ربما خطفه الروح ووضعه على جبال إسرائيل. بل لنَخْتَرْ رجالاً يذهبون معنا ولنبحث في جبال إسرائيل؛ فربما وجدناه ". واخذوا أليشع، وساروا ثلاثة أيـام، فلم يجـدوا إيليـا. والآن، أنصـتوا إليّ، يا أبنـاء إسـرائيل، ولنُرسـلْ رجـالاً إلى جبـال إسـرائيل، فربما خطف الـروحُ يسوع، وربما وجدناه، فنكفِّر عن ذنوبنا ".

وراق رأي نيقوديموس للشعب كلّه، فأرسلوا رجالاً، وهـؤلاء الرجـال بحثوا عن يسوع دون أن يجدوه، وقـالوا عنـدما عـادوا: " لم نجد يسـوع في الأمـاكن الـتي جُبْناهـا، لكننا وجـدنا يوسف في مدينة الرّامة ". واغتبط الرؤساء والشعب كلّه، وقد سمعوا ذلـك، ومجّـدوا إله إسـرائيل لأنهم وجـدوا يوسف الـذي سـجنوه في زنزانـة، ولم يعـثروا عليه ثانيـةً. فجمع رؤساء الكهنة جموعا كثيرة من النـاس وقـالوا: " كيف يمكننا أن نأتي بيوسف إلينا والتحدُّث

إليه؟ ". وتناولوا ورقاً وكتبوا ليوسف، قائلين: " السلام لك ولكلّ الـذين هم معك. نحن نعلم أننا أخطأنا في حق الله وحقـك. تكـرَّمْ إذا بـالمجئ إلى آبائك وابنـاك، لأن خطفك ملأنا دهشـةً. نعلم أننا قصـدنا قصـداً شريراً ضدك، فحماك الربّ وخلّصك من نواياانا الشريرة. ليكن السـلام معـك، أيها السـيَّد يوسـف، أيها الرجل المحـترم بين الشـعب كلّه ". واختاروا سبعة رجال، أصدقاء ليوسف، وقالوا لهم: " عندما تصلون إلى يوسف، أدُّوا له تحيّة السلام، وسـلّموه الرسـالة ". ولما وصل الرجـال ليوسف، حَيَّوه، وسلَّموه الرسالة: وبعدما قرأها يوسف، قـال: " مبـاركٌ الـرب الإله الـذي حفظ إسـرائيل من إراقة دمى. كُن مباركـاً، يا إلهي، الذي حميتني بجناحيك ". وقبل يوسف الرسل واستقبلهم في منزله.

وفي الغد، انطلق يوسف معهم، راكباً حماراً، ووصلوا إلى أورشليم. وحين علم اليهود بقدومه، هرعوا جميعاً إلى أمامه، صائحين وقائلين: " السلام لوصولك، أيها الأب يوسف! ". فأجابهم: " ليكن سلام الـرب مع الشعب كله. وقبلوه كلهم. واسـتقبلهم نيقوديمـوس في منزلـه، مرحبـاً بهم بإكرام عظيم ومجاملة.

وفي الغد، الذي كان يـوم التوطئـة، قـال حنانيا وقيافا ونيقوديمـوس ليوسف " مجد إله إسرائيل، وأجب على كل ما سنسـألك عنـه، لقد كنا ثائرين عليك، لأنك دفنت جسد الـرب يسـوع، وسـجناك في زنزانة ولم نعثر عليك ثانية، وهذا ملأنا دهشة وأخافنا جداً إلى أن رأيناك ثانيـة. إرو لنا إذاً، في حضرة الله، ما حدث ".

أجاب يوسف: " عنـدما سـجنتموني مسـاء يـوم الفصـح، وبينما كنت أتضرع في وسط الليل، حـدث وكـأن المـنزل رُفِـعَ في الفضـاء، ورأيت

يسوع لامعاً كالبرق، فاستولى على الـرعب وسـقطتُ أرضـاً، فرفعـني يسوع فوق الأرض، أخذا بيدي، وكان العرق يكسو جبيـني ولما مسـحت وجهي، قبلني وقال لي: " لا تخف شـيئاً، يا يوسـف، تطلع إلى، وأنظـرْ، فهذا أنا ". وتطلعت وصحت: " يا سيدي إيليا! " فقال لي: " لستُ إيليا، بل أنا يسوع الناصري الذي دفنت جسده ". فأجبته " ارني القـبر الـذي وضعتك فيه ". فقادني يسوع، ممسـكاً بيـدي، إلى الموضع الـذي دفنته فيه. وأراني الكفن والقماش الـذي لففتُ به رأسـه. عنـدها عـرفت أنه كان يسوع، فسجدت له، وقلت: " مبارك الآتي باسم الـرب ". وقـادني يسوع، ممسكا بيدي، إلى منزلي في الرامة، وقال لي: " السلام معـك، ولا تخرج من

منزلك، مدة أربعين يوماً، وسوف أعود إلى تلاميذي ".

16 – طلب الرجال الثلاثة الذين شاهدوا صعود يسوع:

عندما سمع رؤساء المجمع والكهنة واللاويون كلمات يوسف، أصيبوا بالذهول، وسقطوا أرضاً على وجوههم كالأموات، وصاموا حتى الساعة التاسـعة، وواجه نيقوديمـوس ويوسف حنانيا وقيافا والكهنة واللاويـون وقالوا لهم أنهضوا وقفوا على أرجلكم وذوقوا خبزا وقووا أنفسكم، لأن غداً سبت الرب. فنهضوا وصلوا لله وأكلوا وشـربوا وذهبـوا كل إنسـان إلى بيته.

وفي السـبت جلس المعلمـون والكهنة واللاويـون وسـألوا بعضـهم البعض قـائلين: " ما هي هـذه الآية الـتي ظهـرت في أورشـليم؟ فنحن نعرف أبا يسوع وأمه ". وقال المعلم لاوي: " أعـرف أن أبـاه وأمه كانا شخصين يخافان اللـه، ولم يحنثا في قسـمهما، ويـدفعان العشـور ثلاث مرات في السنة، وعنـدما ولد يسـوع أحضـره والـداه إلى هـذا المكـان وقدما قرابين ومحرقات لله، وعندما أخذه الكاهن الأعظم سـمعان بين يديه، قال: " الآن، يا رب، أطلق عبد بسلام حسب قولك، لأن عيـني قد رأتا خلاصك الذي أعددته قدام جميع الشـعوب، نـور ينـير الأمم ومجـداً لشعبك إسرائيل ". وباركهم سمعان وقال لمريم أمه: " سأنبأك بأخبـار سارة بخصوص هذا الطفل ". فقـالت مـريم " أخبـار سـارة، يا رب؟ ". فقــال ســمعان: " أنظــري، فقد وُلد لهلاك كثــيرين وقيــامهم وعلامة مخالفة. وسيجوز في نفسك سيف أيضاً لتُعرف أفكار قلوب كثيرين ".

فقالوا للمعلم لاوي " كيف عـرفت هـذه الأمـور؟ فقـال لهم لاوي: " أعلموا أليس منه عرفت النـاموس؟ ". فقـال الجمع لـه: سـنرى أبـاك. فأرسلوا لأبيه وسألوه فقـال لهم: " لمـاذا لا تصـدقون أبـني؟ المغبـوط والمبارك سمعان هو الذي علمه النـاموس. فقـال الجمـع: " أيها الـربي لاوي هل ما قلته صحيح؟ فقال لهم " نعم صحيح ".

فقال رؤساء المجمع والكهنة واللاويون بين أنفسهم: " لنُرسلْ، إلى الجليل، في طلب أولئك الرجال الثلاثة الذين جاءوا وأخبرونا أنهم رأوا صعوده، وليخبرونا كيف رأوه يصعد ". ووافق الجميع على ذلك فأرسلوا إلى الرجال الثلاثة الذين ذهبوا من قبل إلى

الجليل وقالوا لهم: " قولوا للربي عداس والربي فينيس والربي أنجيوس: سلام لكم ولكل الذين معكم، لقد أرسلنا إليكم لهذا المكان المقدس في أورشليم لأنه قام سؤال عظيم في هذا المجمع ".

وعندما ذهب الرجال إلى الجليل وجدوهم جالسين حول الناموس، فحيوهم بسلام فقال لهم الرجال الذين في الجليل الذين جاءوا إليهم: " سلام لكل إسرائيل ". ثم قالوا لهم " لماذا أتيتم؟ ". فقال الذين أُرسلوا: " المجمع يدعوكم إلى المدينة المقدسة أورشليم ". وعندما سمع الرجال أنهم مطلوبين من المجمع صلوا لله وأكلوا مع الرجل وشربوا ونهضوا وجاءوا بسلام إلى أورشليم.

وفي الغد أجتمع المجلس في المجمع واختبروهم قائلين: " هل رأيتم يسوع جالساً على جبل Mamilch وهو يعلم تلاميذه الأحد عشر، ورأيتموه يصعد؟ ". فأجاب الرجال وقالوا: " كما رأيناه صاعداً نخبركم ".

فقال حنانيا: " دعوهم كل واحد بعيدا عن الآخر حتى نرى أن كانت كلماتهم متفقة أم لا. فأبعدوهم الواحد عن الآخر واستدعوا عداس أولاً وقالوا له: " كيف رأيت يسوع يصعد؟ ". فقال عداس: " بينما كان يجلس على جبل Mamilch رأينا سحابة ظللته هو وتلاميذه، وحملته سحابة إلى السماء، فسقط تلاميذه على وجوههم على الأرض ". فدعوا فنيس الكاهن وسألوه أيضاً قائلين: " كيف رأيت يسوع يصعد؟ ". فأجاب بنفس الإجابة. فسألوا أنجايوس، فأجاب هو أيضاً بنفس الإجابة. فقال الجمع: " أنه مكتوب في ناموس موسى: على فم أثنين أو ثلاثة تقوم الشهادة ".

وحين تم ذلك وجاء أولئك الرجال الثالثة واستنطقوا، أجابوا بصوت واحد: " حي هو الرب إله إسرائيل، لأننا رأينا بوضوح يسوع مع تلاميذه على جبل الزيتون عندما كان يصعد إلى السماء ". فقال أبوسيم الكاهن: مكتوب في الناموس: وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه ". فقال المعلم يايروس وسمعنا أيضاً عن موت المغبوط موسى ولم نره، لأنه مكتوب في ناموس الرب: " ومات موسى حسب قول الرب ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ". وقال الربي لاوي: " وكيف كان الأمر ألم يقل الربي سمعان عندما

رأى يسـوع: " هـذا الطفل وضع لسـقوط وقيـام كثـيرين في إسـرائيل وعلامة تقاوم؟ ". فقال الربي إسحق: " مكتوب في النـاموس: " ها أن أرسل رسولي أمام وجهك، الذي يتقـدم أمامك ليحفظك في كل طريق جيدة لأن أسمي وضع هناك ".

فقال حنانيا وقيافا: " حسـنا قلتم هـذه الأمـور المكتوبة في نـاموس موسى أنه لم يرى أحد موت أخنوخ ولا سمى أحد موت موسـى، ولكن يســوع تكلم أمــام بيلاطس ونعلم أننا رأينا البصق واللطم على وجهه ووضع العســكر أكليلا من الشــوك على رأســه، وأنه جُلد وأدين أمــام بيلاطس، وأنه صــلب في مكــان الجمجمة بين لصــين وأعطــوه مــراً ليشـرب مع خلاً، وطعنه لنجينـوس الجنـدي بحربة فقي جنبـه، وأن أبننا المكـرم يوسف طلب جسـده، وكما قـال فقد قـام ثانية وأن ثلاثة من المعلمين قـالوا: " رأينـاه يصـعد إلى السـماء ". وأن الـربي لاوي تكلم وشهد لهذه الأمـور الـتي قالها الـربي سـمعان وقـال: " هـذا الطفل قد وضع لقيام وسقوط كثيرين في إسرائيل وعلامة تقاوم ".

وقال كل المعلمين لشعب الرب: " إذا كان هـذا الأمر قد حـدث من قبل الـرب، وهو عجيب في أعيننـا، فسـتعرفون بالتأكيد يا بيت يعقـوب أنه مكتوب: " ملعون كل من علق على خشبة ". ويقول كتـاب مقـدس آخر: " الآلهة التي لم تصنع السموات والأرض ستفنى ".

فقال الكهنة واللاويـون الواحد للآخـر: " إذا بقي ذكـره حـتى اليوبيل فــأعلموا أنكم ستســودون للأبد ويقيم لنفسه شــعباً جديــداً. ثم حث رؤساء المجمع والكهنة واللاويون كل إسرائيل قائلين: " ملعــون الرجل الذي يعبد ما صنعته يد الإنسان، وملعون هو الرجل الذي يعبد المخلـوق بجوار الخالق. فقال كل الشعب: آمين، آمين.

فسبح كل الشعب ورنموا للرب قائلين: " مبارك الرب الـذي أعطى راحة لإســـرائيل بحسب كل ما تكلم. فلم تســـقط كلمة واحـــدة إلى الأرض من كلامه الصالح الذي تكلم به لعبده موسى. ليكون الـرب إلهنا معنا كما كــان مع آبائنــا، ولا يتخلى عنا ولا يمنعنا من تحــول قلوبنا إليه والسـير في كل طرقه وحفظ وصـاياه وأحكامه الـتي أوصى بها آبائنـا. وليملك الـرب على كل الأرض في ذلك اليـوم. وليكن إله واحد وأسـمه واحد، وليخلصـنا الـرب إلهنـا. فلا يوجد مثلك يا رب، أنت عظيم يا رب، وعظيم هو اسمك. أشفنا يا رب

بالقوة، وسنشفى. خلصنا يا رب وسـنخلص. لأننا نصـيبك وميراثـك. لأن الرب لا يتخلى عن شعبه لأجل اسـمه العظيم. لأن الـرب جعلنا شـعبه. وعندما رنموا هذه الترنيمة ذهبوا كل واحد إلى بيته ممجدين الله.

الجزء الثاني

النزول إلى الجحيم

17- قيامة ابنا سمعان من الموت:

وقال يوسف ناهضاً لحنانيا وقيافا: " أنتما على حق بـالتعجب، لأنكما تعلمان أن يسوع رؤى قائماً من المـوت وصـاعداً إلى السـماء. وينبغي الاندهاش أكثر من أنه لم يقم فقط، بل وأقام من القبر مـوتى كثـيرين آخرين وعدد كبير من الأشخاص ورأوهم في أورشليم فأنصـتا إلى الآن، لأننا نعلم جميعاً أن الكاهن الأعظم المغبوط سـمعان حمل يسـوع وهو طفل بين يديه في الهيكل وســـمعان هـــذا رزُق ابـــنين، أخـــوين أبا وكنا جميعاً شاهدين عندما ماتا، وحضرنا دفنهمـا. هيا وانظـراً قبريهمـا، لأنهما مفتوحان، وابنا سمعان في بلـدة الرامـة، عائشـان في التضـرع، أحياناً نسمع صيحاتهما، لكنهما لا يكلمان أحداً وهما صـامتان كـالأموت، تعالا، لنمض إليهما ولنصطحبهما إلى أهلنا بأقصى اعتبار، وإذا سـألناهما بإلحاح، فربما كلمانا عن سر قيامهما ".

عند هذه الكلمات، ابتهج الجميع، وذهب حنانيا وقيافـا، ونيقوديمـوس ويوسف وغيمالائيل إلى المدفنَين ". ولم يجدوا الميتَين فيهما، لكنهم إذ قصـدوا مدينة الرّامـة، وجـدوهما جـاثَيين فقادوهما إلى أورشـليم إلى المجمــع، وقد قبَّلوهما بــاحترام عظيم وبمخافة اللـــه. وبعــدما أُقميت الأبواب، تناولوا كتاب الشـريعة، ووضـعوه بين أيـديهما، وحلفوهما بالله أدوناي وبإله إسرائيل الذي تكلّم بالشريعة وبالأنبيـاء قـائلين: " إذ كنتما تعلمان انه هو الذي أقامكما من بين الأمـوات، فقـولا لنا كيف قمتما ". ولما سمع كارينوس ولوسـيوس هـذه المناشـدة، ارتجفا بشـدّة، وتأوّها من عمق قلبهما، متأثّرَين كلّيا. ورسما إشـارة الصـليب بإصـبعهما على لسـانهما، نـاظرَين إلى السـماء. وعلى الفـور تكلّمـا، قـائلين: " أعطونا رزمَـتي ورق لنكتب ما رأينا وسـمعنا ". فأعطوهما إياهمـا. وإذ جلسـا، كتب كلٌّ منهما، قائلاً:

18 - إعلان أسرار نزول المسيح الجحيم:

" أيها الربّ يسوع المسيح، قيامة الموتى والحياة، إسـمَحْ لنا بـإعلان أسرار عظمتك التي أتممتها بموتك على الصليب، لأننا نوشدنا باسـمك. لأنك أمرتَ عبيدك بـألا نـروى لأحد خفايا جلالك الإلهي كما أظهرتها في الجحيم. عنـدما كنا مع آبائنا كلّهم، موضـوعين في عمق الظلمـات، لفَّنا فجأة بهـاء ذهـبيّ كما الـذي للشـمس، وأنارنا ضـوء رائـع. وعلى الفـور ارتعش فرحاً آدم، أبو الجنس البشري كلّه، وكذلك الآباء والأنبياء كلّهم، وقالوا: " هذا النور، أن خـالق النـور مَنْ وعـدنا بـأن يرسل إلينا نـوراً لا أفول له، ولا نهاية ".

19 – شهادة اشعياء النبي:

" وصاح اشعياء النـبيّ، وقـال: " انه نـور الآب، ابن اللـه، كما تنبّـأتُ بذلك، عندما كنت علي أرضي الأحياء: أرض زبولـون وأرض نفتـاليم. ما وراء الأردن، الشعب الجالس في الظلمات سيُبصر نوراً عظميـاً؛ وعلى مَنْ هم في منطقة المـوت، يلمع المـوت، يلمع النـور. والآن، ولمع من أجلنا نحن الذين كنا جالسين في الموت. وفيما كنا نهـتزُّ كلّنا فرَحـاً في النور الذي أضاءَنا، اقترب منا سـمعان، أبونـا، وقـال لنا كلّنـا، وهو يهـتز فرَحاً: " مجَّدوا الرب يسوع المسـيح، ابن اللـه، لأنـني تلقّيته وليـداً في يديَّ في الهيكل، ومسـوقاً من الـروح القـدس، مجَّدته وقلت: أن عينَيَّ رأتا الآن الخلاص الـذي هيَّأته في حضـور الشـعوب كلّهـا؛ نـوراً يتجلى للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل ".

" وكان جمهور القديسين كلّه، يهتزُّ حبوراً عندما سمع هذه الأشـياء. ومن ثمّ، وصل فجـأةً رجل يشـبه ناسـكاً، فسـأله الجميـع: " مَنْ أنتَ؟" وأجابهم، وقال: " أنا يوحنا، صـوت العليّ ونبيّـه، مَنْ يسـبق قُبلة مجيئه ليُهيّئ سُبُلَه، وليُعطي علم الخلاص لشعبه من أجل مغفرة الخطايا. وإذ رأيته آتيـاً إليَّ، دفعـني الـروح القـدس، فقلت: هـوذا مَنْ يرفع خطايا العالم. وقد عمَّدته في نهر الأردن، ورأيت الروح القدس ينزل عليه في هيئة حمامة. وسمعت صوتاً من السماوات يقول: هذا هو ابني الحبيب، الذي به سررت، له اسمعوا. والآن، سبقتُ وجهه، ونزلتُ أبشـركم بـأن ابن الله بنفسه قد قام وسيزورنا عما قليل آتياً إلينا نحن الجالسين في الظلمات وفي ظل الموت ".

20 - رواية شيث:

" وعنـدما سـمع الأب آدم، أول المخلـوقين، هـذه الأشـياء، وهي أن يسوع عُمِّد في الأردن، قال لابنه شـيث: " ارو لأبنائـك، الآبـاء والأنبيـاء، الأشياء كلّها التي سمعنا من رئيس الملائكة ميخائيل، حين أرسلتُك إلى أبواب الفردوس، لتتوسّـل الـرب أن يسـمح بـأن يُعطي ملاكُه زيتـاً من شجرة الرحمة، وان تدهن جسدي عنـدما كنتُ مريضـاً ". فقـال شـيث وهو يقترب من الآباء القديسين ومن الأنبياء: " أنـا، شـيث، عنـدما كنتُ أتضرع أمـام الـربّ على أبـواب الفـردوس، إذا بملاك الـربّ، ميخائيـل، يظهر لي، قائلاً: الربّ أرسـلني إليـك، أنا أسـهل على الجسد البشـري. أقول لكَ هذا، يا شيث، لا تصلَّ بالدموع، ولا تطلب زيت شجرة الرحمة لتدهن أباك آدم بسبب أوجاع جسـده، فلن تسـتطيع، في أي شـكل، أن تأخذ منه إلا في الأيام الأخـيرة، وإلا عنـدما تكـون قد تّمت خمسة آلاف وخمسمئة سنة؛ عنـدها يـأتي ابن اللـه، ملـؤه الحب، إلى الأرض، ويُقيم جسد آدم، ويُقيم في الوقت نفسه أجساد الموتى. ولـدى قدومـه، يُعَمَّد

في الأردن. وعندما يخرج من ماء الأُردن، في ذلك الوقت يـدهن بـزيت رحمته كلّ الذين يؤمنون به، وزيت الرحمة يكـون لجيل الـذين يجب أن يولدوا بالماء وبالروح القدس للحياة الأبديـة. إذاك يسـوع المسـيح، ابن الله، المملوء حباً، نازلاً من السماء، يُدخِل أبانا آدم الفردوس إلى قرب شجرة الرحمة. " وأحس الآباء والأنبياء بفـرح عظيم، وقد سـمعوا هـذه الأشياء التي كان يقولها شيث.

21 - الشيطان وأمير الموت:

" وعندما كان القدَّيسون كلّهم يهـتزّون حبـوراً، إذا بالشـيطان، أمـير الموت ورأسه، يقول لأمـير الجحيم: " اسـتعدَّ أنتَ بنفسك للقبض على يســوع الــذي يبــاهي بأنه المســيح، ابن اللــه، والــذي هو رجل يخشى الموت، طالما انه يقـول: نفسي حزينة حـتى المـوت. لأنه قـاومني في أمور عدّة، ورجال كثيرون حوّلتهم عمياناً، عرجاً، صماً، بُرصـاً، وعـذَّبتهم بشـياطين مختلفـة، شـفاهم بكلمـة. والـذين أتيتُك بهم مـوتى، خطفهم منك ".

" فقال أمير التتر، مجيباً الشيطان: " مَنْ هو هذا الأمـير القـوي إلى هــذا الحــدّ، والــذي يخشى مع ذلك المــوت؟ فأقويــاء الأرض كلّهم أخضعتهم قوتي، عندما أتيتَ بهم منقادين

- 191 -

بسلطانك. فأنْ كنتَ إذاً قوياً، فمَنْ هو يسـوع هـذا الـذي يقاومـك، وهو يخشى الموت؟ إذا كان قوياً بهذا المقدار في إنسانيته، فأنني أقول لكَ حقاً، انه قوي تماماً في ألوهيتـه، وما من أحد يسـتطيع مقاومة قدرتـه. وعندما يقول انه يخشى الموت، يريد خـداعك، والويل لـكَ في الأزمـان الأبدية.

وأجاب الشيطان، أمـير المـوت، وقـال: " لِمَ تـتردّد في القبض على يسوع هذا، خصمك وخصمي؟ فقد جرّبتُه وأثرتُ ضـده شـعبي اليهـودي القديم، مهُجيا إيّاه حقداً وغضباً؛ وشحذت حربة الاضطهاد مـزجتُ مـرّاً وخلاً، ودفعتُ إلى إعطائه ليشرب، ودفعت إلى تحضير الخشـبة لصـلبه ومساميرَ لثقب يدَيه وقدَميه، وموته قريب، وسوف آتيك به خاضـعاً لك ولي ".

" وأجاب أمير الجحيم وقال: " قلت لي انه هو مَن انتزع مني موتى. كثيرون هنا احتجزهم، وفيما كـانوا يعيشـون على الأرض، خطفـوا مـني موتى، لا بقدرتهم الخاصة، بل بالصلوات التي كـانوا يوجّهونها إلى اللـه، وإلههم العليّ القدير انتزعهم مني. مَنْ هو إذاً يسـوع هـذا الـذي انـتزع مني موتى، بكلمته؟ ربما هو الذي أحيا، بكلمته الحاسمة، لعـازر، الـذي كان ميتاً منذ أربعة أيام، ملـؤه النتانة وفي انحلال، والـذي كنتُ أسـجنُه ميتاً ".

" وأجاب الشيطان، أمير الموت، وقال: " انه يسوع هذا بالذات"

" فقال أمير الجحيم، وقد سمع ذلك: " أتوسل إليك بقوتك وقوتي، ألا تأتي به إليّ. فعندما سمعتُ قوة كلمته، ارتجفتُ، وقد استولى عليّ الرعب، وفي الوقت نقسه اضطرب معي خدّامي الكفرة كلّهم. أننا لم نستطع الاحتفاظ بلعارز، بل خرج من بيننا، مُفلتا منا بكلّ رشاقة النسر الحياة أعادته حياً على الفور. هكذا أعلم الآن أن هذا الرجل الذي استطاع إنجاز هذه الأشياء هو الله القوي في سلطانه، والقادر في الإنسانية، وملّخص الجنس البشري، فإذا أتيت به إليّ، فسوف يُطلق كلّ الذين أحتجزهم هنا محبوسين في قسوة السجن، ومقيَّدين بأغلال خطاياهم غير المُحطَّة، وسوف يقودهم بألوهيته إلى الحياة التي ستدوم كما الأبدية ".

22 - دخول المسيح إلى الجحيم:

" وفيما كانا يتكلمان هكذا، الشيطان وأمير الجحيم، حدث صوتٌ مثل الرعود وضجيج الإعصار: " أيها الرؤساء، إرفعوا أبوابكم، وارتفعي، أيتها الأبواب الأبدّية، فيدخل ملك المجد ".

" وإذ سمع أمير الجحيم ذلك، قال للشيطان: " ابتعدْ عني واخرُجْ من مساكني؛ إذ كنت مقاتلاً قوياً، فقاتل ضد ملك المجد. إنما ما الأمر بينك وبينه؟ ورمى أميرُ الجحيم الشيطان خارج مساكنه. وقال أمير الجحيم لخدّامه الكفرة: " أغلقوا أبواب الفولاذ القاسية، وادفعوا مزاليج الحديد، وقاوموا ببسالة خوفاً من أن نؤسر، نحن الذين نحرس الأسرى ".

" لكن لدى سماعه ذلك، قال جمهور القدّيسين كلّه لأمير الجحيم بصوت تأنيب: " إفْتَحْ أبوابك، ليدخل ملك المجد. " وصاح داود، ذلك النبّي الإلهي، قائلاً: " ألَمْ أتنبّأ لكم، عندما كنتُ على أراضى الأحياء، بأن مراحم الربّ ستشهد له، وان آياته ستُنبئ به أبناء البشر، لأنه حطّم أبواب الفولاذ وكسر مزاليج الحديد؟ لقد انتزعها من طريق الأثم. ومن ثمّ قال نبيٌّ آخر، هو اشعياء، كذلك للقدّيسين كلّهم: ألَمْ أتنبّأ لكم، عندما كنتُ على أراضى الأحياء بأن الموتى يستيقظون ومَنْ هم في القبور يقومون، ومَنْ هم في الأرض يهتزّون فرحاً، لأن النّدى الآتي من الربّ أين شوكتك؟ وقال القدّيسون كلّهم لأمير الجحيم، وقد سمعوا كلمات اشعياء هذه: " إفْتَحْ أبوابك؛ الآن، أنت عديم القوة، منهزماً ومصروعاً ". وحدث صوت كما صوت الرعود، قائلاً: " أيها الرؤساء، إرفعوا أبوابكم، وارتفعي، أيتها الأبواب الأبدية، فيدخل ملك المجد ".

" فقال أمير الجحيم، وقد لاحظ أن الصحية سُمعت مرتين، كما لو انه جـاهلا: " مَنْ هو ملك المجد هـذا؟ فقـال داود، مجيبـاً لملك الجحيم: أعـرف كلمـات هـذه الصيحة، فهي نفسـها الـتي تنبّـأت بها بـوحيٍ من روحه. والآن ما سبق وقلتُ، أكـرَّره لـك: أن الـربّ القـويّ والقـادر في القتال، هو ملك المجد، والربّ نظر من السـماء إلى الأراضـي، ليسـمع نـواح مَنْ هم مسـجونون، وليُطلـقَ أبنـاء مَنْ أُعـدموا. والآن، يا أمـير الجحيم الدَّنِس والبَشع، إفْتَحْ أبوابك، ليدخل ملك المجد ". وإذ قال داود هـذه الكلمـات لأمـير الجحيم، دخل ربّ الجلال بغتـةً في هيئة رجـل، وأضـاء الظلمـات الأبديـة، وكسر الأغلال الـتي لم تكن محطّمـة، وزادنا معونة

قوةٍ لا تُقهَر، نحن الـذين كنا جالسـين في أعمـاق ظلمـات الآثـام، وفي ظلِّ موت الخطايا.

23 - ملك المجد يسحق الموت:

" واسـتولى الـرعب على أمـير الجحيم وعلى المـوت ومأمورَيهما الكفرة، وقد رأوا ذلك، مع خدّامهم القسـاة، عنـدما رأوا الضـياء البـاهرَ لنورٍ قويًّ إلى هذا الحدّ، والمسيحَ فجأة في مساكنهم، وصاحوا قـائلين: " لقد هزمتنا. مَنْ أنتَ، أنتَ الذي أرسـله الـربّ لبلبلتنـا؟ مِنْ أنتَ، أنتَ الذي من دون إصابة فساد، وبتأثير جلالك الذي لا يُقاوَم، إستعطت هدم قدرتنا؟ مَنْ أنتَ أنتَ، البالغ الكبَر والبالغ الصَّغَر، البالغ الأتضـاع والبـالغ السـموّ، الجنـدي والقائـد، المحـارب الرائع في هيئة عبـد؟ ملك المجد الميت والحيّ الذي حمله الصليب معُدَماً. أنتَ الـذي لبثتَ ميتـاً ممـدَّداً في القبر والذي نـزل حيّـاً إلينـا؟ وكل مخلـوقٍ ارتجف في موتـك، وكل الكواكب تزعزعت، والآن أصبحتَ حراً بين الموتى، وتُبلبل جوقاتنا. مَنْ أنتَ، أنتَ، الذي يفكُّ الأسـرى ويغمر بنـور سـاطع مَنْ أعمتهم ظلمـات الخطايا؟

" وصاحت بالمثل جوقات الشياطين كلّها التي أُصيبت بفزع مشـابه، بخضوع خائفٍ وبصـوتٍ إجمـاعيّ، قائلـةً: " من أين أنتَ، يا يسـوع، أيها الرجل البَـالغ القـدرة وصـاحب الجلال البـالغ الرَّفعـة، البـالغ السـطوع، الذي بلا عيب والطاهر من الجريمـة؟ فهـذا العـالم الأرضي الـذي كـان دومـاً خاضـعاً لنا حـتى الآن، الـذي كـان يـدفع لنا إتـاوات لممارسـاتنا المنكـرة، لم يُرْسـلْ إلينا أبـداً ميتـاً كهـذا، ولم يخصَّـص هـدايا مماثلة للجحيم؟ مَنْ أنتَ إذاً، أنتَ الذي اجتزت بلا خوفٍ حدود منـاطق نفوذنـا، ولا تــرهب فقط عــذاباتنا، بل وتحــاول فــوق ذلك إطلاق كل الــذين نحتجـزهم في أغلالنـا؟ ربما أنتَ يسـوع ذاك الـذي يقـول الشـيطان، أميرنا، انكَ بموتِكَ على الصليب، ستنال قـدرةً لا حـدود لها على العـالم بأسره ".

" عندها حرم ملك المجد الجحيم من قدرته كلّها وقاد آدم إلى الجلاء نوره، ساحقاً في جلاله الموت تحت قدمَيه، وقابضاً على الشيطان.

24 - إخضاع الشيطان:

" إذاك قال أمير الجحيم للشيطان، موبَّخا إيّاه بملامـات عنيفـة: " يا بعل زبوب، يا أمير اللعنة ورأس الدمار، يا سخرية ملائكة اللــه، يا نفلية البارين، ماذا أردت أن تفعل؟ لقد

أردتَ صلبَ ملك المجد، الذي بهلاكه وموته وعدتنا بغنائم عظمية جـداً؟ أتجهل كيف تصـرّفتَ في جنونـك؟ فها أن يسـوع هـذا يبـدَّد، بسـطوع ألوهيتـه، ظلمـات المـوت كلّهـا؛ لقد حطّم أعمـاق أمتن السـجون، وهو يُطلق الأسـرى، ويُفـرجُ عمَّن هم مسـجونون؛ ها أن كل الـذين كـانوا ينوحـون تحت وطـأة عـذاباتنا يشـتموننا، ونحن مُثْقلـون بلعنـاتهم. أن إمبراطورياتنا وممالكنا هُزِمَت، وما عدنا نوحي بالهلع، للجنس البشري.

" أنهم على العكس، يتهـدّدوننا ويشـتموننا، أولئك الـذين، مـوتى، ما استطاعوا أبداً إظهار تكبُّرٍ أمامنا وما استطاعوا أبداً الإحسـاس بلحظة حبورٍ خلال أسرهم.

" أيها الشيطان، يا أميرَ الشرور كلّهـا، يا أبا الكفـرة والعصـاة. مـاذا أردت أن تفعـل؟ أن الـذين يئسـوا من الخلاص ومن الحيـاة، منذ البـدء حتى الآن، ما عادوا يُسمعون نواحـاً، وأيٌّ من أنّـاتهم لا تُصـدي، ولا نجد أي دموعٍ اثر على وجه أيًّ منهم.

" أيها الأمـير الشـيطان، يا مالك مفـاتيح الجحيم، لقد خسـرت الآن بخشــبة الصــليب تلك الــثروات الــتي حصــلتَ عليها بخشــية الإخلال بـالواجب وخسـارة الفـردوس، وحبـورك كلّه تبـدَّد عنـدما علّقت على الصليب ذلك المسيح، يسوع، ملك المجد، وتصرّفت ضد نفسك وضدي. إعْلَمْ من الآن فصاعداً كم من أوجاع أبدية وعذابات لا متناهية مخصَّصة لك تحت حراستي التي لا تعرف نهاية.

" أيها الشيطان، يا أمير الأشرار كلّهم، يا صانع الموت وأصل التكبُّر، كان عليك أولاً أن تبحث عن ملامة صحيحة توجّهها إلى يسوع هذا، وبما انـكَ لم تجـدْ فيه أي إثم، لِمَ تجـرّأت من دون سـبب على صـلبه ظلمـاً والإتيان بالبرئ والبار إلى منطقتنا؟ وقد خسرتَ سـيئي العـالم بأسـره، وكفرته وظالميه ".

" وبينما كان أمير الجحيم يتحدّث هكذا إلى الشيطان، إذاك قال ملك المجد لأمير الجحيم: " أن الأمير الشيطان سيكون تحت سلطانك مدى الدهور بدلاً من آدم وأبنائه، الذين هم صدَّيقيّ ".

25 - الربّ يبارك آدم:

" وبسط الربّ يده، وقال: " تعاَلوا إليَّ، يا قدَّيسيّ كلكم، الذين أنتم صورتي وشبهي. أنتم

الذين أُدِنتم بالخشبة، والشيطان والموت، وسوف ترَون أن الشيطان والموت مُدانان بالخشبة ". وعلى الفور اجتمع القدَّيسون كلّهم تحت يد الربّ. وممسكاً بيد آدم، قال له الربّ: " السلام لكَ مع أبنائك كلّهم، صدَّيقيّ ".

" وإّذ جثا عند ركبتَي الربّ، توسل إليه ساكباً دموعاً، قائلاً بصوتٍ عالٍ: " يا ربّ، سوف أُمجِّدُك، لأنكَ قبلتني ولم تجعل أعدائي ينصرون عليَّ. يا ربّ، يا إلهي، صرخت إليك، فشفيتَني، يا ربّ. أخرجتَ نفسي من الجحيم، وخلّصتني بعدم تركي مع أولئك الذين يهبطون إلى الهاوية. أنشدوا تسابيح الربّ، أنتم كلّكم الذين هم قدَّيسوه، واعترفوا لذكرى قداسته. لأن الغضب في سخطه، والحياةَ في مشيئته ".

" وقال قدَّيسوا الله كلّهم بالمثل بصوت إجماعي، جاثين عند ركبتَي الربّ. لقد وصلتَ، يا مخلص العالم، وأتممتَ ما أنبأت به بشريعتك وبأنبيائك. افتديتَ الأحياء بصليبك، ويموت الصليب، هبطتَ إلينا لتنتزعنا من الجحيم ومن الموت، بجلالك. يا ربّ، كما انك وضعتَ عنوان مجدك في السماء، ورفعتَ إشارة الخلاص، صليبك على الأرض، كذلك يا ربّ ضَعْ في الجحيم إشارة انتصار صليبك، لئلا يعاود الموت الغلبة ".

" ورسم الربّ، باسطاً يده، إشارة صليب على آدم وعلى قدَّيسيه كلّهم، وممسكاً بيد آدم اليمنى، ارتفع من الجحيم. وتبعه القدَّيسون كلّهم. عندها صاح النبي داود بقوّة: " أنشدوا للربّ نشيداً جديداً، لأنه صنع أشياء باهرة. يمينه وذراعه أنقذتانا. الربّ عرَّف بخلاصه؛ كشف عرَّف بخلاصه؛ كشف عدله في حضور الأُمم. وأجاب جمهور القدَّيسين كلّه، قائلاً: هذا المجد للقدِّيسين كلّهم. آمين. سبحوا الله. وعندها صاح النبي حبقوق، قائلاً: لقد خرجت لخلاص شعبك، ولإنقاذ مختاريك. " وأجاب القدَّيسون كلّهم، قائلين: " مباركٌ الآتي باسم الربّ الإله، والذي ينيرنا ". وصاح النبي ميخا بالمثل، قائلاً: " أيُّ إله موجودٌ مثلك، يا ربّ، رافعاً الأثام وماحياً الخطايا؟ والآن تكبح علامة غضبك، لأنك تجنح أكثر إلى الرحمة. لقد أشفقت علينا، وغفرتَ خطايانا، وألقيتَ آثامنا كلّها في هاوية الموت، كما أقمست بذلك لآبائنا في الأيام العابرة ". وأجاب القديَّسون كلّهم، قائلين: " انه إلهنا إلى الأبد وإلى الآبدين، سوف يحكمنا في الدهور كلّها. آمين. سبَّحوا الله ". وكذلك الأنبياء كلّهم تالين مقاطع من أناشيدهم القديمة المخصَّصة لتسبيح الربّ، والقدَّيسون كلّهم.

اسم الكتـــاب : " أبوكريفا العهد الجديـــد، كيف كتبت؟ ولماذا رفضتها الكنيسة؟ الجـزء الأول: الكتب المُسـماه بأناجيل الطفولة والآلام "
المؤلف : القس عبد المسيح بسيط أبوالخير .
ت ك 8241538 / 2231326
ت م 8246232 / 4751010
محمول 3131635 /012
المطبعة : المصريين ت 3423595/012
الطبعة الأولى : في 19/1/2007م
رقم الإيداع : 2757/2007
الترقيم الدولي : 977-17-4319-8

الفهرس